روايات مصرية للجيب

20

رجل المستحيل

د. نبيل فاروق

سلسلة الأعداد الخاصة

Looloo
www.dvd4arab.com

الجحيم !

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن ــ 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فنة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستٍ لغات حيَّة ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..

ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

الفصل الأوّل

البركان

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ الحصـــار ..

سرت ارتجاجة قوية ، فى أدغال (البرازيل) ، على نحو أفزع حيواناتها العديدة ، فانطلقت مجموعة ممتزجة من الصيحات الوحشية ، وكائنات الأدغال كلها ، على اختلاف أنواعها ، تعدو مذعورة ، محاولة الابتعاد عن ذلك البركان القديم ، الذى يتوسَّط الأدغال ، ويكاد يختفى تحت كم هائل من الأعشاب والأشجار ، التى نبتت من تربته الخصبة ، المشبعة بالمعادن(*) .

كان قد ظلّ خاملاً ، منذ آلاف السنين ، يغوص فى بحر من الصمت والسكون ، بعد ثورته الأخيرة ، التى أفنت المنطقة أو كادت ، قبل عشرات القرون ، التى لا يعلم عددها إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

(*) البركان : مصطلح يُطلق على فتحة فى قشرة الأرض ، تتصاعد منها الغازات ، وتقذف الصخور، مصهورة وصلبة ، كما يُطلق ايضًا على جبل مخروطى الشكل، يتكوّن من هذه المواد ، المقذوفة من تحت القشرة ، وغالبًا ما يكون لهذا الجبل تجويف، أو منخفض عند القمة ، وانفجار البراكين قد يتراوح من الانفجار الهادئ ، إلى الانفجار العنيف ، الذى يمكن أن يطيح بالجبل كله ، والحمم الناشئة عن البركان تعد من أصعب أنواع التربة .

ثم فجأة ، ودون سبب علمى واضح ، استعاد نشاطه ..

وبمنتهى القوة ..

فمع تلك الارتجاجة القوية ، التى انتشرت بسرعة مخيفة ، فى الأدغال المحيطة به ، تصاعدت من فوهته أدخنة داكنة كثيفة ، تنذر بكونه يستعد لثورة جديدة ، يطلق خلالها حممه الملتهبة ، من فوهته الواسعة ، ليغرق كل ما حوله ، فى بحر من اللهب .

بحر أشبه بالجحيم ..

الجحيم الأرضى ..

ومن بعيد ، وفى عكس اتجاه فرار حيوانات الأدغال ، انطلقت سيارة (جيب) قوية ، تشق طريقها وسط الأحراش المتشابكة ، حتى توقَّفت عند منطقة شديدة الوعورة ، ليقول قائدها فى عصبية :

ـ لا يمكننا أن نتقدَّم أكثر .. كان ينبغى أن تستمعا لنصيحتى ، وأن تستخدما الهليوكوبتر ؛ للوصول إلى ذلك المكان ، وليس السيارة ، فالمنطقة ..

قاطعه أحد الرجلين ، المرافقين له ، وهو يلتقط منظارًا

Looloo
www.dvd4arab.com

مقرّبًا ، وينهض دافعًا جسده عبر فتحة السقف ، قائلاً فى صرامة :

ــ ليس هذا من شأنك يا رجل .

وضع المنظار المقرّب على عينيه ، وتطلّع فى قلق إلى الأدخنة السوداء الكثيفة ، التى تصاعدت من فوهة البركان أكثر وأكثر ، فى حين سأله زميله ، بلغة لم يفهم سائق (الجيب) حرفًا واحدًا منها :

ــ الوضع ينذر بالخطر .. أليس كذلك ؟!

مطّ الأوّل شفتيه ، وزفر فى توتر ملحوظ ، قبل أن يقول ، بنفس اللغة :

ــ أكثر مما تتصوّرى .

هزّ زميله رأسه ، وتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ــ أراهن أن علماء الجيولوجيا سيحارون كثيرًا ، وهم يبحثون عن أسباب استعادة هذا البركان الخامل لنشاطه بغتة ، دون أية مقدمات !

هتف السائق بنفاد صبر عصبى :

ــ ماذا تقولان بالضبط ؟!.. لست أفهم حرفًا واحدًا ، وهذا يضاعف من عصبيتى ؛ فالموقف أصعب من أن يُحتمل بالفعل .

أجابه الأوّل فى خشونة :

ــ ما نقوله ليس من شأنك يا رجل ، ولست تتقاضى ذلك الأجر الباهظ ، لتستمتع بما نقول .

مطّ السائق شفتيه ، وهمهم بكلمات ساخطة ، قبل أن يشيح بوجهه معلنًا غضبه ، وعصبيته تتضاعف وتتضاعف ، مع رائحة الغازات البركانية ، التى بدأت تنتشر بالفعل ..

أما الرجل الثانى ، فقد نهض بدوره ، والتقط المنظار المقرّب من زميله ، وهو يتساءل :

ــ هل انقطعت الاتصالات تمامًا ، مع تلك القاعدة السرية الرهيبة ؟!

أومأ الأوّل برأسه إيجابًا ، وتمتم :

ــ أراهنك أنه المسئول عن هذا .

وافقه الثانى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

Loolaa
www.dvd4arab.com

ــ ليست لدى ذرة شك فى هذا .

ثم التفت إليه ، مستطردًا ، فى حزم يمتزج بالكثير من التوتر والقلق :

ــ (أدهم) لا يمكن أن يواجه أمرًا كهذا ، دون أن يترك بصمته عليه كالمعتاد .

تنهَّد الأوَّل ، وتطلع فى قلق زائد إلى البركان ، الذى راحت سحب الدخان المتصاعدة منه تتكاثف أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ــ الأمر هذه المرة يختلف ، فهو خطير للغاية .. خطير أكثر مما كنا نتصور .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى شىء من عصبية :

ــ وربما أخطر من كل ما مر به (أدهم) نفسه فى حياته من قبل .

تطلَّع الثانى إلى الأدخنة الكثيفة بدوره ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :

ــ لن يدهشنى هذا فى الواقع ؛ فتلك المنظمة ، التى يواجهها (أدهم) بمفرده ، حتى هذه اللحظة تعد أخطر وأقوى منظمة جاسوسية إجرامية ، عرفها التاريخ الحديث .. إنها تمتلك من

القوة والتكنولوجيا ، ما يفوق بألف مرة كل ما واجهناه من قبل ، وكل ما واجهه هو نفسه من أجهزة مخابرات عالمية ، أو منظمات تجسس قوية .

وافقه الأوَّل بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ اختيار وكرهم وحده ، يشف عن مدى خطورتهم وبأسهم ، ومقدار ما يتمتعون به من تكنولوجيا متطورة ، وإمكانيات لا حدود لها .

ثم هزَّ رأسه ، وهو يضيف متوترًا :

ــ من يصدق اختيارهم لوكر كهذا ، وتزويده بأحدث الأجهزة ، والمعدات ، وأسلحة الدفاع والهجوم ، دون أن يشعر بهم أحد .

أشار الثانى بيده ، قائلاً :

ــ بل ومن يصدِّق أن (أدهم) قد كشف أمرهم ، ويواجههم وحده الآن ، داخل مقرهم المنيع ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف ، فى لهجة جمعت بين الصرامة ، والحزم ، ومقدار لا محدود من التوتر :

Leolea
www.dvd4arab.com

ــ تحت هذا البركان الثائر .

وتنهد مستطردًا :

ــ والذى يمكن أن ينفجر فى أية لحظة .

ولم ينطق الأوّل ببنت شفة ، وهو يستعيد منظاره المقرّب ، ويعاود التطلُّع إلى البركان ..

ولكن حاجباه انعقدا فى شدة ..

فعلى الرغم من غرابة الأمر وخطورته ، كان يعلم أن (أدهم صبرى) هناك الآن بالفعل ..

تحت ذلك البركان الثائر ..

وأنه يواجه ، فى تلك اللحظة بالذات ، أكبر خطر عرفه ، فى حياته كلها ..

على الإطلاق

* * *

« ذلك المصرى أفسد كل شىء .. »

هتف قائد الحرس الضخم (بيتون) بالعبارة ، فى غضب

متوتر ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، ويلوّح به فى حدة ، أمام سير (وينسلوت) ، زعيم منظمة (هيل آرت) ، للجاسوسية ، الذى ظلّ محتفظًا ببروده الإنجليزى الأسطورى ، على الرغم من حدة الموقف وخطورته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

ــ ليس كما تتصوَّر .. المنظمة ما زالت أقوى من أن يدمرها شخص واحد ، مهما بلغت قوته .

صاح (بيتون) فى حنق :

ــ وهل يبدو لك هذا شخصًا عاديًا ؟.. إنه شيطان .. شيطان لم أر مثله ، فى حياتى كلها .

أجابه سير (وينسلوت) بنفس البرود :

ــ إن كان شيطانًا ، فنحن نحكم أبواب الجحيم نفسه .

ثم استدار إلى مجموعة من الأجهزة الإليكترونية الرقمية الحديثة ، وهو يكمل :

ــ ولو فتحنا بابًا واحدًا منها ، سنسحق ألف ألف شيطان مثله .

صاح (بيتون) :

ــ لماذا ننتظر إذن ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

حمل صوت سير (وينسلوت) لمحة من الصرامة ، وهو يقول :

ــ أريده حيًا .

هتف (بيتون) فى سخط :

ــ حيًا ؟!.. ولماذا ؟!.. لست أجد مبررًا واحدًا لهذا ، بعد كل ما فعله بنا ..

ثم عاد يلوّح بمدفعه الآلى ، مستطردًا فى غضب هادر :

ــ لقد دمَّر طرق المواصلات الداخلية ، وشبكة الاتصالات ، وقضى على سبعة من أفضل رجالنا .

قال سير (وينسلوت) ، وهو يجلس أمام أجهزته الحديثة :

ــ هذا أقصى ما يمكنه فعله .

صاح (بيتون) مستنكرًا :

ــ أقصى ما يمكنه فعله ؟!.. ما فعله يعد كارثة رهيبة بالفعل يا سير (وينسلوت) .. لقد دمَّر ذلك الشيطان ، فى ساعة واحدة ، ما احتجنا إلى ألف يوم لبنائه .

ضغط سير (وينسلوت) أزرار شاشات المراقبة والرصد ، وهو يجيب ، فى برود مستفز :

ــ هذا أمر طبيعى .. الهدم لا يحتاج إلى الوقت الطويل ، الذى تستلزمه عملية البناء .

كاد (بيتون) يستشيط غضبًا ، أمام ذلك البرود الشديد ، حتى لقد راودته فكرة إطلاق ما تبقى ، من خزانة مدفعه الآلى ، فى مؤخرة رأس سير (وينسلوت) ، الذى أولاه ظهره ، وراح يضغط أزرار أجهزته فى سرعة ومهارة ، حتى أضيئت أمامه كل شاشات الرصد ، فراح ينقل بصره بينها ، قبل أن يغمغم :

ــ أين هو بالضبط ؟!

أجابه (بيتون) ، بكل ما يملأ نفسه من انفعالات :

ــ فى المخزن (ج) .

سأله (وينسلوت) ، دون أن يلتفت إليه :

ــ أأنت واثق ؟!

أجابه (بيتون) بكل عصبيته :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ رجالى يحاصرونه هناك ، ولكن أبواب المخزن مصفَّحة كما تعلم ، وهو يحتمى داخله .

تألَّقت عينا سير (وينسلوت) ، وهو يقول :

ـ المخزن (ج) ليس منيعًا كما تتصوَّر .

تفجَّرت دهشة الدنيا كلها ، فى وجه (بيتون) وصوته ، وهو يهتف :

ـ ليس منيعًا ؟!.. ولكنكم أكَّدتم ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، وهو يركِّز الشاشات كلها ، لرصد ما يحدث داخل المخزن (ج) :

ـ إنه منيع بالنسبة لكم .

وصمت لحظة ، وهو يطالع شاشات الرصد ، قبل أن يضيف :

ـ وليس بالنسبة لنا .

حدَّق (بيتون) فى ظهره بدهشة بالغة ، وبدا له أنه لم يفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، لذا فقد سأله فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

ابتسم سير (وينسلوت) ابتسامة باردة كصوته ، وهو يقول فى بطء :

ـ من الطبيعى أن يعلم القادة ، ما يجهله الآخرون .

قال (بيتون) فى حدة :

ـ أليس من المفترض أننى أحد القادة ؟!

أجابه سير (وينسلوت) فى برود صارم :

ـ بالنسبة لأطقم الأمن والحراسة فحسب .

مرة أخرى ، لم يفهم (بيتون) ما يعنيه هذا ، إلا أنه لاذ تمامًا بالصمت هذه المرة ، واكتفى بمراقبة شاشة الرصد ، التى تغيَّر لونها إلى لون أحمر باهت ، إثر ضغطة زر أخرى من سير (وينسلوت) ، الذى قال ، عبر جهاز اتصال داخلى محدود :

ـ أيها المصرى .. كلنا نعلم أنك داخل المخزن (ج) ، فلا مبرِّر للاختفاء .

لم يتلق جوابًا ، ولكن أجهزة الرصد ، بالأشعة دون الحمراء ، راحت تواصل عملها داخل المخزن ، حتى هتف (بيتون) فجأة ، فى انفعال جارف ، وبصوت مكتوم :

ـ انظر .. إنه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

استوقفه سير (وينسلوت) بإشارة صارمة من يده ، واستدار يرمقه بنظرة صارمة ، فى حين راح جسد (بيتون) يرتجف فى انفعال بلغ ذروته ، وهو يتطلَّع إلى ظل أحمر ، بدا واضحًا ، فى ركن الشاشة ، لرجل يختبئ خلف بعض صناديق الذخيرة ، وأخذ قلبه يخفق بين ضلوعه بمنتهى العنف ، وهو يهتف فى أعماقه ، ودون أن يتجاوز صوته شفيته :

ــ إنه هو .. إنه هو ..

أما سير (وينسلوت) ، فقط تطلَّع إلى ذلك الظل الأحمر فى هدوء واثق ، قبل أن يقول :

ــ أنت تختبئ هناك أيها المصرى .. خلف صناديق الذخيرة ، فى الركن الأيمن البعيد ، من المخزن (ج) ..

صحيح أنك قد أبعدت جسدك تمامًا ، عن آلات الرصد ، ولكن التكنولوجيا التى نستخدمها ، قادرة على كشف موضعك ، أينما كنت ، ومهما فعلت .

لم يتلق جوابًا ، هذه المرة واضحًا ، فى حين تمتم (بيتون) فى انفعال :

ــ إنه جهاز رصد ، بالأشعة دون الحمراء .. أليس كذلك ؟!

تجاهل سير (وينسلوت) سؤاله تمامًا ، وهو يراقب ذلك الظل الأحمر بكل الاهتمام والانتباه ، ويتأكَّد من أنه يتحرَّك تحركات محدودة ، لا تكفى لكشف أمره بوضوح ، ولكنها توضح أنه ليس صريعًا أو فاقد الوعى ..

وكان هذا كل ما يرغب سير (وينسلوت) فى التأكُّد منه ، قبل أن يُقدم على خطوته الأخيرة ..

والحاسمة ..

وفى عصبية ، غمغم (بيتون) ، وهو يتطلَّع بدوره إلى الحركة الخافتة ، لذلك الظل الأحمر ، المختبئ خلف صناديق الذخيرة ، فى المخزن (ج) :

ــ كنت أظن أن أجهزة الرصد ، بالأشعة دون الحمراء ، تعطى صورة خضراء ، وليس ..

أشار إليه سير (وينسلوت) مرة أخرى بالصمت ، فى صرامة شديدة ، قبل أن يقول ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ــ لا تتصورَّ أن صمتك سينقذك منا ، أو سيثير شكوكنا أو تحفظنا

www.dvd4arab.com

يا سيِّد (أدهم) ، فلدينا هنا ألف وسيلة ووسيلة ، لكشف أمرك ، والتيقُّن من هويتك الحقيقية .

ضغط زرًا آخر ، أثناء حديثه الأخير هذا ، فاستعادت شاشات الرصد صورتها الطبيعية ، ومال سير (وينسلوت) ، يشير إلى بقعة فى خلفية المشهد ، دون أن يعلِّق ، فمال (بيتون) نحو الشاشة بدوره ، وأمعن النظر فى تلك البقعة ، و...

وانتفض جسده كله ، بانفعال يفوق انفعالاته كلها ألف مرة ..

فهناك ، فى تلك البقعة ، التى أشار إليها سير (وينسلوت) ، كانت هناك صورة منعكسة ، على الإطار المعدنى لصندوق ذخيرة آخر ..

وبضغطات زر سريعة ، قام سير (وينسلوت) بتكبير تلك الصورة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وهنا بدت الصورة المنعكسة واضحة ، على نحو لا يقبل الشك ..

كانت صورة انعكاسية لوجه صاحب الظل ، المختبئ خلف صناديق الذخيرة المقابلة ..

صورة لوجه (أدهم صبرى) ..

وبمنتهى الوضوح ..

وبابتسامة تحمل كل الثقة والظفر ، قال سير (وينسلوت) ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ــ لو أنك تتصوَّر أنه بإمكانك النجاة ، من هذا الموقف ، فأنت واهم تمامًا أيها المصرى ..

ثم تراجع فى مقعده بزهو ، مضيفًا :

ــ الواقع أنك فى قبضتنا تمامًا ، وأنه بإمكانى القضاء عليك تمامًا بضغطة زر .. ضغطة زر واحدة يا سيِّد (أدهم) .

لم يتلق جوابًا ، فى هذه المرة واضحًا ، فضمّ شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ قرار غير حكيم يا سيِّد (أدهم) .. غير حكيم على الإطلاق .

Looloo
www.dvd4arab.com

هتف (بيتون) فى انفعال :

ــ إنه هو .. كنت واثقًا من أنه هو .

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة صارمة قاسية ، قبل أن يقول : عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهو يكشف الغطاء عن زر آخر كبير :

ــ فليكن أيها المصرى .. من الواضح أنك تجهل ما ينتظرك هنا ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ــ إنه الجحيم أيها المصرى .. الجحيم بعينه .

ومع نهاية عبارته ، ضغط ذلك الزر الأحمر الكبير ..

وعلى شاشة الرصد ، بدت صورة وجه (أدهم) المنعكسة ، وهو يلتفت بحركة حادة ، إلى جزء من حائط المخزن (ج) ، أخذ يرتفع فى بطء ، لتنساب عبره غازات وأدخنة كثيفة ، وسير (وينسلوت) يتابع ، فى صرامة قاسية ، تتعارض تمامًا مع بروده الشهير :

ــ كما ستدرك بنفسك .

ومع آخر حروف كلماته ، انزاح ذلك الجزء من الجدار بحركة مباغتة ، وانطلقت شهقة قوية من حلق قائد الحرس الضخم (بيتون) ، مع بشاعة ذلك المشهد الرهيب ..

فمع ارتفاع الجدار ، تدفَّقت الحمم الملتهبة داخل المخزن (ج) ، فى سرعة وغزارة ، ليتحوَّل المكان بالفعل إلى جحيم ..

جحيم حقيقى .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ البداية ..

« لست أصدق هذا أبدًا .. »

هتفت (منى توفيق) بالعبارة ، بكل دهشة الدنيا ، وهى تتراجع فى مقعدها ، أمام (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير ، فى الإدارة ، والذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة مستمتعة ، وهو يقول :

ــ ما الذى لا تصدقينه بالضبط يا عزيزتى (منى) ؟!

لوحت (منى) بكفيها ، هاتفة :

ــ أن (أدهم) قد فعل كل هذا ؟!..

اعتدل ، يسألها فى اهتمام مشوب بالدهشة :

ــ ولِمَ لا ؟!..

هزت كتفيها ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وكأنها لا تجد جوابًا منطقيًا ، ثم لم تلبث أن قالت ، فى شىء من العصبية :

ــ إننى أعمل إلى جوار (أدهم) ، منذ فترة طويلة ، وعاصرت معه عشرات العمليات الشرسة العنيفة ، ولست أتصور أنه كان لديه المزيد .

أطلق (قدرى) ضحكة عالية مجلجلة ، ارتج معها جسده الضخم ، قبل أن يقول بابتسامة كبيرة :

ــ عزيزتى (منى) .. لقد بدأ (أدهم) عمله فى المخابرات ، وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ، وأنت التقيت به ، قبل أن يتم عامه الخامس والثلاثين بقليل ، فماذا فعل فى رأيك ، طوال دستة من الأعوام ، قضاها كضابط مخابرات نشط .

هزت كتفيها مرة أخرى ، وبدت مرتبكة إلى حد ما ، وهى تقول :

ــ كنت أتصور أنك قد رويت لى كل ما فعله قديمًا ، عبر تلك الملفات السرية ، التى منحوك تصريحاً بمطالعتها .

مال نحوها ، وتراقصت ضحكة عابثة فى عينيه ، وهو يقول :

ــ ليس كل ما فعله .

وعاد يتراجع فى مقعده بحركة سريعة ، وكأنما يرهقه الانحناء ، فوق كرشه الضخم ، قبل أن يتابع :

ــ لقد فوجئت بأن لدينا هنا كنزًا ضخمًا ، من ملفات عمليات (أدهم) القديمة ، منذ كان شابًا صغيرًا ، وحتى التقى بك ، فى أولى عملياتكما المشتركة(*) .

(*) راجع قصة (الاختفاء الغامض) ... المغامرة رقم (١) من سلسلة (رجل المستحيل) .

Looloo
www.dvd4arab.com

بدا عليها اهتمام شديد ، وهى تسأله :

ــ وكم يبلغ حجم هذا الكنز تقريبًا ؟!

مط شفتيه ، قائلاً :

ــ ليست لدى أرقام واضحة ، ولكننى ، عندما حصلت على هذا الملف ، أمكننى أن أحصى أكثر من عشرين ملفًا آخر إلى جواره ، وكلها تحمل الكود الشفرى الخاص بعزيزنا (أدهم) ..

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى زهو ، وكأنما يتحدث عن نفسه :

ــ (ن ــ1) .

تراجعت فى مقعدها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

ــ إننى لا أخاطبه به أبدًا .

هز رأسه ، قائلاً :

ــ ولا أنا ..

ثم أشار بسبابته ، مضيفًا فى حزم :

ــ ولكنه يحمله ، على أية حال ..

وصمت لحظة ، ثم أكمل ، وهو يغمز بعينه ، ويربت على الملف الذى يحمله :

ــ ومنذ هذه العملية .

تألقت عيناها فى لهفة ، وهى تهتف :

ــ وكيف هذا ؟!

ابتسم ابتسامة كبيرة ، وكأنما يسعده ما تركه فيها من تأثير ، ولوح بيده ، قائلاً :

ــ الأمور لم تبدأ على النحو نفسه ، الذى قرأت لك جزءًا منه ، ففى البداية ، لم تكن المهمة تتعلق بمنظمة (هيل آرت) هذه .. بل ولم تكن هناك مهمة رسمية على الإطلاق .

كررت فى انبهار :

ــ حقًا ؟!..

ثم هزت رأسها ، وكأنها تطرح عن نفسها انبهارها ، وتابعت فى اهتمام متوتر :

ــ ولكن لماذا سافر (أدهم) إلى (البرازيل) ، ما دام لم يكن يعمل فى مهمة رسمية ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ابتسم (قدرى) ، وقال بلهجة خاصة ، وكأنما يتعمد إثارة مشاعرها وانفعالاتها :

ــ إنه لم يذهب إلى (البرازيل) بإرادته .

اتسعت عيناها أكثر ، وحدقت فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباها وتعتدل فى مقعدها ، قائلة فى حزم :

ــ (قدرى) .. لست أميل إلى هذا الأسلوب .

أطلق ضحكة مجلجلة ، قائلاً :

ــ ولكننى أعشقه .

أمسكت يده فى قوة ، وهى تقول :

ــ فى هذه المرة ، سنعمل بأسلوبى أنا ، وستروى لى تفاصيل هذه العملية ، منذ البداية .

تراقصت ضحكة أخرى فى عينيه ، وهو يقول :

ــ فليكن .. سأروى لك كل شىء .

تركت يده ، واسترخت فى مقعدها ، محاولة التغلب على انفعالها ولهفتها ، فى حين تنحنح هو ، والتقط الملف ، و ...

وبدأ يروى ..

* * *

أزاح مدير المخابرات المصرية منظار القراءة عن عينيه ، وهو يرفع رأسه إلى ضابطه (أدهم) ، الذى وقف أمامه مشدود القامة ، فى اعتداد معتدل ، قائلاً بلهجة قوية واثقة :

ــ (أدهم صبرى) فى خدمتك يا سيدى!

أشار إليه مدير المخابرات ، قائلاً :

ــ استرخ أيها الرائد .. إنه أمر شخصى هذه المرة .

أدهشت العبارة الأخيرة (أدهم) ، ولم تساعده إطلاقاً على الاسترخاء ، وإنما ضاعفت من توتر عضلاته ، وهو يشد قامته أكثر ، متسائلاً فى حذر زائد :

ــ أمر شخصى ؟!.. كنت أتصور أنه لا وجود للأمور الشخصية ، فى عالمنا السرى هذا يا سيدى .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح أيها الرائد .. لا وجود للأمور الشخصية فى عالمنا هذا ، ولكن الأمر لا يتعلق بعملنا هذه المرة .

ثم أشار إليه ، مستطردًا فى حزم :

ــ بل بك أنت .

غمغم (أدهم) فى دهشة ، امتزجت بالكثير من الحذر :

ــ أنا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

نهض مدير المخابرات من خلف مكتبه ، واتجه نحوه ، وربت على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنت أيها الرائد .. أو بوالدك ، لو شئنا الدقة .

أطلت حيرة واضحة من عينى (أدهم) ، وإن حجبتها ملامحه القوية عن إعلان نفسها فى وجهه ، فابتسم مدير المخابرات ، وأكمل حديثه ، وهو يعود إلى مكتبه :

ـ فغدًا ، تأتى ذكرى والدك (رحمه الله) ، الذى اغتاله الإسرائيليون ، أثناء عمله الدبلوماسى فى (لندن) ، ومن أجل هذه المناسبة ، قرر بعض الزملاء فى سفارتنا ، فى العاصمة البريطانية ، إقامة حفل تأبين لذكراه ، وكان من المحتم أن تتم دعوتك ، أنت وشقيقك الدكتور (أحمد) ، إلى ذلك الحفل .

تمتم (أدهم) ، وقد استوعب الموقف :

ـ آه .. فهمت .

ناوله المدير جواز سفره ، وهو يقول :

ـ إحدى شركات السياحة التابعة لنا ، أنهت إجراءات تأشيرة السفر من أجلك ، ووفقاً لمعلوماتى عنك ، فحقيبتك معدة دومًا لأى سفر مفاجئ .

غمغم (أدهم) بابتسامة هادئة :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

تراجع المدير فى مقعده ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ طائرتك ستقلع بعد ثلاث ساعات تقريبًا أيها الرائد .. أرجو لك سفرًا هادئًا .

شد (أدهم) قامته ، قائلاً :

ـ أشكرك يا سيدى .. أشكرك كثيرًا .

واستدار ليغادر المكان ، فى خطوات سريعة قوية ، فاستوقفه مدير المخابرات ، قبل أن يغادر الحجرة ، وهو يقول :

ـ (أدهم) .

كانت المرة الأولى ، التى يخاطبه فيها مدير المخابرات باسمه ، فاستدار إليه فى احترام ممتزج ببعض الدهشة ، ولكن ابتسامة المدير استقبلته ، وهو يكمل فى مودة أبوية خالصة :

ـ هناك أمر ينبغى أن تتذكره ، فى هذه الرحلة بالذات .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا بابتسامة أكبر :

ـ إنها ليست رحلة عمل ، أو مهمة خاصة .. تذكر هذا جيدًا .

شد (أدهم) قامته ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ سأحاول يا سيدى .. سأحاول

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان هذا كل ما يملكه فى الواقع .

أن يحاول ..

* * *

استرخى رجل (الموساد) المخضرم (إيتان مائير) ، فى مقعده الواسع الكبير ، داخل السفارة الإسرائيلية فى (لندن) ، وتطلع بعينين خاملتين ، نصف مغمضتين ، إلى سير (وينسلوت) ، عضو مجلس العموم البريطانى الشهير ، وهو يقول فى بطء :

ــ مبادرة جريئة منك بالفعل يا سير (وينسلوت) ، أن تزورنى هنا فى مكتبى !.. ألم تخش أن يرصدك أحد الصحفيين ، وأنت تدخل إلى السفارة الإسرائيلية .

ابتسم سير (وينسلوت) ابتسامة ساخرة باردة ، وهو يتخذ مقعدًا وثيرًا ، داخل حجرة (إيتان) الواسعة ، وقال بصوته الثلجى المستفز ، وهو يرمقه بنظرة متعالية :

ــ أمثالى لا يرتكبون أخطاءً تافهة يا عزيزى (إيتان) ، فكل شىء فى حياتى محسوب بدقة... بمنتهى الدقة .

قال (إيتان) ، فى خمول عجيب :

ــ حقًا ؟!..

أجابه سير (وينسلوت) فى سرعة :

ــ نعم .. حقًا يا (إيتان) .

ثم التقط من جيب سترته سيجارًا كوبيًا فاخرًا ، أشعله بقداحته الذهبية فى هدوء ، قبل أن يتابع ببروده الثلجى المستفز :

ــ أنا عضو مجلس عموم محترم ، ورجل أعمال شهير ، ورثت عن والدى لقب (سير) ، مما يمنحنى مكانة خاصة رفيعة فى المجتمع ، وأمثالى لا يرتكبون أخطاءً تؤخذ عليهم ، أو يلتقطها صحفى سخيف ؛ ليصنع منها خبر الموسم ، فى الصفحات الأولى لصحف الفضائح .

ونفث دخان السيجار فى بطء ، ثم تابع :

ــ ولو أنك تتابع أخبار مجلس العموم ؛ لعلمت أننى قد أصبحت رئيس لجنة العلاقات الخارجية ، وأنه من صميم عملى ، أن أعمل على توطيد العلاقات الديبلوماسية ، بين (بريطانيا) العظمى ، وجميع الدول الأخرى .

ورفع حاجبيه ، فى تعالٍ واضح ، وهو يضيف :

ــ ومن بينها (إسرائيل) .

ظلت ملامح (إيتان) خاملة بليدة ، وهو يكرر ، فى لهجة حملت نبرة ساخرة واضحة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ (بريطانيا) العظمى !..

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره فى بطء ، دون أن تحمل ملامحه أية انفعالات ، وإن أطلت من عينيه نظرة مقت واضحة ، وهو يقول فى بطء :

ـ نعم .. (بريطانيا) العظمى يا (إيتان) .. (بريطانيا) التى منحتكم وعدها الشهير(*) ، الذى منحكم بدوره الحق فى استيطان واحتلال (فلسطين)(**) ..

وضاقت عيناه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ أم أنكم قد نسيتم هذا ؟!

ابتسم (إيتان) ابتسامة ساخرة خاملة ، وهو يقول :

(*) آرثر جيمس بلفور (1848 – 1930م) ، سياسى بريطانى ، شغل عدة مناصب سياسية فى بلاده ، قبل أن يصبح رئيسًا للوزراء (1902 – 1905م) ، وبعدها أصبح وزيرًا للبحرية (1915 – 1916م) ، ثم وزيرًا للخارجية (1916 – 1922م) ، وخلال صفته هذه ، أصدر تصريحه الشهير ، المعروف باسم وعد (بلفور) (2 نوفمبر 1917م) ، والذى يعلن فيه تعهد (بريطانيا) بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ..

(**) فلسطين : دولة على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، اسمها فى التوراة بلاد (كنعان) ، ويعتبرها الإسرائيليون أرضًا مقدسة لهم ، بعد أن غزاها يشوع ، الذى خلف (موسى) فى قيادة اليهود ، فى الأزمنة القديمة .

ـ نحن دولة صغيرة يا سير (وينسلوت) ، وذاكرتنا لا يمكن أن تحتمل ما تحتمله ذاكرة دولة (عظمى) مثلكم .

نطق كلمته قبل الأخيرة فى سخرية واضحة ، ابتسم لها سير (وينسلوت) فى برود ، ونفث دخان سيجاره فى بطء ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى أيها الإسرائيلى .. أمر طبيعى للغاية .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة قاسية :

ـ وما ينبغى أن تدركه الآن ، وأن يدركه رؤساؤك فى (تل أبيب) ، هو أنكم إن لم تستمعوا إلىَّ جيدًا ، فيصغر شأن دولتكم أكثر ، على نحو لا يمكن تصوره أو تخيله ، حتى فى أبشع كوابيسكم .

قالها ، ثم نهض فى حزم ، فاعتدل (إيتان) على مقعده ، وزال خموله مع بلادته الزائفة دفعة واحدة ، وهو يقول فى شىء من الشراسة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط يا سير (وينسلوت) ؟!

قال سير (وينسلوت) فى برود ، وهو يواصل نفث دخان سيجاره الكوبى الفاخر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما يعنيه هو بالضبط ما أتيت لأخبرك به يا ...

صمت لحظة ، ثم مال نحوه ، قبل أن يضيف فى قسوة صارمة :

ـ يا رجل الموساد .

رمقه (إيتان) بنظرة قاسية ، من خلف جفنيه نصف المغلقين ، ثم قال فى شىء من التحدى :

ـ وما الذى أتيت لتخبرنى به بالضبط أيها البريطانى ؟!.. هل ترغب فى رفع قيمة المكافأة ، التى تتقاضاها منا ، مقابل تعاونك معنا ؟!

قال سير (وينسلوت) فى سخرية :

ـ مكافأة ؟!.. لو راجعت رؤساءك ، لأدركت أننى لم أتقاض منكم بنسًا واحدًا ، منذ منحتكم تلك المعلومات العسكرية يا هذا .. لقد كانت هدية .. مجرد هدية ؛ لتحديد ما يمكننى أن أمنحكم إياه .

قال (إيتان) ، فى استهتار متعمد :

ـ لم أكن أعتقد أنه توجد هدايا من هذا النوع ، فى عالمنا الخاص أيها البريطانى .

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره الفخم ، نحوه مباشرة ، قبل أن يقول فى برود :

ـ (وينسلوت) أيها الإسرائيلى .. سير (وينسلوت) ... مسئول العلاقات الخارجية ، فى مجلس العموم البريطانى ، و...

مال نحوه مرة أخرى ، ثم تابع فى صرامة :

ـ والزعيم الفعلى ، لمنظمة (هيل آرت) .

انتفض جسد (إيتان) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهبَّ من مقعده بحركة حادة عنيفة ، هاتفًا :

ـ أنت ؟!..

وهنا فقط ، تخلى سير (وينسلوت) عن وقاره وبروده ، وانطلقت من أعمق أعماقه ضحكة قوية ، واثقة ، مجلجلة ، قبل أن ينفث دخان سيجاره ، ويقول :

ـ مفاجأة قوية .. أليس كذلك ؟!

ظل (إيتان) يحدق فى وجهه لبضع لحظات أخرى ، فى ذهول بالغ ، قبل أن يتراجع ، ويجلس فى مقعده ، قائلاً :

ـ إذن فهو أنت .

Looloo
www.dvd4arab.com

ومع ابتسامة سير (وينسلوت) الباردة ، هز الإسرائيلى رأسه فى قوة ، مستطردًا :

ـ من يصدق هذا ؟!

أطلق سير (وينسلوت) ضحكة قصيرة ، ونفث دخان سيجاره مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ومن يمكن أن يدين نفسه بتهمة كهذه ، بعد أن ضربت منظمة (هيل آرت) ضربتها الكبرى ، واستولت على تلك الوثائق النووية الأمريكية .

تألقت عينا (إيتان) ، وهو يقول :

ـ لو أنك هنا ، للسبب الذى يدور فى ذهنى يا سير (وينسلوت) ، فأنا واثق من أن دولتى مستعدة لدفع أى مبلغ تطلبه ، مقابل تلك الوثائق .

رفع سير (وينسلوت) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. كنت أتصور أن دولتكم هى الابن غير الشرعى للأمريكيين ، وأن التعاون بينها وبينهم كامل .

تجاهل (إيتان) العبارة تمامًا ، وهو يقول فى لهفة :

ـ كم تطلب ؛ ثمنًا لتلك الوثائق يا سير (وينسلوت) ؟!

عاد سير (وينسلوت) إلى مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، ولوح بيده الممسكة بالسيجار ، فى حركة مسرحية أنيقة ، وقال :

ـ هل تعتقد أن بإمكانكم دفع ثمنها ؟!

أجابه (إيتان) فى عصبية :

ـ قلت لك : إن دولتى مستعدة لدفع أى ثمن تطلبه ، فى مقابل تلك الوثائق .

مط سير (وينسلوت) شفتيه ، وقال فى خبث :

ـ أيعنى هذا أنك مفوض منها ، لإتمام هذه الصفقة ؟!

انعقد حاجبا (إيتان) فى شدة ، وتراجع فى مقعده بحركة حادة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فنهض سير (وينسلوت) مرة أخرى ، وقال وهو يلتقط معطفه :

ـ هذا ما توقعته .

هبّ (إيتان) من مقعده فى عصبية ، هاتفًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ رويدك يا سير (وينسلوت) .. إننا نريد حقًا هذه الصفقة ، ولن نتنازل عنها قط .

ارتدى سير (وينسلوت) معطفه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ يمكنكم إذن دخول المزاد ، يا عزيزى (إيتان) .

اعتدل (إيتان) ، وهو يقول ، فى صرامة شديدة :

ـ لا مزادات يا سير (وينسلوت) .. إننا نريد هذه الصفقة حقًا .. وبأى ثمن .

أجابه سير (وينسلوت) ، وهو يتجه إلى الباب ، ودون أن يلتفت إليه :

ـ اتصل برؤسائك فى (تل أبيب) إذن .

وفتح باب الحجرة ، ثم توقف لحظة ، قبل أن يستدير إليه ، قائلاً بغطرسة شامتة متعالية :

ـ أريد مفاوضًا أعلى شأنًا .

قالها ، وغادر المكان ، وهو يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

ولم يدرك (إيتان) ، الذى احتقن وجهه بشدة لحظتها ، أن تلك الضحكات الساخرة الشامتة الظافرة ، كانت المفتاح الفعلى .. المفتاح الحقيقى لكل الأبواب ..

أبواب الجحيم .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ لنـدن ..

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، من هواء (لنـدن) البـارد ، المشبع بدرجة عالية من الرطوبة ، وضم ياقتى معطفه فى قوة ، وهو يغادر مطار (هيثرو) ، وارتسمت على شـفتيه ابتـسامة هادئة ، عندما استقبله زميله (حـازم) ، قـائلاً فـى حـرارة وترحاب :

مرحبًا بك فى (لندن) يا صديقى .. لقد مضت فترة طويلة ، منذ التقينا لآخر مرة .

صافحه (أدهم) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ ثلاث سنوات تقريبًا .. منذ عملية الصاروخ السوفيتى(*) .

أطلق (حازم) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

اصطحبه إلى سيارة بريطانية الصنع ، وهو يربت على ظهره فى حرارة ، قائلاً :

ـ كانت عملية ، لا يمكن أن تنسى .

(*) عملية سيتم نشر تفاصيلها قريبًا..

استقل كلاهما السيارة ، التى انطلـق بهـا (حـازم) ، فـى شوارع (لندن) ، و(أدهم) يسأله :

ـ هل انتهت فترة تدريبك هنا ؟!

صمت (حازم) بضع لحظات ، ثم قال فى اقتضاب :

ـ إنه ليس تدريبًا..

لم يشعر (أدهم) بالدهشة مع قوله ..

بل ولم يحاول حتى أن يسأله عما يعنيه ..

فكرجل مخابرات محترف ، كان يدرك جيدًا مـا يعنيـه قـول زميله هذا ..

إنه فى مهمة ..

مهمة على درجة عالية من السرية ..

ووفقاً لنظم ومعايير العمل فى المخابرات ، كان من الضرورى أن يكتم (حازم) السر ..

حتى عن أقرب وأخلص أصدقائه وزملائه ..

ومن الضرورى أيضًا ألا يسأله عما يخفيه ..

Looloo
www.dvd4arab.com

هذا لأن المعرفة ، فى عالم المخابرات ، على قدر الحاجة .. فقط ..

وفى محاولة لتفادى الحديث ، حول مهمة (حازم) السرية ، تساءل (أدهم) :

ــ هل سيقيمون احتفالهم الليلة ؟!

أومأ (حازم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. فى التاسعة مساءً ، بتوقيت (جرينتش)(*) .

ورمقه بنظرة جانبية ، متسائلاً :

ــ ولكن هذا لا يروق لك .. أليس كذلك ؟!

هز (أدهم) رأسه ، قائلاً :

ــ لم يرق لى أبدًا الاحتفال بذكرى مصرع والدى ؛ فهذا يعيد إلى ذهنى المرارة نفسها ، التى شعرت وشقيقى (أحمد) بها ، عندما تم اغتياله هنا فى (لندن) .

(*) جرينتش : ضاحية من ضواحى العاصمة البريطانية (لندن) ، على نهر (التايمز) ، تقع فيها الكلية الملكية البحرية ، والمعرض الملكى ، ويعتبر أحد تلال (جرينتش بارك) ، والذى اختاره سير (كريستوفر رن) ، هو خط الزوال ، بالنسبة للطول الجغرافى .

سأله (حازم) فى تعاطف :

ــ أهذا سر كراهيتك الشديدة للإسرائيليين ؟!

تنهد (أدهم) ، مجيبًا :

ــ ألا يكفى ما يفعلونه فى (فلسطين) سببًا يا رجل ؟!

لم يجب (حازم) تساؤله ، وإنما رمقه بنظرة جانبية أخرى ، لاذ بعدها بالصمت التام ، الذى شاركه فيه (أدهم) بضع لحظات ، قبل أن يتابع :

ــ من القواعد الأولى ، التى لقننا إياها والدى (رحمه الله) ، ألا نمزج مشاعرنا الشخصية بعملنا ، ولقد أخبرنى دومًا أن رجل المخابرات الناجح ، لا ينتمى إلا لوطنه وحده .. ليس إلى المال ، أو المرأة ، أو حتى مشاعره الخاصة .

أومأ (حازم) برأسه ، قائلاً :

ــ والدك (رحمه الله) كان رجلاً عظيمًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ وأنجب ابنين عظيمين أيضًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ابتسم (أدهم) دون أن يجيب ، وحاول الاسترخاء فى مقعده ، و(حازم) يسأله فى اهتمام :

ــ ما دام الاحتفال بذكر والدك لا يروقك ، لماذا قطعت كل هذه المسافة ، من (القاهرة(إلى (لندن) ؟

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ــ لم يكن من الممكن أن أحبط الجميع ، برفض الحضور إلى هنا ، ومشاركتهم فى احتفال ، بذلوا الكثير من الجهد لإقامته ... وأظن أن هذا نفس ما فعله أخى (أحمد) أيضًا .

ابتسم (حازم) ، قائلاً :

ــ ألم أقل لك : إنكما عظيمان بحق ؟!

غمغم (أدهم) ، وهو يشيح بوجهه :

ــ العظمة لله وحده يا صديقى .

همّ (حازم) بقول شىء ما ، وهو ينحرف بالسيارة فى نهاية الطريق ، لبلوغ مبنى السفارة المصرية ، و...

وفجأة ، ضغطت قدمه دواسة الفرامل بكل قوته ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !

أدار (أدهم) عينيه بسرعة إلى الطريق ، الذى بدت حركته عادية مألوفة ، باستثناء رجل الشرطة ، الذى اعترض طريق السيارة ، ورفع راحته ليستوقفها فى صرامة ..

كان شرطيًا عاديًا بسيطًا ، يحمل ملامح صارمة حازمة ، وتشير الأشرطة على ذراعيه إلى أنه يحتل مكانة ثالثة ، بين الرتب المسموح لها بالتواجد فى طرقات العاصمة ..

ولكن شيئًا ما فى أعمق أعماق (أدهم) ، شعر بتوتر ..

توتر غامض ..

مبهم ..

عجيب ..

توتر ربما نبت من حاسة خاصة ، نمت مع الوقت والخبرة ، فى أعماق رجل مخابرات محترف ..

أو أتى من شىء ما ..

شىء رآه ..

أو سمعه ..

Looloo
www.dvd4arab.com

شيء لم تدركه حواسه التقليدية ، وإن انتبهت إليه بشدة حاسة رجل المخابرات ، فى كل ذرة من كيانه ..

المهم أنه قد اعتدل ..

وتحفز ..

وانتظر ..

وفى صرامة حازمة ، دار الشرطى حول مقدمة السيارة ، التى تحمل أرقامًا ديبلوماسية واضحة ، وهو يقول لـ (حازم) :

ـ رخصتا القيادة والسياسة يا سيدى .

أجابه (حازم) ، فى صرامة مماثلة ، وبلغة إنجليزية سليمة :

ـ هذه السيارة تحمل لوحات ديبلوماسية ، وليس من حقك أن ..

ولم يكمل (أدهم) سماع العبارة ..

الحاسة نفسها ، التى جعلته يشعر بالتوتر ، دفعته إلى الاستدارة إلى الجانب الأيسر ، الذى انشغل عنه (حازم) ، بحديثه مع الشرطى ، فى الجانب الأيمن(*)..

(*) فى (إنجلترا) ، وبعض المستعمرات التابعة لها ، أو المنفصلة عنها ، توضع عجلة القيادة فى الجانب الأيمن للسيارة ، بخلاف باقى دول العالم .

ولقد جاءت استدارته ، فى الوقت المناسب ..

المناسب تمامًا ..

ففى نفس اللحظة ، التى استدار فيها ، كان هناك رجلان ، فى معطفى مطر ، يندفعان نحو السيارة ، من جانبها الأيسر ، وكل منهما يدس يده فى معطفه ، بحركة لا يمكن أن تخطئها عين محترف مثله ..

حركة تعنى أن كلاً منهما يهم بسحب سلاحه ، و...

وكعادته ، وكما لقنه والده الراحل ، لم يضع (أدهم) لحظة واحدة ..

لم يكن يحمل سلاحًا ..

ولم يكن هناك ما يكفى من الوقت ، لسؤال (حازم) ، عما إذا كان يحمل سلاحًا بدوره ..

ولم تكن هناك دلالة واحدة ، لعدد المعتدين حولهما ..

لذا ، فقد دفع (أدهم) قدمه اليمنى ، فى حركة سريعة مرنة ، وضغط دواسة وقود السيارة ، وهو يمسك مقودها فى إحكام ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفوجئ (حازم) بالسيارة تثب فجأة ، وتنطلق من إطاراتها صرخات صريرية عنيفة ، قبل أن تندفع فى الطريق ، فصاح فى دهشة :

ــ ماذا تفعل ؟!

ولم يجب (أدهم) تساؤله ..

بل أجابته رصاصات المعتدين ..

أجابته ثلاث مرات ، تحطم معها الزجاج الخلفى للسيارة ، وتناثر بمنتهى العنف ، دون أن تدوى أية رصاصات من خلفهما ..

ومع اختراق إحدى الرصاصات الثلاث للزجاج الأمامى ، تاركة فيه ثقبًا صغيرًا ، أحيط بشبكة من الشروخ العنكبوتية ، صاح (حازم) :

ــ رباه !.. إنهم يستخدمون كواتم الصوت .

قالها ، واستعاد سيطرته على عجلة القيادة ، و(أدهم) يرفع قدمه عن دواسة الوقود ، قائلاً فى غضب :

ــ محاولة اغتيال حقيرة أخرى .

هتف (حازم) ، وهو يعيد قدمه إلى دواسة الوقود ، وينطلق بالسيارة عبر شوارع (لندن) :

ــ إنهم ليسوا رجال مخابرات .

أجابه (أدهم) ، وهو يستدير خلفه ؛ لمراقبة الطريق :

ــ نعم .. أسلوبهم أشبه بعصابات (المافيا) .

عض (حازم) شفته السفلى فى ألم ، وهو يقول :

ــ إنهم مجرمو (هيل آرت) .. يحاولون إزاحتى عن طريقهم .. لقد أدركوا حتمًا أننى قد اقتربت كثيرًا منهم .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتساءل :

ــ (هيل آرت) ؟!.. أى اسم هذا ؟!

قبل أن يجيبه (حازم) ، ظهرت ثلاث دراجات آلية ، تنطلق عكس اتجاه السير القانونى ، نحو السيارة مباشرة ..

وبحركة عنيفة ، انحرف (حازم) بالسيارة إلى جانب الطريق على نحو جعله يصطدم بجانب سيارة كبيرة أخرى ، وهو يهتف :

ــ احترس يا (أدهم) .

Looloo
www.dvd4arab.com

وقبل حتى أن يكتمل هتافه ، كان ركاب الدراجات الثلاث يصوبون مسدساتهم ، المزودة بكواتم للصوت ، نحو السيارة مباشرة ..

ويطلقون النار ..

ولكن رد فعل (أدهم) كان سريعًا للغاية ..

لقد انحنى بسرعة ، ومال جانباً ، وسمع صوت اختراق الرصاصات الصامتة لزجاج السيارة الأمامى ، الذى تناثر بعضه فوق رأسه مباشرة ، ممتزجًا بآهة ألم ، أطلقها (حازم) ، قبل أن ينحرف بالسيارة مرة أخرى ، صائحًا :

ــ لقد ظفروا بى .

استدار إليه (أدهم) بحركة حادة ، وشاهد ذلك الخيط من الدم ، الذى يسيل على قميصه ، من ثقب فى صدره ، وبقعة الدم الكبيرة ، التى تغطى كتفه اليسرى ، فى نفس اللحظة التى اختل فيها توازن السيارة ، وقفزت فوق الأفريز الجانبى للطريق ، وارتطمت بأحد أعمدة الإنارة المعدنية ، ثم انقلبت على جانبها ، وراحت تزحف على الأفريز ، لمتر أو مترين ، قبل أن تنقلب مرة أخرى على سطحها ، وإطاراتها تواصل دورانها عالياً فى الهواء ..

وطوال كل هذا الوقت ، ومع الحركة المعقدة ، التى قامت بها السيارة أثناء انقلابها ، لم يتوقف راكبو الدراجات الآلية الثلاث لحظة واحدة ، عن إطلاق رصاصاتهم نحوها ..

ونحو خزان وقودها بالتحديد ..

وساد ذعر شديد ، فى ذلك الشارع اللندنى ، مع المشهد الرهيب ، الذى يصلح لشاشة السينما ، بأكثر مما يصلح على أرض الواقع ، وبخاصة عندما توقف القتلة بدراجاتهم الآلية ، فى حركة تشف عن البراعة ، على مسافة أمتار قليلة من السيارة المقلوبة رأسًا على عقب ، وصوبوا فوهات مسدساتهم نحو خزان وقودها مباشرة ، و ...

وفجأة ، خيل إليهم ، ولكل شهود عيان الواقعة ، أن صاعقة قد انطلقت من السيارة ، وانقضت عليهم بعنف ..

بمنتهى العنف ..

صاعقة بشرية ، اندفعت عبر نافذة السيارة المقلوبة ، وبدا وكأنها قد طارت فى الهواء ، أو أنها تتحرك فى أربعة اتجاهات فى وقت واحد ، لتطيح بالقتلة الثلاثة على نحو مدهش ، عجز كل الشهود عن وصفه بدقة ، فى تقارير الشرطة الرسمية ..

www.dvd4arab.com

كل ما اتفقوا عليه ، هو أنه بعد ثانية واحدة ، كان هناك رجل وسيم ، يقف بين ثلاثة من قائدى الدراجات النارية ، الذين فقدوا الوعى ، وسيارة مقلوبة ، بدأت النيران تشتعل فى مؤخرتها بالفعل ، وأن ذلك الرجل قد انحنى ، والتقط أحد تلك المسدسات ، المزودة بكواتم الصوت ، قبل أن يهتف بالجميع ، بلغة إنجليزية سليمة ، ولهجة لندنية دقيقة ، جعلتهم يقسمون جميعًا ، دون استثناء واحد ، على أنه بريطانى الجنسية :

ــ ابتعدوا .. ابتعدوا بسرعة .. السيارة ستنفجر .

وعند هذه النقطة ، اختلفت أقوال شهود العيان ..

اثنان فقط ، أشارا إلى أنهما قد شاهدا ذلك الرجل ، وهو يدور حول السيارة ، ويجذب جسد رجل مصاب خارجها ، ثم يحمله على كتفيه ، وينطلق مبتعدًا ، فى سرعة مدهشة ..

أما الباقون ، فلم تزد أقوالهم على أنهم قد ابتعدوا مذعورين ، وسمعوا صوت انفجار السيارة خلفهم ، وشعروا بوهج انفجارها فى ظهورهم ، وعندما استداروا لرؤية ما حدث ، كان ذلك الرجل قد اختفى بحمله ..

اختفى تمامًا ..

أما الشهود الفرعيون ، فى الشارعين الرئيسيين ، اللذين يفصلان السفارة المصرية ، عن موقع الحادث ، فقد اجتمعوا على أنهم قد شاهدوا ذلك الرجل ، وهو يعدو كشخص آلى قوى ، حاملاً ذلك المصاب على كتفيه ، دون أن يتوقف لحظة واحدة ليلتقط أنفاسه ، أو ينتظر وصول سيارة الإسعاف ، التى تعالى دوى أبواقها ، وهى تشق طريقها إلى موقع الحادث العنيف ..

« هل سينجو ؟!.. »

ألقى (أدهم) السؤال ، فى توتر بالغ ، على مسامع الملحق الطبى للسفارة المصرية ، والذى انهمك مع فريق طبى خاص ، فى فحص إصابات (حازم) ، قبل أن يجيب :

ــ حالته ليست مطمئنة ، وسيحتاج إلى جراحة عاجلة حتمًا ؛ لاستخراج تلك الرصاصة ، التى اخترقت قفصه الصدرى ، أما الأخرى ، التى أصابت كتفه اليسرى من الخلف ، فيمكننى إخراجها بالإمكانيات المتاحة هنا .

ثم اعتدل ، وعدل منظاره الطبى على أنفه ، مضيفًا فى حزم :

ــ ولكننى لا أنصح بهذا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

سأله (أدهم) فى صرامة عجيبة :

ــ وما الذى تنصح به بالضبط ؟!.. ما الأفضل بالنسبة له ؟!

أجابه الطبيب ، فى سرعة وحسم :

ــ لابد من نقله فورًا ، إلى أقرب مستشفى إلينا ؛ فهو فاقد الوعى ، وتلك الرصاصة فى صدره ، قد تؤدى إلى موته فى أية لحظة ؛ لو لم يتم استخراجها جراحيًا ، بأقصى سرعة ممكنة .

شد (أدهم) قامته ، وبدا حازمًا صارمًا ، وهو يلتفت إلى الملحق الطبى للسفارة ، قائلاً :

ــ فلنتخذ كل الإجراءات ؛ لنقله إلى المستشفى فورًا .

هز الملحق العسكرى رأسه ، قائلاً فى توتر :

ــ ولكن المستشفى يعنى العديد من الإجراءات الرسمية ، وتحقيقات الشرطة ، و...

قاطعه (أدهم) بمنتهى الحزم :

ــ سنفعل الأفضل له .

عاد الملحق العسكرى يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

ــ الأفضل له أن نقوم باستدعاء أحد كبار الجراحين إلى هنا ، و...

قاطعه الملحق الطبى فى توتر :

ــ هذا لن يكفى .. الرجل يحتاج إلى ما هو أكثر من جراح ماهر .. إنه يحتاج إلى إمكانيات للإسعاف والعناية الفائقة ، لا يمكن أن تتواجد إلا فى مستشفى كبير ، يملك إمكانيات طبية كاملة .

قال الملحق العسكرى فى عصبية :

ــ وماذا لو حاولوا اغتياله مرة أخرى هناك ؟!... الشرطة هنا لن تسمح لنا بحمايته ، وستصر على أن تتولى المهمة بنفسها ، ولا يمكنك الآن أن تثق فى أى رجل شرطة بريطانى ، و...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ــ لن يحاولوا اغتياله هناك .

سأله الملحق العسكرى فى عصبية :

ــ ومن سيمنعهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أنا .

حدق الكل فى وجهه بدهشة بضع لحظات ، ثم لم يلبث الملحق العسكرى أن وضع يده على كتفه ، قائلاً :

ــ اسمعنى جيدًا يا (أدهم) .. كلنا هنا نعرف مدى تفوقك وقدراتك ، ونعلم الكثير عن تلك التجربة الفريدة ، التى قام بها والدك (رحمه الله) ، ليصنع منك ما صنعه ، ولكنك هنا فى أرض أجنبية ، ولو حاولت حماية صديقك وحدك ، على نحو غير رسمى ، سيكون عليك أن تواجه القتلة ، والشرطة البريطانية أيضًا ، و...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ــ اطمئن .. لن أفعل ما يمكن أن يخطر ببالك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ــ أو ببالهم .

سأله الملحق العسكرى فى حذر متوتر :

ــ ما الذى تعنيه بالضبط ؟!

تطلع (أدهم) فى إشفاق إلى وجه زميله (حازم) الشاحب ، وربت عليه فى رفق ، وهو يتنهد فى عمق ، قبل أن يقول :

ــ لن يحاولوا اغتياله .

سأله الملحق العسكرى فى توتر أكثر :

ــ وما الذى يمكن أن يمنعهم ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ــ إنهم سيسعون لاغتيالى أنا .

نطقها فى ثقة عجيبة ، جعلت الكل يحدق فيه فى ذهول ..

ولكنه بدا أمامهم قويًا ..

صارمًا ..

حازمًا ..

متماسكًا ..

وواثقًا ..

لذا ، فقد ازدرد الملحق العسكرى لعابه فى صعوبة وتوتر ،

Looloo

قبل أن يميل نحوه ، ويسأله فى خفوت ، وكأنما يخشى تحطيم حالة الانبهار ، المسيطرة على المكان :

ـ وكيف هذا ؟!

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيبه بمنتهى الحزم :

ـ لدى خطة .

نطقها فى ثقة شديدة ، وفى اقتضاب شديد ، دون أن يضيف أية تفاصيل ..

ودون أن يسأله أحدهم عما يعنيه ..

فقد بدا ، فى تلك اللحظة ، واثقًا وغامضًا ..

إلى أقصى حد .

* * *

4 ـ الأوغـــاد ..

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، زعيم منظمة (هيل آرت) ، فى صرامة شديدة ، وهو ينفث دخان سيجاره الفخم ، فى وجه قائد حرسه (بيتون) ، قائلاً :

ـ الفشل يا (بيتون) .. الشىء الوحيد الذى أبغضه ، فى حياتى كلها .

بدا (بيتون) شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ العملية تم تخطيطها وتنفيذها بمنتهى الدقة يا سير (وينسلوت) ، ولكن هناك عوامل خارجية ، أفسدت بعض خطواتها ، وانتهت بخسارة فرصة اصطياد الفريسة .

مال سير (وينسلوت) نحوه ، ونفث دخان سيجاره مرة أخرى فى وجهه ، قائلاً :

ـ وهذا بالضبط ما أطلق عليه اسم الفشل يا (بيتون) ..

تضاعف توتر (بيتون) ، وسير (وينسلوت) يلوح فى وجهه بسيجاره الفخم ، مستطردًا بنفس الصرامة القاسية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الفشل الحقيقى هو ألا تضع فى حساباتك كل الاحتمالات الممكنة .. حتى غير المنطقى منها .. ألا تضع أكثر من خطة ، وليس خطة واحدة ، بحيث يمكنك أن تنتقل ، من واحدة إلى أخرى ، إذا ما تغيرت الظروف ، أو ظهرت عوامل غير متوقعة .

قال (بيتون) فى عصبية :

ـ وهذا بالضبط ما فعلته يا سير (وينسلوت) .. لقد وضعت خطة أساسية ، وأخرى احتياطية ، وتعتمد على اصطياد ركاب الدراجات النارية لهم ، لو أنهم أفلتوا من الفخ الأول ، ولكن ...

قاطعه سير (وينسلوت) فى صرامة :

ـ أبغض ما أبغضه هو كلمة (لكن) هذه ؛ فهى تعترض دومًا سير الأحداث ، وتفسد مجريات الأمور .

قال (بيتون) فى حدة غير مقصودة :

ـ ذلك الرجل الآخر لم يكن شخصًا عاديًا .

التقى حاجبا سير (وينسلوت) مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ وكيف هذا ؟!..

بدا (بيتون) شديد الانفعال ، على نحو يفوق المألوف ، وهو يلوح بذراعيه ، قائلاً :

ـ أنت تعرفنى جيدًا يا سير (وينسلوت) .. أنا رجل مخابرات قديم ومحترف ، وأقود لحسابك فريقًا من أبرع محترفى القتال .. والقتل أيضًا ، وعلى الرغم من هذا ، فلم أر ، فى حياتى كلها ، من يفوق ذلك الرجل قوة ، وسرعة ، وبراعة !!.. لقد شاهدت بنفسى فيلمًا قصيرًا ، صوره أحد رجالنا لما حدث ، بناءً على أوامرى ، وكاد قلبى يثب من بين ضلوعى ، من فرط دهشتى وانفعالى ، وأنا أشاهد الوسيلة ، التى تعامل بها مع رجالنا .

واشتد انفعاله أكثر ، وهو يهتف :

ـ لقد أسقط ثلاثة من المحترفين ، فيما بدا وكأنه ثانية واحدة !!.. إنه ليس رجلاً عاديًا بالتأكيد .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى دهشة ، وهو يتطلع إلى انفعال قائد حراسه ، الذى لم يرصده من قبل قط ، على محترف مثله ، ثم سأله فى برود صارم :

ـ وأين ذلك الفيلم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (بيتون) فى سرعة ، وكأنه كان ينتظر هذا السؤال بالتحديد :

ـ لقد أحضرته معى يا سير (وينسلوت) .

استغرق الأمر عشر دقائق فحسب ، لإعداد الفيلم للعرض ، ثم أطفأ (بيتون) أنوار الحجرة ، وهو يقول بنفس الانفعال ، الذى لم يفارقه بعد :

ـ ستشاهده بنفسك يا سير (وينسلوت) .

راح سير (وينسلوت) ينفث دخان سيجاره الفخم فى بطء ، وهو يستنفر كل بروده الإنجليزى الموروث ؛ للسيطرة على انفعاله الجارف ، أثناء متابعته ذلك الفيلم القصير جدًا ، لحادث سيارة (حازم) ، ذات اللوحات الديبلوماسية ..

وكدلالة على اهتمامه الشديد ، طلب إعادة العرض مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة ، طالع خلالها الفيلم ، كان يحاول عبثًا رؤية وجه (أدهم) ، أو تحديد ملامحه ، مع حركته فائقة السرعة ..

وأخيرًا أدرك أن هذا مستحيل !..

السرعة التى يتحرك بها (أدهم) ، كانت تفوق سرعة آلات التصوير الحديثة ، فى تلك الفترة ، على رصد التفاصيل الدقيقة ..

وفى نهاية العرض الأخير ، أشار سير (وينسلوت) إلى قائد حراسه بإشعال الأضواء ، قبل أن يقول فى برود :

ـ أرسل هذا الفيلم إلى معاملنا الخاصة .. أريد طبع صور مكبرة ، لكل ما يحويه من تفاصيل ، لوجه ذلك الرجل ، الذى أفسد عمليتكم .

قال (بيتون) فى سرعة :

ـ فورًا يا سير (وينسلوت) .

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل تعلم شيئًا ، عن مصير الرجل الآخر ؟!.. أعنى رجل المخابرات المصرى ، الذى فشلت خطة اغتياله .. لقد حمله زميله الفائق على كتفيه ، وانطلق يجرى به نحو سفارتهما ، كما يوضح فيلمك ، ولكنكم لا تعرفون ما إذا كان قد نجا تمامًا ، أم ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قبل أن يتم عبارته ، اندفع (بيتون) يقول فى انفعال :

ــ لقد تم نقله إلى المستشفى ؛ لإسعافه من طلق نارى فى صدره .

اعتدل سير (وينسلوت) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ أى مستشفى ؟!

أجابه فى سرعة :

ــ (لندن كلينيك) .

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده الوثير ، ونفث دخان سيجاره فى بطء وعمق ، وهو يقول :

ــ عظيم .. هذا يمنحكم فرصة ثانية إذن .

شد (بيتون) قامته ، فى وقفة عسكرية غريزية ، وهو يقول ، فى اهتمام منفعل :

ــ هل نقوم بمحاولة أخرى لاغتياله هناك ؟!

قال سير (وينسلوت) فى صرامة :

ــ وهل يحتاج هذا إلى سؤال ؟!

أجابه (بيتون) فى حماس :

ــ كلا .. كلا بالتأكيد يا سير (وينسلوت) .

قالها ، واندفع لتنفيذ الأمر ، فاستوقفه سير (وينسلوت) ، قائلاً بمنتهى الحزم والصرامة :

ــ (بيتون) .. لا أريد أية أخطاء هذه المرة .

أومأ (بيتون) برأسه فى توتر ، قائلاً :

ــ بالتأكيد يا سير (وينسلوت) .. بالتأكيد .

قالها (بيتون) ، وغادر المكان فى سرعة ، ولم يكد يفعل ، حتى قلب سير (وينسلوت) شفتيه ، مغمغمًا :

ــ يالالغباء !.. لماذا يرفض العباقرة دومًا ، العمل فى مجالات الأمن والحراسة ؟!

نفث دخان سيجاره فى عمق ، وهو يراجع تفاصيل الموقف فى ذهنه ، و...

وفجأة ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ..

الخاص جدًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى دهشة قلقة ، التفت سير (وينسلوت) إلى هاتفه الخاص ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !.. المفترض أن هذا الهاتف سرى للغاية .

كان الهاتف خاصًا وسريًا بالفعل ، حتى أنه لم يكن مسجلاً باسم سير (وينسلوت) ، أو يحمل الأرقام المعتادة للمنطقة ، لذا فقد شعر زعيم منظمة (هيل آرت) بقلق وتوتر حقيقيين ، وهو يلتقط سماعته فى حذر ، ويضعها على أذنه ، قائلاً ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ لتغيير صوته الطبيعى :

ـ من المتحدث ؟!

فوجئ بصوت هادئ من الجانب الآخر ، يجيب فى لهجة حملت لمحة من الخبث :

ـ سير (وينسلوت) .. دولتى كلفتنى الاتصال بك فورًا ؛ للتفاوض بشأن ما لديك ؟!

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) بشدة ، وهو يقول بحذر أكثر :

ـ دولتك ؟!

أجابه صاحب الصوت الهادئ الخبيث فى سرعة :

ـ نعم .. دولتى .. (إسرائيل) يا سير (وينسلوت) .

صمت سير (وينسلوت) لحظة ، قبل أن يقول بصوت هادئ ، أخفى تمامًا ذلك القلق ، الذى يعتمل فى أعماقه :

ـ آه .. الآن فقط فهمت ، لماذا استخدمتم هذا الرقم الخاص ، بدلاً من الاتصال عبر هاتفى التقليدى .. إنها رسالة من جهاز مخابراتكم .. أليس كذلك ؟!

أجابه صاحب الصوت الهادئ ، فى خبث أكثر :

ـ لو أنها رسالة ، فهى دليل على الصداقة القوية ، والتعاون المثمر ، بين دولتنا ومنظمتك .

كاد سير (وينسلوت) يجيبه بعبارة قاسية صارمة ، إلا أنه صمت لحظة ، ثم قال ببروده الإنجليزى الشهير :

ـ بالتأكيد .

التقط صاحب الصوت الخيط ، وقال فى احترام مدروس :

ـ كل ما أطلبه هو موعد للقاء ؛ لنناقش طلباتك واقتراحاتك ، بشأن الصفقة التى سنعقدها معًا ، يا سير (وينسلوت) .

Looloo www.dvd4arab.com

صمت سير (وينسلوت) بضع لحظات أخرى ، نفث خلالها دخان سيجاره فى بطء ، قبل أن يقول :

ــ إنك تتحدث من (لندن) يا سيد...

أجابه الرجل فى سرعة :

ــ (جراهام) يا سير (وينسلوت) .. (دافيد جراهام) .

سأله سير (وينسلوت) فى صرامة :

ــ وكيف وصلت بهذه السرعة يا سيد (جراهام) ، من (تل أبيب) إلى (لندن) ؟!

أجابه (جراهام) فى احترام مفتعل :

ــ لم آت من الوطن يا سير (وينسلوت) .. من الواضح أن ما لديك يهم رؤسائى جدًا ، فقد أجروا اتصالاً مباشرًا معى من (تل أبيب) ، وطلبوا من التوجه من (باريس) إلى هنا ، لألتقى بك مباشرة ، فى أسرع وقت ممكن ، كما منحونى كل الصلاحيات اللازمة للتفاوض ، وإتمام الصفقة على نحو مرض .

مط (وينسلوت) شفتيه ، وقال :

ــ فليكن .. يمكننا أن نلتقى خلال ساعة واحدة .

قال (جراهام) فى سرعة :

ــ وماذا عن الآن ؟!

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، وهو يقول مستنكرًا :

ــ الآن ؟!

أجابه (جراهام) بنفس السرعة ، وكأنما يحاول ألا يمنحه فرصة للتفكير :

ــ ولم لا يا سير (وينسلوت) ؟!.. الصفقات الضخمة تحتاج إلى عدم إضاعة لحظة واحدة ، ثم إننى أتحدث إليك من هاتف سيارة ، أقودها فى الطريق إلى قصرك مباشرة ، وسأصل إليه خلال خمس دقائق لا أكثر .

ازداد انعقاد حاجبى سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أسلوبكم هذا لا يروق لى .

أجاب (جراهام) ، بسرعته المعهودة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وربما لا يروق لنا أسلوبك أيضـًا يا سير (وينسلوت) ، ولكن هذا لا يهم... المهم أن نتفق فى النهاية ، على أسلوب يرضينا معًا .

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره ، وهو يقول فى بطء حذر :

ـ ولم ؟!.. إنها مجرد صفقة !

خيل إليه أن أسلاك الهاتف قد نقلت إليه ابتسامة (جراهام) الساخرة ، والتى لم تبد فى لهجة ذلك الأخير ، وهو يقول :

ـ لو أن الأمر مجرد صفقة ، لأعلنت رقمًا بكل بساطة ، قبل أن تطلب مقابلة مفاوض أعلى شأنًا... كلا يا سير (وينسلوت) .. الواقع أنك تنشد نفس ما ننشده ، من خلال اتصالنا بك ..

وقسا صوته ، على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ أن نغير معًا وجه العالم .. وإلى الأبد .

ولم ينبس سير (وينسلوت) ببنت شفة ..

فالواقع أن (جراهام) هذا كان على حق ..

على حق تمامًا ..

* * *

لم تكد سيارة فريق (بيتون) تتوقف ، أمام مستشفى (لندن كلينيك) الشهير ، فى قلب العاصمة البريطانية ، حتى غادرها هذا الأخير ، فى معطفه الأنيق ، وتبعه اثنان من رجاله إلى داخل المكان ، وهو يسأل أحدهما فى صرامة :

ـ أأنت واثق من أن حجرته فى الطابق الثانى ؟!

أجابه الرجل ، فى سرعة وحزم :

ـ رقمها (تسعة ـ بى) أيها القائد ، والأطباء يستعدون لإجراء جراحة طوارئ له الآن ، أما الشرطة ، فقد راق المبلغ الذى دفعناه لرئيسها ، وقرر ألا يبدأ تحقيقاته ، إلا صباح الغد ، عندما يستعيد المصاب المصرى وعيه ، عقب العملية الجراحية .

تساءل (بيتون) ، وهو يتجه نحو المصعد :

ـ وماذا عن طاقم أمن السفارة المصرية ؟!.. هل يقوم بعضهم بحراسته هنا ؟!

أجاب الرجل الآخر :

ـ رئيس الشرطة منعهم من هذا أيضـًا ، وأخبرهم أن صلاحياتهم تنتهى عند باب سفارتهم ، وفقًا للقوانين والقواعد الدولية(*) ، وأنه سيؤمن الحراسة اللازمة لرجلهم المصاب .

(*) معلومة صحيحة .

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغم (بيتون) ، والمصعد يحملهم إلى الطابق الثانى :

ــ عظيم .

لم يتبادلوا كلمة واحدة إضافية ، حتى بلغ بهم المصعد الطابق الثانى ، فاتجهوا مباشرة نحو الحجرة المنشودة ، والتى اختفى الشرطى الذى يقوم على حراستها بوسيلة ما ، وترك خلفه مقعدًا خاليًا ، واستوقف (بيتون) ممرضة تهم بدخولها ، وهو يقول فى صرامة :

ــ فيما بعد ... نريد أن نستجوب المصاب أولاً .

حاولت الممرضة أن تعترض ، قائلة :

ــ ولكن الأطباء المعالجين أكدوا أن ...

قاطعها أحد الرجلين ، وهو يقول فى خشونة قاسية :

ــ قلنا : فيما بعد .

تراجعت الممرضة فى توتر غاضب ، فى حين أشار (بيتون) إلى أحد الرجلين ، قائلاً :

ــ ابق هنا ؛ لمنع أى مخلوق من الدخول ، حتى نتم المهمة ، ونرحل جميعًا من هنا بسرعة .

شد الرجل قامته ، وهو يقف أمام الباب فى صرامة ، فى حين سحب (بيتون) والآخر مسدسيهما فى تحفز ، وهما يخفياهما بجسديهما عن العاملين بالمكان ، ودفع (بيتون) باب الحجرة بقدمه ، واندفع مع الرجل الآخر داخلها ، وأطلق كلاهما عدة رصاصات صامتة ، نحو رأس وجسد ذلك الشخص ، الراقد على الفراش الطبى فى منتصفها ، والمحاط بعدد من أجهزة العناية الفائقة ..

كان تصويبهما دقيقًا وصائبًا ، شأن أى محترف فى هذا المضمار ، إلا أن صوت ارتطام الرصاصات بدا عجيبًا فى أذنيهما ، وأشبه بصوت ارتطامها بلوح من الخشب ، منه بجسد حى ، و...

« مفاجأة .. »

نطق (أدهم) الكلمة ، فى سخرية واضحة ، وهو يبرز من خلف باب الحجرة بغتة ، ويركل المسدس من يد (بيتون) ، ثم يدور فى سرعة ورشاقة ، ليلكم الرجل الآخر فى فكه ، لكمة بدت أشبه بالقنبلة ، وهى تنتزع قدمى الرجل من الأرض ، وتدفعهما معه لمترين كاملين ، تجاوز بهما الباب المفتوح ، وعبر ممر قسم العناية الفائقة ، ليرتطم بالجدار المقابل فى عنف ، أمام عينى زميله ، وجميع العاملين فى القسم ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وانطلقت صرخة ارتياع ، من بين شفتى إحدى الممرضات ، فى نفس اللحظة التى سحب فيها الرجل الآخر مسدسه ، المزود بكاتم للصوت ، واندفع داخل الحجرة ، وهو يطلق زمجرة وحشية ..

ولكن (أدهم) ركل الباب بكل قوته ، فارتطم بوجه الرجل فى عنف ، ودفعه إلى الخلف فى قوة ، فى نفس الوقت الذى سحب فيه (بيتون) خنجرًا ماضيًا من حزامه ، وهو يهتف فى غضب :

ــ إذن فهو فخ .

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وهو يلتفت إليه فى تحفز :

ــ وأنت سقطت فيه كالغر الساذج أيها الوغد .

لم يكد ينطقها ، حتى أطلق الرجل فى الخارج ، عدة رصاصات نحو رتاج باب الحجرة ، فانتزعه من مكانه ، قبل أن يقتحم الحجرة بمنتهى العنف ..

وفى سرعة وقوة ورشاقة ، استقبله (أدهم) بلكمة ساحقة ، فى أنفسه مباشرة ، قائلاً :

ــ كان ينبغى أن تقرع الباب أيها الحقير .

تفجرت الدماء من أنف الرجل ، وهو يتراجع فى عنف ، إلا أن جسده القوى ساعده على التماسك ، فلم يسقط أرضًا ، وإنما رفع مسدسه مرة أخرى نحو (أدهم) ، وهو يصرخ فى وحشية :

ــ أيها الـ ...

وقبل أن يكملها ، ارتفع جسد (أدهم) فى الهواء ، وطار نحوه ، فى مرونة مذهلة ، ليركله فى فكه ركلة عنيفة ، طار معها جسد الرجل بدوره ، وارتطم بزميله ، الذى كان يهم بالنهوض ، فسقط كلاهما أرضًا ، فاقدى الوعى ..

وقبل حتى أن تعود قدما (أدهم) إلى الأرض ، كان (بيتون) يندفع نحوه بخنجره ، صارخًا فى شراسة :

ــ مت أيها المصرى .. مت .

كان بارعًا للغاية فى استخدام خنجره ، شأن أى محترف ..

وكانت يده تعرف هدفها .. .

وتتجه نحو قلب (أدهم) مباشرة ..

ولكن فجأة ، وقبل أن يبلغ نصل الخنجر هدفه ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على معصم (بيتون) ولوته فى قوة عجز

www.dvd4arab.com

هذا الأخير عن احتمالها ، فانفتحت أصابعه ، وسقط الخنجر من يده ، وانغرس أرضًا ، بين قدمى (أدهم) ، الذى تطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة قاسية ، كافية لتجميد الدماء فى العروق :

ـ أنت تنتمى إلى منظمة (هيل آرت) .. أليس كذلك ؟!..

صاح (بيتون) ، فى ألم غاضب :

ـ اترك معصمى ، وإلا ..

لوى (أدهم) معصمه أكثر ، حتى أجبره على السقوط على ركبتيه أمامه ، وهو يقول :

ـ وإلا ماذا أيها الوغد ؟!

صاح (بيتون) ، وقد امتزج ألمه بوحشية قاسية غاضبة :

ـ وإلا فسينسف الفريق الاحتياطى من رجالى هذا المستشفى ، بكل ما فيه ، ومن فيه .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ إنك لن تجرؤ .

صاح (بيتون) ، وقد بلغ ألمه وغضبه مبلغهما :

ـ جربنى .

لم يكن (أدهم) يعلم شيئًا ، حتى تلك اللحظة ، عن منظمة (هيل آرت) ، أو عن طبيعتها وطبيعة رجالها وقياداتها ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقه ، أنبأه أن (بيتون) صادق تمامًا فى قوله ، فترك معصمه ، وانحنى يجذبه من ياقتى معطفه ، ويجبره على الوقوف ، ثم دفعه نحو النافذة ، وهو يقول ، متطلعًا إلى عينيه مباشرة ، بنظرة صارمة قاسية :

ـ اسمعنى جيدًا يا هذا .. لست أدرى موقعك فى تلك المنظمة الحقيرة بالضبط ، ولكننى أريد أن تبلغ زعيمها رسالة قصيرة ، ينبغى أن تحفظها عن ظهر قلب .

ومال نحوه ، فى صرامة أشد ، مستطردًا :

ـ أخبره أنه قد تجاوز حدوده ، عندما حاول اغتيال ميلى ، وأنه سيدفع ثمن هذا غاليًا .. غاليًا جدًا .

ثم استنفر كل غضبه وعضلاته ، ورفعه من ياقتى معطفه ، مضيفًا فى قسوة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ والآن ، انصرف من هنا .

قالها ، ودفع (بيتون) نحو النافذة الزجاجية ، بكل ما يملك من قوة ، فارتطم بها الرجل فى عنف ، وحطمها بدوى شديد ، وسقط منها ، وهو يطلق صرخة رعب ، ولكن جسده ارتطم بمظلة واقية كبيرة ، عند نافذة الطابق الأول ، فتدحرج فوقها لحظة ، قبل أن يسقط مرة أخرى ، فوق سقف إحدى السيارات الطبية ، عند الطابق الأرضى ..

وبكل ثورته ، صرخ (بيتون) :

ــ لن تفلت بهذا .

فى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها صرخته ، كان رجال أمن المستشفى يندفعون داخل تلك الحجرة ، التى دار فيها القتال ، ثم يتوقفون فى دهشة حائرة ..

فباستثناء الرجلين ، الفاقدى الوعى فى الممر ، كانت الحجرة خالية من أى بشر ..

خالية تمامًا ..

* * *

5 ـ التحدى ..

ارتسمت ابتسامة خبيثة كبيرة ، على شفتى الإسرائيلى (دافيد جراهام) ، وهو ينحنى انحناءة منافقة مصطنعة ، أمام سير (وينسلوت) ، قبل أن يصافحه ، قائلاً فى احترام ، تفوح منه رائحة الدهاء :

ــ إنه لشرف كبير أن ألتقى بك شخصيًا ، يا سير (وينسلوت) ؛ فأنت أحد البريطانيين المحترمين ، الذين قدموا خدماتهم الجليلة ، على نحو أو آخر ، لحكومة (إسرائيل) .

لم يبال سير (وينسلوت) كثيرًا ، بهذه العبارات المعسولة ، وهو يشير إلى مقعد بعيد ، قائلاً :

ــ اجلس يا مستر (جراهام) ، وأخبرنى ماذا لديك ولدى حكومتك ، بشأن عرضى الخاص .

جلس (جراهام) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ حكومتى وأنا نقدم لك خالص تحياتنا ، وشكرنا وتقديرنا أيضًا يا سير (وينسلوت) ، ونتعشم أن يكون لقاؤنا هذا مجرد بداية ، لتعاون طويل ومثمر بيننا وبين ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قاطعه سير (وينسلوت) فى برود :

ــ كم ستدفعون ، مقابل الوثائق الأمريكية يا مستر (جراهام) ؟!

استرخى (جراهام) فى مقعده ، وهو يقول :

ــ كل ما تطلبه يا سير (وينسلوت) .. لن نختلف لحظة واحدة ؛ فكما أخبرتك .. إنها مجرد بداية .

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره ، فى بطء وهدوء ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويتطلع إلى (جراهام) فى عمق ، وكأنما يحاول سبر أغواره ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ أريد عشرة ملايين دولار .. عدًا ونقدًا .. لست أتعامل بالشيكات .. حتى الحكومية منها .

لوح (جراهام) بيده ، قائلاً :

ــ حدد فقط أين ومتى ترغب فى تسلم المبلغ .

قال سير (وينسلوت) فى حذر :

ــ هكذا .. بكل بساطة ؟!..

أومأ (جراهام) برأسه ، مجيبًا :

ــ نعم .. هكذا ، وبكل بساطة يا سير (وينسلوت) .

مال (وينسلوت) إلى الأمام ، وهو يقول ، فى شىء من الصرامة :

ــ ودون أن تلقى نظرة واحدة ، على ما تحويه تلك الوثائق .

بدت ابتسامة (جراهام) مفعمة بالخبث والدهاء ، وهو يقول :

ــ نحن نعرف ما تحويه ، ونريدها بشدة .

ثم اعتدل فى مقعده ، وأضاف بلهجة ذات مغزى خاص :

ــ ونريد ما هو أكثر منها أيضًا .

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة حذرة أخرى ، قبل أن يسأله :

ــ مثل ماذا ؟!

عاد (جراهام) يتراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يجيب :

ــ كل ما يتعلق بالعلاقات المصرية الأمريكية مثلاً ، بالإضافة إلى كل ما يمكنك الحصول عليه ، من أسرار المصريين .

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره ، وهو يقول ، ولهجته تحمل لمحة من السخرية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ كنت أظن أن اتفاقية السلام ، التى وقعتموها مع المصريين مؤخرًا ، ستنهى حالة العداء الطويل ، بينكم وبينهم .

بذل (جراهام) جهدًا حقيقيًا ، ليخفى انفعالاته هذه المرة ، وهو يقول :

ــ خبراؤنا يقولون : إن المصريين لن يتوقفوا أبدًا عن اعتبارنا أعداءً لهم ، حتى ولو وقعنا معهم ألف اتفاقية سلام .

أشار سير (وينسلوت) بيده ، قائلاً :

ــ ربما لأنكم كذلك بالفعل .

صمت (جراهام) طويلاً ، وكأنما يزن كلماته جيدًا ، قبل أن يجيب فى بطء :

ــ ليس بصفة رسمية .

ابتسم سير (وينسلوت) ، وهو يقول :

ــ بالضبط .

ثم أشار بيده ، وهو ينفث دخان سيجاره الفخم ، مستطردًا :

ــ الآن ، وبعد هذه المصارحة ، يمكننا أن نبدأ حديثنا ، حول تعاملاتنا المستقبلية يا مستر (جراهام) .

اتسعت ابتسامة (جراهام) ، وهو يقول :

ــ بكل تأكيد يا سير (وينسلوت) .. بكل تأكيد .

وكانت هذه هى البداية ..

بداية تآزر قوى الشر ..

على المستوى العالمى ..

* * *

لم يشعر قائد الحرس (بيتون) ، فى حياته كلها بالسخط والغضب ، مثلما شعر بهما ، وهو يجلس وسط من تبقى من رجاله ، فى السيارة الكبيرة ، التى تنطلق بهم ، عائدة إلى قصر سير (وينسلوت) ..

لم يكن من العسير عليه ــ كمحترف ــ أن يدرك طبيعة الخدعة ، التى قام بها المصريون ، عندما نقلوا رجلهم علاية إلى مستشفى (لندن كلينيك) ، ثم عادوا ينقلونه سرًا إلى مكان آخر ، تاركين الآخر خلفهم ، متظاهرًا بأنه الأول ، على نحو أو آخر ..

أما تلك الدمية الخشبية ، التى أطلق عليها ورجله النار ، فهى الجزء الأبسط والأسخف من اللعبة كلها

Looloo
www.dvd4arab.com

إلا أنه لا يستطيع أبدًا نسيان تلك الكلمات الصارمة ، التى قذفها المصرى الآخر فى وجهه ، قبل أن يلقى به من نافذة الطابق الثانى ، على هذا النحو المهين ..

وهو لن يغفر له هذا أبدًا ..

ولن ينساه قط ..

ربما فشلت محاولته الثانية ؛ لاغتيال المصرى الأول ، إلا أن هذا لا يعنى أن العملية كلها قد فشلت ..

إنه لن يتوقف ، قبل أن يظفر بهما معًا ..

المصرى الأول ، والثانى ..

وبالذات الثانى ..

لن يهدأ له بال ، قبل أن يظفر به ..

وبأى ثمن ..

« هناك سيارة تتبعنا .. »

نطلق السائق العبارة فى توتر ، فانتزعه من أفكار بحدة ، جعلته يعتدل فى مجلسه ، ويدير رأسه فى سرعة ؛ ليلقى نظرة

على تلك السيارة الصغيرة ، التى تنطلق خلف سيارتهم الكبيرة ، منذ غادروا (لندن) إلى ضواحيها ، وقال فى صرامة :

ــ اخفض سرعتك ، واسمح لها بتجاوزك .

ضغط السائق فرامل سيارته بالفعل ، فى حين تحفّز الكل داخلها ، وأمسكوا مقابض مسدساتهم ، استعدادًا لإطلاق النار ، عند أية لمحة شك ، ولكن تلك السيارة الصغيرة واصلت طريقها ، وعبرت إلى جوارهم ، على نحو سمح لهم جميعًا برؤية ذلك الشيخ ذى اللحية البيضاء الكثة ، الذى يقودها فى تثاقل ، وهو يتجاوزهم ، ويكمل رحلته فى بساطة ..

وفى سخرية عصبية ، أعاد (بيتون) مسدسه إلى غمده ، قائلاً :

ــ إنه مجرد شيخ أخرق .

قال رجل آخر فى ارتياح :

ــ المفترض ألا يمنحوا من فى مثل عمره رخصة قيادة .

بدا وكأنهم كانوا يحتاجون إلى ما يصرف أذهانهم عن ذلك الفشل الذريع فى المستشفى ، فقد راحوا يتحدثون عن ذلك الشيخ ، الذى اختفت سيارته فى الأفق ، كما لو كان موضوع الساعة ..

Looloo

ثم انحرفت سيارتهم فى ذلك الطريق الفرعى الخاص ، الذى يقود إلى قصر سير (وينسلوت) مباشرة ..

وهنا .. هنا فقط عاد (بيتون) إلى صمته ، وهو يفكر فى رد فعل زعيم المنظمة ، على ذلك الفشل الثانى ، خاصة وأن الخطة كلها قد فشلت بسبب رجل واحد ..

رجل مصرى ..

الشىء الذى لم يدركه (بيتون) لحظتها ، أو حتى يتصوره ، هو أن ذلك الشيخ ذا اللحية البيضاء كان يقف بسيارته ، فوق تبة قريبة ، ويتابع حركة سيارتهم الكبيرة بمنظار مقرب قوى ..

وعندما انحرفوا فى طريق قصر سير (وينسلوت) الخاص ، غمغم ذلك الشيخ ، فى صوت أكثر حيوية وشبابًا من ملامحه الزائفة :

ـ آه .. إذن فهذا هو المكان ، الذى يذهبون إليه ، بعد أن تفشل عملياتهم .. عظيم .. ها هى ذى معلومة جديدة ، نضاف إلى ملف (هيل آرت) فى ذهنى .

قالها ، وعقله يرتب الموقف كله ، ويضع النقاط على الحروف ، مع تفاصيل خطته الجديدة .. .

خطته غير التقليدية ..

على الإطلاق ..

* * *

« خطأ .. ما يفعله ذلك الرائد لا يتناسب قط ، مع نظم وقواعد العمل ، فى أى جهاز مخابرات فى العالم .. »

بدا السفير المصرى فى (لندن) شديد العصبية ، وهو يهتف بهذه الكلمات الغاضبة ، فى حديثه الهاتفى ، مع مدير المخابرات العامة المصرية ، الذى قال فى هدوء ورصانة :

ـ أنت تعلم جيدًا أن الرائد (أدهم) لم يكن يقوم بمهمة رسمية ، عندما وصل إلى (لندن) ، ولكن الأمور سارت على نحو يحتم عليه التدخل .

هتف السفير فى حدة :

ـ دون أوامر مباشرة منكم ؟!

اعتدل المدير على مقعده ، وقال فى حزم :

ـ سيادة السفير .. أنت أيضًا رجل مخابرات سابق ، وتعلم

www.dvd4arab.com

جيدًا أن (أدهم صبرى) رجل من طراز خاص ، تدرب جيدًا على مواجهة المواقف المفاجئة ، والتعامل معها على نحو مناسب ، ودون انتظار أوامر مسبقة .

قال السفير فى عصبية :

ــ ولكنه أشعل (لندن) كلها ، بقتال عنيف فى أكبر شوارعها ، كما أثار الفزع فى أشهر مستشفى بها ، والسلطات هنا غاضبة للغاية ، وتطالبنى بتفسير رسمى ، وإلا اتخذت كافة الإجراءات القانونية والدبلوماسية .

صمت المدير بضع لحظات ، ثم قال فى حزم صارم :

ــ أخبرهم رسميًا ، أن (أدهم) ليس مصريًا .

هتف السفير ، بكل دهشة الدنيا :

ــ ليس ماذا ؟!

قال المدير ، فى سرعة وصرامة :

ــ وفقًا لما وصلنا من معلومات ، أقسم الشهود كلهم أن ذلك الشخص ، الذى أنقذ (حازم) ، كان بريطانى الجنسية ، بل وأنه من سكان العاصمة على الأرجح .. انضم أنت أيضًا إلى أقوال

الشهود ، وواصل إصرارك رسميًا على أنه ليس مصريًا .

تردد السفير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ــ وماذا لو كشفوا الأمر ؟!

أجابه المدير بمنتهى الحزم :

ــ لكى يفعلوا هذا ، لابد وأن يضعوا أيديهم على (أدهم) أولاً .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ــ ولو أردت رأيى ، فهذا مستحيل !

صمت السفير بضع لحظات أخرى ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، قبل أن يتنهد ، قائلاً فى استسلام :

ــ على بركة الله .

أنهى مدير المخابرات المحادثة ، وتراجع فى مقعده ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يستدعى إليه نائبه ، الذى لم يكد يصل إلى مكتبه ، حتى بادره ، قائلاً :

ــ هل تم تحديد موقع الرائد (أدهم) بعد ؟!

أشار نائبه بيده ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ليس بعد يا سيدى .. آخر ما تلقيناه من الرائد (أدهم) ، هو أنه سيواصل مهمة الرائد (حازم) ، وفقًا للقواعد ، وأنه سيعمل على حمايته ، حتى يصل إلى (القاهرة) .

هز المدير رأسه ، قبل أن يقول :

ـ إذن فنحن نجهل موقعه الحالى بالضبط .

قال النائب فى سرعة :

ـ سيبلغنا ، عندما تتاح له الفرصة بإذن الله يا سيدى .

هز المدير رأسه مرة أخرى ، وهو يفكر فى عمق ، ثم تساءل فى اهتمام :

ـ وماذا عن الرائد (حازم) ؟!

أشار النائب إلى ورقة فى يده ، قائلاً :

ـ لقد أجريت له عملية جراحية ناجحة ، فى مستشفى صغير فى ضاحية (ويستمينستر) ، تحت اسم مستعار ، وطاقم كامل من الأمن يعمل على حمايته هناك ، بأوامر من الرائد (أدهم) ، وستتم إعادته إلى (القاهرة) ، عندما يستعيد وعيه ، على متن طائرة طبية خاصة .

تنهد المدير ، وهو يقول :

ـ عظيم .. تتبقى لدينا إذن مشكلة الرائد (أدهم) .

أشار النائب بيده ، وهو يقول :

ـ ولماذا تعتبرها مشكلة يا سيدى .. الرائد (أدهم) هو أفضل رجالنا على الإطلاق ، وليس لدى شك ، فى أنه سيجيد التعامل مع الموقف ، مهما بلغت تعقيداته ، و...

قاطعه المدير بمنتهى الحزم :

ـ خطأ .

ثم تراجع فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ لقد تسرع الرائد (أدهم) ، وانطلق خلف خصم قوى عنيف ، مثل منظمة (هيل آرت) ، وهو يفتقر إلى أقوى سلاح ، فى مواجهة أى خصم .

واعتدل مرة أخرى ، مكملاً :

ـ المعلومات .

وكان على حق تمامًا ، فى قوله هذا

Looloo
www.dvd4arab.com

فالمواجهة مع خصم ، أى خصم ، دون معلومات كافية عنه ، تجعل المقاتل أشبه بأعمى ، فى حجرة مظلمة ، يواجه عدوًا مبصرًا ، يمتلك منظارًا للرؤية الليلية ..

وهذا أخطر نوع من المواجهات ..

على كل المستويات ..

* * *

مع فرط انفعاله وتوتره ، تجاوز (بيتون) كل القواعد ، واقتحم حجرة مكتب زعيمه سير (وينسلوت) ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ لقد كان فخًا أيها الزعيم ، و...

بتر عبارته دفعه واحدة ، مع النظرة الغاضبة الصارمة ، التى التفت بها إليه سير (وينسلوت) ، وسرت فى جسده كله ارتعادة باردة كالثلج ، مع خفقات قلبه العنيفة ، عندما رصدت عيناه ذلك الضيف ، الذى يجلس فى الجانب الآخر للحجرة ، والذى التفت إليه بدوره ، بمنتهى الفضول والتساؤل ، فى حين قال سير (وينسلوت) فى قسوة :

ــ غبى .. أحمق وغبى .

ارتجف صوت (بيتون) على الرغم من جسده الضخم القوى ، وهو يقول :

ــ معذرة يا سيدى .. لم أكن أعلم أن ..

قاطعه (دافيد جراهام) ، وهو يهب من مقعده ، ويتجه نحوه بخطوات سريعة ، مادًا يده إليه ، وهو يقول بابتسامة متزلّفة كبيرة :

ــ لا تجعل هذا يقلقك يا مستر (بيتون) .. لست مجرد ضيف غريب .. أنا حليف لكم بالفعل .. دعنى أقدم نفسى .. (دافيد جراهام) ، المبعوث الرسمى من...

قطاعه (بيتون) فى عصبية ، متجاهلاً يده الممدودة إليه :

ــ هل سبق أن تعارفنا ؟!

حافظ (جراهام) على ابتسامته ، وهو يعيد يده إلى جانبه ، قائلاً :

ــ إننا لم نلتق من قبل ، ولكننى أعرفك جيدًا .

ثم غمز بعينه ، مضيفًا فى خبث :

ــ وأعرف تاريخك كله يا مستر (بيتون) .

Looloo
www.dvd4arab.com

انعقد حاجبا (بيتون) فى شدة ، وتضاعف التوتر العنيف فى أعماقه ، فى حين راح سير (وينسلوت) يدرس الأمر كله فى رأسه بسرعة ، قبل أن يقول فى برود ، لم يخل من لمحة صارمة :

ــ ماذا حدث بالضبط يا (بيتون) ؟!

تطلع (بيتون) إلى وجه (جراهام) الباسم ، فى توتر متردد ، فقال سير (وينسلوت) فى صرامة :

ــ ألم تسمع ما قاله الرجل ؟!.. إنه حليف لنا الآن .

لم يرق هذا الأمر كثيرًا لقائد الحرس ؛ لأن ملامح (جراهام) لم تكن توحى قط بالارتياح أو الثقة ، إلا أنه أطاع أمر زعيمه ، وقال فى توتر :

ــ لقد أعدوا لنا فخًا ، فى (لندن كلينيك) ، و...

راح يروى كل ما حدث ، فى توتر ملحوظ ، وكأنما يستعيد انفعالات الموقف نفسه ، وسير (وينسلوت) و(جراهام) يستمعان إليه فى اهتمام وانتباه ، ولم يكد ينتهى من روايته ، حتى اعتدل (جراهام) ، قائلاً فى صرامة قاسية ، لا تتناسب قط مع ما بدا عليه ، منذ حضوره إلى القصر :

ــ وهل أتيتم من هناك إلى هنا مباشرة ؟!

تضاعف توتر (بيتون) ، وهو يسأله :

ــ وماذا فى هذا ؟!

صاح سير (وينسلوت) هذه المرة :

ــ غبى ..

ثم نهض من مقعده الوثير ، مستطردًا فى غضب :

ــ الفخ الحقيقى هو ما وقعت فيه كالأحمق ، عندما غادرت (لندن كلينيك) غاضبًا ، وأتيت إلى هنا مباشرة .

وأضاف (جراهام) فى صرامة :

ــ أكاد أقسم أن ذلك المصرى كان يعلم بوجود تلك المظلة الواقية ، عندما ألقاك من الطابق الثانى ؛ لأنه لم يرغب قط فى قتلك ، وإنما فى إهانتك ، وإثارة غضبك إلى أقصى حد ، حتى تفقد عقلك ، وقدرتك على التفكير ، وتقوده مباشرة إلى هنا .

لم يرق تدخل (جراهام) لقائد الحرس ، الذى قال فى حدة :

ــ ومن أدراك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (جراهام) فى صرامة :

ـ أنا محترف .

هتف (بيتون) :

ـ وأنا أيضًا .

أجابه سير (وينسلوت) هذه المرة ، فى صرامة غاضبة ، تجاوزت بروده الإنجليزى المعهود :

ـ هذا لا يبدو أيضًا .

احتقن وجه (بيتون) فى شدة ، واحتبست كلماته الغاضبة فى حلقه ، فى حين التفت (جراهام) إلى سير (وينسلوت) ، قائلاً :

ـ لديك هنا نظام أمنى قوى .. أليس كذلك ؟!

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة قاسية ، قبل أن يدير عينيه إلى (بيتون) قائلاً :

ـ ارفع درجة استعدادات الطوارئ للحد الأقصى ، بالنسبة لكل نظم الأمن هنا ، وأخرج كلاب الحراسة إلى الحديقة ، ومر الجميع بإطلاق النار مباشرة ، على أى جسم متحرك ، عند أول

بادرة للشك ، ولا تنس إطلاق التيار الكهربى القوى فى الأسوار ، وتشغيل كل أجهزة الرصد ، وإضاءة الحديقة بالمصابيح القوية طوال الوقت .. لا أريد ترك ثغرة تكفى لعبور بعوضة صغيرة .. هل تفهم ؟!

غمغم (بيتون) فى توتر :

ـ بالتأكيد يا سير (وينسلوت) ... بالتأكيد .

أضاف (جراهام) ، فى لهجة آمرة ، لا تتناسب مع طبيعة موقفه :

ـ ولا تنسوا الطريق الخاص ، الذى يقود إلى هنا .. ضع فريقًا من رجال الحراسة هناك أيضًا .

انعقد حاجبا يسر (وينسلوت) فى ضيق ، فى حين بدت دهشة مستنكرة على وجه (بيتون) ، وهو يهتف :

ـ سير (وينسلوت) !!

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره فى قوة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ ربما لا يحق لحليفنا إصدار الأوامر هنا ، ولكن اقتراحه

Looloo
www.dvd4arab.com

منطقى ومقبول ، ويضمن لنا الحد الأقصى من الأمن أيضًا .

أومأ (بيتون) برأسه ، قائلاً :

ـ فهمت يا سير (وينسلوت) .

قالها ، واندفع لتنفيذ الأوامر ، فى حين ابتسم (جراهام) ابتسامته اللزجة الممقوتة ، وهو يلتفت إلى سير (وينسلوت) ، قائلاً :

ـ معذرة يا سير (وينسلوت) .. ربما تجاوزت حدودى دون أن أقصدى ، ولكننى أنشد أمنك وسلامتك فحسب .

قال سير (وينسلوت) فى صرامة :

ـ لا تقلق نفسك كثيرًا بأمنى وسلامتى يا مستر (جراهام) ، فهى ستبقى طويلاً ، بعد أن تذهب أنت .

اتسعت ابتسامة (جراهام) ، وهو يقول :

ـ من يدرى يا سير (وينسلوت) .. من يدرى ؟!

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ سترى درسًا عمليًا بنفسك يا مستر (جراهام) .. لقد

أشعلت جهاز الأمن الخاص بى ، ولم تعد هناك ثغرة واحدة ، يمكن أن ينفذ منها برغوث صغير إلى هنا .

ونفث دخان سيجاره بمنتهى القوة ، قبل أن يضيف :

ـ نحن الآن فى أمان يا مستر (جراهام) .. أمان تام .

وهنا ، ومع ثقة سير (وينسلوت) الشديدة ، يأتى دورنا نحن لنقولها ..

من يدرى ؟!

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

6 ـ الخدعة ..

« كيف إذن ؟!.. »

هتفت (منى) بالسؤال فجأة ، فرفع (قدرى) عينيه عن ملف العملية ، وهو يتطلع إليها بعينين متساءلتين ، فاستطردت فى حيرة :

ـ لقد أحاط سير (وينسلوت) هذا قصره بسياج منيع للغاية من الحماية والأمن ، فكيف استطاع (أدهم) أن يصل إليه ؟!

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

ـ أنت تعرفين القاعدة الأساسية ، التى يتبعها (أدهم) دومًا .. لا يوجد جهاز أمنى ، مهما بلغت دقته ، أو بلغ إحكامه ، يخلو ولو من ثغرة واحدة .

انعقد حاجباها ، وهى تدير الأمر فى رأسها بإمعان ، قبل أن تقول :

ـ وأين الثغرة هنا ؟!

اتسعت ابتسامة (قدرى) ، وهو يميل نحوها ، ويشير إلى رأسه ، قائلاً :

ـ هنا تكمن العبقرية .

عاودت التفكير فى الأمر ، ثم قالت فى حماس :

ـ آه .. بالطبع .. (أدهم) يمكنه أن يذهب إليهم ، باعتباره أحد رجال الشرطة البريطانية ، الذين يجرون تحقيقاتهم حول الأمر .

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، قبل أن يقول :

ـ فكرة طريفة للغاية يا عزيزتى .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ ولكنها لا تصلح ، فى هذا الموقف بالذات .

سألته متحدية :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لأن سير (وينسلوت) عضو فى مجلس العموم البريطانى ، ولا يحق للشرطة استجوابه مباشرة ، دون الحصول على موافقة المجلس نفسه .

بدا عليها الضيق ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. كيف انتبهت أنت إلى هذا ، دون أن أنتبه أنا إليه ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ضحك (قدرى) مرة أخرى ، وقال :

ــ ومن قال إننى قد انتبهت إليه .

ثم أشار إلى الملف الذى يحمله ، مستطردًا :

ــ لقد ورد هذا فى تقرير (أدهم) الرسمى .

تراجعت فى مقعدها ، وهى تحك ذقنها فى توتر ، ثم سألته فى اهتمام مشوب بالحيرة .

ــ كيف فعلها (أدهم) إذن ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ــ دعينا نتابع ، وستعرفين الجواب بنفسك .

اعتدلت فى اهتمام شديد ، قائلة :

ــ فليكن .

فتح (قدرى) الملف مرة أخرى ، و...

وعاد يروى ..

* * *

ارتسمت الصرامة الشديدة ، على وجه مفتش الشرطة البريطانى (جاك) ، وهو يتطلع إلى رجلى منظمة (هيل آرت) ، اللذين يجلسان أمامه ، والكدمات تغمر وجهيهما ، وقال بلهجة قاسية :

ــ أريد أن أفهم ما حدث بالضبط .. لقد خضتما معركة ما ، داخل أكبر مستشفى فى (لندن) ، وليس لديكما أى تفسير منطقى لهذا .

قال أحدهما فى غلظة :

ــ كنا نؤدى واجبنا .

مال المفتش (جاك) نحوه ، قائلاً بنفس الصرامة :

ــ أى واجب هذا ، الذى يستدعى خوض قتال ، فى قسم الرعاية الفائقة ، فى مستشفى كبير ؟!

أجابه الثانى فى حزم :

ــ لقد استأجرونا لحماية مصاب ، ولكننا كشفنا محاولة لاغتياله ، وكان علينا أن ندافع عنه .

قال المفتش ، وقد امتزجت صرامته بلمحة ساخرة :

ــ بفقدان الوعى ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

قال الأول فى غلظة :

ــ لقد بذلنا قصارى جهدنا .

تراجع المفتش فى مقعده ، وقال :

ــ وهل المفترض أن أصدق هذه الرواية السخيفة ؟!

سأله الثانى فى حدة :

ــ ولِمَ لا ؟!

أجابه المفتش ، بمنتهى الصرامة :

ــ لأن كل شىء يوحى بخلاف روايتكما المضحكة هذه ؛ فالمصاب الذى تدعيان حمايته ، غادر المستشفى بالفعل ، بنفس سيارة الإسعاف التى أحضرته ، ولكن من الباب الخلفى ، وبوساطة رفاقه ، الذين يفترض أنهم من استأجروكما لحمايته ، ثم إن وجود دمية خشبية ، فى فراش المصاب ، وتوصيلها بالأجهزة الطبية ، يوحى بأنه هناك من كان ينتظر قدوم قتلة ، وليس فريقًا للحماية .. أضف إلى هذا سقوط شخص مجهول ، من نافذة الحجرة فى الطابق الثانى ، على نحو اتفقت معه أقوال الشهود ، ويوحى بأن أحدهم قد دفعه عمدًا عبر النافذة المغلقة .

تبادل الرجلان نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول أحدهما فى غلظة شديدة ، وتوتر ملحوظ :

ــ لقد قلنا كل ما لدينا .

واندفع الثانى ، يقول فى حدة :

ــ نريد محاميًا فورًا .

مط المفتش شفتيه ، وهو يقول :

ــ أنتما تحتاجان إليه حتمًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سماعته بحركة غريزية ، قائلاً :

ــ المفتش (جاك ستيورات) .

أتاه صوت صارم ، يقول بلهجة بريطانية ، توحى بأن صاحبها من سكان الجنوب :

ــ هنا رئيس المفتشين (ريمنجتون) ، من (سكوتلانديارد)(*) ، أتحدث إليك بشأن حادثة (لندن كلينيك)

(*) سكوتلانديارد : الشرطة الدولية .

Looloo
www.dvd4arab.com

كان المفتش (ريمنجتون) شخصية شهيرة للغاية ، فى أروقة الشرطة البريطانية ، ويتمتع باحترام كبير ، جعل المفتش (جاك) يعتدل فى مقعده ، وهو يقول :

ـ إننى أقوم بالتحقيق فيها أيها المفتش .

أجابه (ريمنجتون) بصرامته الشهيرة :

ـ هذا الأمر يفوق قدرات جهاز الشرطة العادى أيها المفتش (ستيورات) ؛ لذا فقد تلقينا الأوامر ، من رئيس الوزراء شخصيًا ، بأن نتولى الأمر بأنفسنا .

لم يرق هذا أبدًا للمفتش (جاك) ، الذى قال فى ضيق :

ـ ولكننا نبلى بلاءً حسنًا يا سيادة المفتش ، و...

قاطعه المفتش (ريمنجتون) بنفس الصرامة :

ـ لقد أرسلت إليك المفتش (ألبرت) ، وهو واحد من أكفأ رجالنا .. سيتولى القضية منذ هذه اللحظة .

قال المفتش (جاك) ، وقد تضاعف ضيقه :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله المفتش (ألبرت) هذا ، ونعجز نحن عن فعله ؟!

أجابه (ريمنجتون) بمنتهى الصرامة :

ـ سل رئيس الوزراء .

ثم أنهى المحادثة فى غلظة ، انعقد معها حاجبا المفتش (جاك) ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى سخط :

ـ لماذا لا يولوننا المزيد من الثقة ؟!

أساء الرجلان فهم عبارته ، فقال أحدهما فى لهفة :

ـ لقد أمروك بالإفراج عنا .. أليس كذلك ؟!

سحب المفتش (جاك) مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ بل أمرونى بإعدامكما فورًا .

انتفض جسد الرجل ، وتراجع فى مقعده بحركة متحفزة ، فى حين قال زميله فى عصبية :

ـ نريد حقوقنا القانونية .

أعاد المفتش مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى صرامة شديدة ، أفرغ عبرها كل انفعالاته :

ـ يجب أن أحصل على بعض الأسئلة القانونية أولاً .

Looloo www.dvd4arab.com

هتف الآخر فى حدة :

ــ ليس قبل أن يصل محامينا .

مع آخر حروف عبارته ، دق أحد رجال الشرطة باب الحجرة ، ثم دفعه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ هناك رجل هنا ، يقول إنه المفتش (ألبرت) ، القادم من (سكوتلانديارد) .

انعقد حاجبا المفتش (جاك) ، وهو يغمغم فى حنق :

ــ بهذه السرعة ؟!

ثم أشار إلى الشرطى ، مضيفًا :

ــ دعه يتفضل .

مضت لحظات ، قبل أن يظهر رجل متين البنيان ، له شارب أحمر ضخم ، وشعر أحمر طويل ، شاب فوديه ، على نحو منحه مظهرًا وقورًا ، وهو يقول فى هدوء شديد :

ــ المفتش (ألبرت) ، من (سكوتلانديارد) .. لقد أرسلنى كبر المفتشين (ريمنجتون) إلى هنا ، و...

قاطعه (جاك) فى ضيق :

ــ لا بأس .. كنا ننتظر قدومك .

دلف (ألبرت) إلى المكان فى هدوء ، وأغلق الباب خلفه ، وعلق معطفه على المشجب ، قبل أن يلتفت إلى الرجلين ، متسائلاً :

ــ أهما المتهمان ؟!

أومأ المفتش (جاك) برأسه إيجابًا ، فى حين قال أحد الرجلين فى حدة وغلظة :

ــ لسنا متهمين .. إننا مجرد ..

قبل أن يتم عبارته ، قبض المفتش (ألبرت) على عنقه من الخلف بحركة مباغتة ، وضغطه بأصابع فولاذية ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لا تتكلم ، إلا عندما توجه إليك الأسئلة يا هذا .. هل تفهم ؟!

احتقن وجه الرجل بشدة ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وندت من حلقه شهقة مكتومة ، تجمع ما بين الألم والدهشة ، وبدا وكأن عضلاته كلها قد تجمدت ، فى حين رفع حاجبا المفتش

Looloo
www.dvd4arab.com

(جاك) فى انبهار ، ونقل بصره فى سرعة ، بين ضخامة جسد الرجل ، وملامح (ألبرت) الصارمة ، فى حين قال الرجل الآخر فى عصبية :

ـ إنك تتجاوز حدودك يا رجل (سكوتلانديارد) .

أدار (ألبرت) عينيه إليه ، وهو يقول بقسوة :

ـ حقًا ؟!

لم يدر المفتش (جاك) أية قوة تلك ، التى تطل من عينى (ألبرت) وصوته ، إلا أنها كانت كافية لأن يتراجع الرجل الثانى فى مقعده ، وينكمش فيه على نحو عجيب ، وكأنما فقد قوته كلها فى لحظة واحدة ، فى حين انهار الأول على مقعده ، عندما أفلت (ألبرت) عنقه ، قبل أن يدور حول الرجلين فى هدوء ، قائلاً بصوته الصارم القوى :

ـ والآن ، أريد بعض الأجوبة .

تمتم المفتش (جاك) فى انبهار خافت :

ـ من الواضح أن (سكوتلانديارد) تجيد اختيار رجالها جيدًا .

لم يبد على المفتش (ألبرت) أنه قد سمع حرفًا واحدًا مما

قاله (جاك) ، وهو يجلس على طرف مكتب هذا الأخير ، ويسأل الرجلين بلهجته الصارمة :

ـ إلى أية جهة تنتميان بالضبط ؟!

بدا وكأن الكلمات قد احتسبت فى حلق أحدهما ، فى حين قال الآخر فى خفوت عصبى :

ـ نريد محاميًا .. هذا حقنا .

تجاهل (ألبرت) قوله تمامًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فليكن .. دعانى أنعش ذاكرتكما قليلاً .

ثم مال نحوهما ، وتطلع إلى عيونهما مباشرة ، وهو يضيف :

ـ هل يذكركما اسم سير (وينسلوت) بشىء ما ؟!

بدا التوتر واضحًا على وجهى الرجلين ، فى حين انعقد حاجبا المفتش (جاك) ، وهو يقول :

ـ سير (وينسلوت) ؟!.. لعلك لا تشير إلى عضو مجلس العموم الشهير ، الذى ...

قاطعه (ألبرت) بإشارة صارمة من يده ، وهو يسأل الرجلين :

ـ أم إن اسم منظمة (هيل آرت) يمكن أن ينعش ذاكرتكما أكثر ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

تضاعف توتر الرجلين ألف مرة ، وتبادلا نظرة عصبية ، فى حين قال المفتش (جاك) فى حيرة :

ـ (هيل آرت) ؟!.. أى اسم هذا ؟!

اندفع أحد الرجلين ، يقول فى توتر بالغ :

ـ أريد محاميًا فورًا ، وإلا فلن نجيب سؤالاً واحدًا .

سأله (ألبرت) فجأة :

ـ ما اسمك يا هذا ؟!

أجابه الرجل فى عصبية :

ـ اسمى (دونالد) .. (روبير دونالد) ، ولن أجيب أية ..

وقبل أن يتم عبارته ، انقض عليه (ألبرت) فجأة ، ولكمه لكمة قوية فى أنفه ، أسقطته مع مقعده أرضًا فى عنف ، فهب زميله صائحًا فى حدة عصبية :

ـ ليس هذا من حقك .

استدار إليه (ألبرت) ، قائلاً فى صرامة :

ـ اصمت .

ولكن المفتش (جاك) نهض بدوره ، وقال فى عصبية :

ـ إنه محق .. ليس من حقك أن تعامل المتهمين بهذا الأسلوب العنيف .. حتى المجرم هنا له حقوقه القانونية ..

اعتدل (ألبرت) ، قائلاً فى صرامة :

ـ لهذا لن يصلح تعاملكم مع هذين الرجلين ..

ثم عدّل من هندامه ، مضيفًا :

ـ قم بعمل كل الإجراءات اللازمة ، فسأتسلّم هذين الرجلين رسميًا .

قال المفتش (جاك) فى توتر :

ـ هذا سيحتاج إلى توقيع بعض الأوراق ..

قال (ألبرت) بنفس الصرامة :

ـ أسرع إذن يا رجل ، فلست أميل إلى قضاء المزيد من الوقت ، فى روضة الأطفال هذه .

بدأ المفتش (جاك) فى إعداد الأوراق اللازمة بالفعل ، وهو يقول فى ضيق ، لم يحاول إخفاءه :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إننا ننفذ القانون هنا .

غمغم (ألبرت) ، فى استهتار مستفز :

ـ بالتأكيد .

لم تستغرق الإجراءات وقتًا طويلاً ، ولقد وقع (ألبرت) الأوراق فى هدوء ، وأضاف إليها رتبته ورقمه الأمنى فى ثقة ، قبل أن يلتقط معطفه ، قائلاً فى صرامة :

ـ إنهما لى الآن .

استوقفه المفتش (جاك) ، قائلاً فى توتر :

ـ وكيف ستتولى الأمر وحدك ؟!.. إنهما رجلان قويان ، والأفضل أن يصطحبك بعض جنود الحراسة ، و...

قاطعه (ألبرت) بنفس الصرامة :

ـ إنهما مجرد رجلين .

مط (جاك) شفتيه ، وشعر فى أعماقه أن المفتش (ألبرت) هذا شديد الغرور ، إلا أنه قال فى حزم :

ـ فليكن .. أنت المسئول عنهما رسميًا الآن .

قام رجال الشرطة بتقييد معصمى الرجلين بأغلال واحدة ، وقادهما (ألبرت) إلى سيارته المتوقفة أمام مبنى الشرطة ، وقال لأحدهما فى صرامة :

ـ أنت ستقود السيارة ، وزميلك إلى جوارك ، لاشتراككما فى أغلال واحدة ، وسأجلس أنا فى الخلف ، وحذار من أن يقوم أحدهما بحركة واحدة مفاجئة .

دلف الرجلان إلى السيارة ، وقال أحدهما فى عصبية ، وهو يدير محركها :

ـ ما زلت أصر على وجود محام .

قال (ألبرت) فى صرامة ، وهو يجلس فى المقعد الخلفى :

ـ سنعمل على استدعائه ، فور وصولنا إلى هناك .

همهم الرجل بعبارة ساخطة ، وانطلق بالسيارة ، وفقًا لتوجيهات المفتش (ألبرت) ، ولم تكد تختفى فى نهاية الطريق ، حتى أسدل المفتش (جاك) أستار نافذة مكتبه ، وهو يقول :

ـ لم أكن أعلم أن رجال (سكوتلانديارد) صارمين قساة ، إلى هذا الحد .

Looloo
www.dvd4arab.com

غمغم نائبه فى خفوت :

ــ إنهم يواجهون نوعًا مختلفًا من المجرمين .

التقط (جاك) سماعة هاتفه ، وهو يقول :

ــ ولكن هذا لا يمنع من أنه قد ارتكب بالفعل ، عددًا من المخالفات القانونية ، التى تحتاج إلى إعادة تقويم ، لذا فسأتقدم بشكوى ضده ، إلى كبير مفتشى (سكوتلانديارد) شخصيًا .

هتف نائبه فى انبهار :

ــ المفتش (ريمنجتون) ؟!

أومأ المفتش (جاك) برأسه إيجابًا ، وهو يدير قرص الهاتف ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

ــ هنا المفتش (جاك) ، من شرطة (لندن) .. أريد التحدث إلى كبير المفتشين (ريمنجتون) شخصيًا .

أجابه محدثه فى هدوء :

ــ المفتش (جون ريمنجتون) غير متواجد أيها المفتش ، فلديه مؤتمر أمنى مهم ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، منذ أمس .

انعقد حاجبا المفتش (جاك) ، وهو يقول فى توتر :

ــ أمس ؟!.. هذا مستحيل !.. لقد تحدث إلى شخصيًا ، منذ أقل من ساعة واحدة ، بشأن مفتشكم (ألبرت) ، الذى يتولى قضية حادثة (لندن كلينيك) .

ظل صوت محدثه هادئًا ، وهو يقول :

ــ المفتش (ريمنتجون) لا يجرى اتصالاته بنفسه أبدًا ، والوحيد الذى يحمل اسم (ألبرت) هنا ، لم يغادر مكتبه منذ الصباح .

اتسعت عينا المفتش (جاك) عن آخرهما ، وهو يرفعهما إلى نائبه ، قائلاً فى ارتياع ، ويده تعيد سماعة الهاتف إلى موضعها ، دون حتى أن يشعر بهذا :

ــ لقد خدعنا ذلك الرجل .. إنه ليس من (سكوتلانديارد) .. يا إلهى !.. إننا لم نحاول حتى الاطلاع على أوراقه .

امتقع وجه نائبه ، وهو يقول :

ــ رباه !.. لقد سلمناه المتهمين رسميًا ، دون أن نتأكد من هويته .. إنها كارثة .

Looloo
www.dvd4arab.com

التقط المفتش (جاك) سماعة هاتفه مرة أخرى ، ليصدر أوامره بتعقب السيارة ، وإعادة المجرمين ، والمفتش (ألبرت) الزائف ، وهو يقول ، بكل توتر الدنيا :

ـ ولكن من يكون ذلك الرجل ؟!.. من يكون ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلماته هذه ، كان المفتش (ألبرت) الزائف ، يقول للمجرمين فى صرامة ، من المقعد الخلفى للسيارة :

ـ انحرفا إلى ذلك الشارع الجانبى الضيق .

نفذ ذلك الذى يقود السيارة أوامره ، والآخر يسأله فى عصبية :

ـ ولكن لماذا ؟!

لم ينبس (ألبرت) هذا ببنت شفة ، فى حين توقف قائد السيارة داخل الشارع الضيق ، الذى انتهى بجدار مرتفع يسد الطريق ، وقال فى غلظة غاضبة :

ـ لو أنك تفكر فى إيذائنا ، فـ ..

قبل أن يتم قوله ، مال (ألبرت) إلى الأمام فجأة ، ولكمه فى مؤخرة عنقه لكمة عنيفة ، جعلت رأسه يرتطم بموقد السيارة ، قبل أن يتراخى فوقها فاقد الوعى ..

وبمنتهى العصبية ، هتف الآخر :

ـ إنك تتجاوز كل الـ ...

قبض (ألبرت) على عنقه فجأة ، قبل أن يتم هتافه ، وأدار رأسه إليه فى قسوة ، وأصابعه الفولاذية تنغرس فى جسده ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول ، بصوت يخالف تمامًا صوته المألوف :

ـ فليكن .. لقد تجاوزتها بالفعل أيها الوغد .

اتسعت عينا الرجل ، فى ألم ذاهل ، وهو يحدق فى وجه (ألبرت) ، الذى نزع شاربه الأحمر المستعار بحركة هادئة ، قائلاً بمنتهى القسوة والصرامة :

ـ وهذا ما عليك أن تخبر به زعيمك الحقير .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت قبضته كالقنبلة ، لتنفجر فى وجه الرجل ، وتلقى به فى غياهب غيبوبة عميقة ..

عميقة للغاية .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

7 ـ الشر ..

نهض (إيتان مائير) ، الملحق العسكرى للسفارة الإسرائيلية فى (لندن) ، يستقبل (دافيد جراهام) فى ترحاب ، ودعاه للجلوس ، وهو يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ كيف دار الأمر مع سير (وينسلوت) ؟!

أشار (جراهام) بيده ، قائلاً :

ـ إنه ليس بالقوة أو الخطورة التى تصورناهما !

انعقد حاجبا (مائير) ، وهو يقول :

ـ ولكن شبكته استطاعت أن تحصل على وثائق أمريكية بالغة السرية ، لم ينجح جواسيسنا أنفسهم فى التوصل إليها .

هز (جراهام) كتفيه ، قائلاً :

ـ منظمة ليست بسيطة ، ومن الواضح أنها تمتلك شبكات جاسوسية شديدة التنظيم والتعقيد ، ولكن تعاملاتهم فى مواجهة الخطر ، تتساوى مع أساليب العصابات ، وليس مع منظمة جاسوسية قوية .

تراجع (مائير) فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ أتعنى أن تعاوننا معهم لن يكون مثمرًا ؟!

تألقت عينا (جراهام) ، وهو يقول :

ـ أنا لم أقل هذا أبدًا .

ونهض من مقعده ، وتابع ، وهو يتجه نحو النافذة :

ـ أنت تعلم مثلى أن دولتنا مستعدة للتحالف مع الشيطان نفسه ، لو أنه يستطيع تثبيت أقدامها ، فى منطقة الشرق الأوسط ، ومنظمة (هيل آرت) هذه منتشرة جيدًا ، من الناحية التجسّسية ، وسيساعدنا هذا على الحصول على العديد من المعلومات ، التى يحتاج إليها أمننا ، وبخاصة تلك التى يمتلكها الأمريكيون ، دون أن تتوتر علاقاتهم معنا دون مبرر ، فإذا ما اكتشف أحد الجواسيس ، أثناء حصوله على الوثائق والمعلومات ؛ فهو فى هذه الحالة جاسوس لمنظمة (هيل آرت) ، وليس لأجهزة مخابراتنا .

تساءل (مائير) ، فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن ضعف قدراتهم الأمنية ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (جراهام) فى سرعة ، وهو يتطلع عبر فرجة من أستار النافذة ، إلى الطريق الرئيسى :

ـ سنعمل على تقويتها ، من خلال أحد خبرائنا الأمنيين ، بحيث تصبح قادرة على حماية المنظمة ، من أية أجهزة مخابرات أخرى ، فيما عدا أجهزة مخابراتنا بالطبع ؛ لأننا وحدنا سندرك نقاط الضعف ، والثغرات الخفية ، فى نظامهم الأمنى ، الذى سيضعه خبيرنا .. ولقد وافق سير (وينسلوت) على هذا الأمر بالفعل .

ارتسمت ابتسامة إعجاب ، على شفتى (مائير) ، وهو يقول :

ـ دعنى أعترف ببراعتك يا أدون (جراهام) .

شد (جراهام) قامته ، وهو يقول :

ـ بل قل بعبقريتى يا عزيزى (إيتان) .

أومأ (مائير) برأسه ، متمتمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل يسأله :

ـ وهل وقع اختيارك على خبير أمنى بالتحديد ؟!

صمت (جراهام) يضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لو أن الأمر بيدى ، لاخترت ابنتى (سونيا) ،

ارتفع حاجبا (مائير) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ابنتك (سونيا) ؟!.. وهل التحقت بأحد أجهزة مخابراتنا بالفعل ؟!

أومأ (جراهام) برأسه إيجابًا ، قبل أن يجيب :

ـ لقد تلقت تدريبًا جيدًا فى الـ (شين بيت)(*) ، ثم التحقت لعدة أشهر بجهاز (أمان)(**) ، قبل أن أرشحها شخصيًا ، للعمل بين صفوف (الموساد)(***) .

هتف (مائير) ، فى دهشة مستنكرة :

ـ (سونيا) ؟!.. كم يدهشنى هذا فى الواقع يا أدون (جراهام) ؛ فابنتك فاتنة بحق ، حتى إننى كنت أتصور أنها ستصبح نجمة سينمائية ، أو عارضة أزياء عالمية ، وليس ضابطة (موساد) !

(*) شين بيت : جهاز الأمن الداخلى الإسرائيلى .
(**) أمان : جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية .
(***) الموساد : مخابرات مجلس الوزراء الإسرائيلى .

Looloo
www.dvd4arab.com

هز (جراهام) رأسه فى هدوء ، مجيبًا :

ــ على العكس .. (سونيا) من الطراز المثالى ، للعمل فى هذا المضمار ، فهى تمتلك سمات رجل (الموساد) المثالى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بقسوة شديدة :

ــ عقل بلا قلب .

بهت (مائير) ، وهو يتساءل فى خفوت :

ــ أتعنى أن (سونيا) الفاتنة الساحرة ، التى يخطف جمالها القلوب ، وتدير جاذبيتها العقول ، فتاة بلا قلب .

التفت إليه (جراهام) ، قائلاً :

ــ على الإطلاق .

بدت الدهشة واضحة على وجه (مائير) ، وهو يحدّق فى وجه (جراهام) ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، وكأنه ينفض صورة (سونيا) الفاتنة عن رأسه ، ويقول فى حزم :

ــ إنك لم تخبرنى بعد ، من الخبير الأمنى ، الذى سيعمل على تقوية منظمة (هيل آرت) .

عاد (جراهام) إلى مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، قبل أن يجيب فى حزم :

ــ أنا .

ولم ينبس (مائير) ببنت شفة ؛ فقد بدا له الاختيار موفّقًا .. بحق ..

* * *

« لماذا توقفت ؟!.. »

ألقت (منى) السؤال فى عصبية ، عندما أغلق (قدرى) الملف ، ووضعه إلى جواره ، فالتفت إليها مجيبًا فى إرهاق :

ــ إننى أشعر بالجوع ؛ فلقد مر موعد وجبة غدائى بالفعل ، وأحتاج إلى الطعام ، لمواصلة القراءة والانفعال !

هتفت معترضة :

ــ ليس عند هذه النقطة بالذات .

بدت عليه الدهشة ، وهو يقول :

ولكننى توقفت عند نقطة هادئة للغاية

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت فى ضيق :

ــ من وجهة نظرك فحسب .

سألها فى حيرة :

ــ وما المثير فى هذا الموضع من الملف ؟!

تراجعت فى مقعدها معقودة الحاجبين ، قبل أن تقول فى توتر :

ــ أن (دافيد جراهام) هذا هو والد (سونيا) .

تطلع إليها لحظات بدهشة ، قبل أن ينفجر ضاحكًا فجأة ، على نحو ترجرج معه جسده البدين كله ، ويقول :

ــ آه .. نسيت أن (سونيا) هذه هى غريمتك اللدود ..

ثم مال نحوها ، مضيفًا فى خبث :

ــ باعتبارها المرأة ، التى خطفت منك قلب (أدهم) .

ازداد انعقاد حاجبيها فى صرامة غاضبة ، وهى تقول :

ــ لا أحد يمكنه أن يختطف منى قلب (أدهم) ، أو ينتزعنى من قلبه ، وكلانا يعرف تلك الظروف ، التى تزوج فيها (أدهم) (سونيا جراهام)(*).

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) ... المغامرة رقم (81) ، من سلسلة (رجل المستحيل) .

غمغم (قدرى) :

ــ بالطبع .

ثم ربت على كرشه الضخم ، مستطردًا :

ــ المؤسف أن الأمر لم يقتصر على الزواج ؛ فله طفل منها أيضًا(*)..

أشاحت بوجهها فى ضيق ، وهى تقول :

ــ ليس من الضرورى أن تذكرنى بهذا دومًا .

ارتفع حاجباه فى تعاطف ، وهو يقول مشفقًا :

ــ ربما يؤلمك هذا ، ولكن عليك مواجهة الحقيقة .

غمغمت فى مرارة :

ــ ليس أمامى سوى هذا .

ثم سألته فى اهتمام ، وكأنما تحاول إبعاد ذهنها عن الموقف :

ــ لقد ذهب (أدهم) إلى قصر سير (وينسلوت) ، وهو متنكر فى هيئة أحد الرجلين ، اللذين أفقدهما الوعى .. أليس كذلك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (84) ، من سلسلة (رجل المستحيل) .

تطلع (قدرى) إلى وجهها ، متسائلاً :

ـ لماذا توقعت هذا ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تجيب فى ثقة :

ـ لأننا أعرف أسلوب (أدهم) جيدًا .

ابتسم (قدرى) ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ ولكن أحد أهم سمات (أدهم) ، أن أسلوبه يتغير باستمرار .

قالت فى إصرار :

ـ لاحظ أننا نتحدث عن فترة قديمة .

هز رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

ثم اعتدل ، وربت على كرشه مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ ولكننى ما زلت جائعًا .. وبشدة .

التقطت سماعة هاتفه ، وهى تقول فى حزم :

ـ فليكن .. سأدعوك إلى وجبة دسمة ، تساهم فى زيادة حجم

كرشك الضخم ، على أن تعاود قراءة الملف ، بعد التهامك لها مباشرة ..

رفع إبهامه أمام وجهه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ اتفقنا .

ولم تمض دقائق عشر ، حتى حضرت الوجبة الدسمة ، التى بدأ (قدرى) التهامها بمنتهى الشراهة على الفور ، لتنتهى قبل مرور نصف الوقت ، الذى تم إحضارها فيه ..

وفى ارتياح ، وبابتسامة كبيرة سعيدة ، ومع زجاجة مياه غازية ، من الحجم العائلى أمامه ، عاد (قدرى) يلتقط الملف ..

ويروى ..

* * *

بدا قائد الحرس (بيتون) متجهمًا متوترًا ، وهو يدلف إلى حجرة مكتب سير (وينسلوت) ، مع غروب الشمس ، قائلاً :

ـ كل شىء على ما يرام يا سير (وينسلوت)... لن تتمكن ناموسة واحدة ، من الوصول إلى هنا ، دون أن يرصدها رجالنا ، ويتعاملون معها كما ينبغى .

www.dvd4arab.com

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ عظيم .

بدا التردد والتوتر على وجه (بيتون) فسأله سير (وينسلوت) ، فى شىء من الصرامة :

ـ والآن ماذا هناك ؟!

بدا وكأن السؤال قد هدم حاجز التردد ، أمام لسان (بيتون) ، الذى اندفع يقول فى عصبية :

ـ أمن الضرورى أن يتولّى ذلك الإسرائيلى ، مسئولية نظم الأمن هنا ؟!

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره ، وهو يسأله فى برود :

ـ وما الضير فى هذا ؟!

قال (بيتون) بنفس العصبية :

ـ إننا نتولى أمور أمننا ، على خير ما يرام ، ولسنا بحاجة إلى شخص أجنبى ، ليعدل نظمنا ، ويتولى أمننا .

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة باردة ، راح ينفث خلالها دخان سيجاره فى بطء ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

ـ اطمئن يا (بيتون) ؛ ففى كل الأحوال ، ستظل قائدًا للحرس هنا ؛ فمستر (جراهام) لن يتولى الأمور بنفسه .. إنه سيضع نظم وقواعد الأمن فحسب ، من خلال خبرته كرجل مخابرات قديم وقدير ، ونحن فى أمس الحاجة لتطوير نظم أمننا طوال الوقت ، ما دمنا سنعمل على نطاق عالمى ، فلو نجح جهاز مخابرات واحد فى اختراق أمننا لأصبحت نهاية منظمتنا كلها .

قال (بيتون) فى عصبية أكثر :

ـ وماذا عن مستر (جراهام) ؟!.. أليس رجل مخابرات أيضًا ؟!

قال سير (وينسلوت) فى هدوء :

ـ وماذا فى هذا ؟!

قال (بيتون) ، فى شىء من الحدة :

ـ ألن يمكنه اختراق نظام الأمن ، الذى سيضعه بنفسه ، عبر ثغرات يعلم جيدًا مواضعها ومواقعها ؟!

ارتسمت ابتسامة باردة ، على شفتى سير (وينسلوت) ، وهو ينفث دخان سيجاره ، ويقول :

www.dvd4arab.com

ـ هذا ما يتصوره هو .. إنه يظن أن ابتسامته اللزجة ، وأسلوبه المتزلف ، وذكاءه اليهودى ستساعده كلها على خداعى ، وإدارة أمن منظمتى كما يروق له!

وندت من بين شفتيه ضحكة ساخرة ، أدهشت قائد حرسه كثيرًا ، قبل أن يتابع فى هدوء واثق :

ـ ولقد سمحت له بالتمادى فى فكرته وظنونه ؛ لأن غروره ، وثقته بنفسه ، وبقدرات دولته ، هما الحبل الغليظ ، الذى سيلتف حول عنقه يومًا ، عندما أقرر أنا هذا .

سأله (بيتون) فى لهفة :

ـ هل تعنى أننا لن نلتزم بالنظام الأمنى ، الذى سيضعه هو ؟!

أجابه سير (وينسلوت) فى سرعة :

ـ بل سنلتزم به بالتأكيد .

انعقد حاجبا (بيتون) فى توتر ، فتابع سير (وينسلوت) ، وهو ينفث دخان سيجاره فى بطء وثقة :

ـ ولكننا سنضع من خلفه نظامًا أمنيًّا آخر ، يكفى لسد كل الثغرات ، التى سيتركها مستر (جراهام) عمدًا ، فى نظام الأمن الرئيسى .

تألقت عينا (بيتون) ، وهو يقول :

ـ إننى أفضل هذا يا سير (وينسلوت) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز اللاسلكى المعلق فى حزامه ، فالتقطه فى سرعة ، وقال فى صرامة :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه أحد أفراد طاقم الحراسة من الطريق الخاص للقصر :

ـ السيد (جيمس ويندسور) ، محامى سير (وينسلوت) يريد المرور ؛ لمقابلة الزعيم ، ويقول إنه أمر عاجل .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، الذى سمع حديث الرجل ، وأشار إلى (بيتون) ، قائلاً :

ـ دعه يأتى ، فهو يحمل حتمًا أخباراً عن الرجلين ، اللذين سقطا فى عملية (لندن كلينيك) .

ضغط (بيتون) جهاز الاتصال ، قائلاً فى صرامة :

ـ اسمح له بالدخول ، بعد أن تتحقق من شخصيته .

أجابه فرد الحراسة فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إننى أعرف مستر (ويندسور) جيدًا ، ولقد راجعت هويته بنفسى أيضًا ، وهى سليمة .

قال (بيتون) بنفس الصرامة :

ـ عظيم .

لم تمض اثنتا عشرة دقيقة ، حتى كان المحامى يقف أمام سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا يحدث هنا بالضبط يا سير (وينسلوت) ؟! لقد حولت قصرك إلى حصن منيع !

قال سير (وينسلوت) فى برود ، وهو يطفئ سيجاره ، ويعيد بقاياه إلى جيبه :

ـ هذا أفضل من خوض معارك سخيفة ، لا وقت لخوضها يا عزيزى (ويندسور) .

ثم مال نحوه ، متسائلاً فى اهتمام :

ـ ما أخبار الرجلين ؟!

بدا المحامى شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ كنت أتوقع معرفة أخبارهما منك يا سير (وينسلوت) .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى دهشة محنقة :

ـ منى أنا ؟!.. ألست المحامى المسئول عن رتق كل ما نتركه خلفنا يا رجل ؟!

قال المحامى ، وهو يجلس فى عصبية ، على أقرب مقعد إليه :

ـ الأمر ليس بالبساطة التى تتصورها يا سير (وينسلوت) .. لقد ذهبت بالفعل إلى مبنى الشرطة ، خلف رجليك الأحمقين ، اللذين فقدا وعيهما فى (لندن كلينيك) ، ولكننى فوجئت بأن أحد رجالك قد انتحل هوية مفتش من (سكوتلانديارد) ، وخدع كل مفتشى الشرطة بمنتهى البراعة ، وحمل رجليك معه ، عندما غادر المكان ، بحجة استجوابهما فى مبنى (سكوتلانديارد) الرئيسى .

ارتفع حاجبا سير (وينسلوت) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أحد رجالى ؟!.. ولكن هذا لم يحدث يا رجل .. إننى أميل دومًا إلى الأساليب القانونية كما تعلم ، ولم يكن هناك داع للاحتيال ، وتعقيد الأمور أكثر وأكثر !

هتف المحامى ، وقد بلغت دهشته ذروتها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ من فعلها إذن ؟! ولماذا ؟!

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده ، وبدا مستغرقًا فى تفكير عميق ، وهو يقول :

ـ هذا هو السؤال : من فعلها ؟!.. ولماذا ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى دق (بيتون) باب حجرة المكتب ، ثم دلف إليها ، وهو يقول فى توتر :

ـ لدينا زيارة من الشرطة يا سير (وينسلوت) .

قال المحامى فى توتر :

ـ الشرطة لا يحق لها القدوم إلى هنا ، دون استئذان مجلس العموم رسميًا .

أشار (بيتون) بيده ، قائلاً :

ـ إنه المفتش (جاك ستيورات) ، من شرطة (لندن) ، ويحمل هويته الرسمية ، ويصطحب معه رجلينا (دونالد) ، و(سيزر) .

بدت دهشة قوية على وجه المحامى ، فى حين عاد حاجبا

سير (وينسلوت) ينعقدان ، وهو يدرس الأمر فى عقله بسرعة ، قبل أن يشير إلى (بيتون) ، قائلاً فى حزم هادئ :

ـ دعهم يأتون .. أريد مقابلة ذلك المفتش بنفسى .

قال (بيتون) فى حزم :

ـ أوامرك أيها الزعيم .

تابع سير (وينسلوت) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ واطلب من أطقم الحراسة الداخلية أن تبقى قريبًا ، وأن تستعد للتدخل الفورى ، مع أول إشارة منى .

قال (بيتون) ، وقد فهم ما يرمى إليه زعيمه .

ـ بالتأكيد أيها الزعيم .. بالتأكيد .

واستدار لتنفيذ الأمر ، ولكن سير (وينسلوت) استوقفه فى حزم ، وهو يقول :

ـ وبالمناسبة يا (بيتون) .. إياك أن تخاطبنى بلقب الزعيم هذا مرة أخرى .. هل تفهم ؟!

احتقن وجه (بيتون) ، وهو يقول فى ارتباك :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كما تأمر يا سير (وينسلوت) .. كما تأمر .

ولم يكد ينصرف ، حتى قال المحامى ، فى عصبية واضحة :

ـ هناك أمر غير طبيعى ، فى هذا الموقف يا سير (وينسلوت) ، فليس من المعتاد أن يخرج أحد مفتشى الشرطة ، بعد غروب الشمس ، وهو يحمل معه اثنين من المشتبه فيهم ، لزيارة عضو فى مجلس العموم البريطانى ، دون إعلان مسبق ، ودون حراسة إضافية أيضًا .

أومأ سير (وينسلوت) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى تفكير عميق :

ـ نعم .. إنه أمر غير طبيعى بالتأكيد .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ ولو أردت رأيى ، فهى وسيلة مبتكرة ؛ لاختراق نظامنا الأمنى ، وتجاوز كل العقبات ، ووسائل الأمن والحراسة ، والوصول إلى عقر دارى .

سأله المحامى بأنفاس مبهورة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

قال سير (وينسلوت) فى حزم :

ـ ليست لدى ذرة من الشك فى هذا .

ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف فى لهجة عجيبة ، حملت مزيجًا من الجذل والشراسة معًا :

ـ ولكن تأكد من أننا سنحسن استقبال الدخلاء هنا... سنحسن استقبالهم ، إلى حد سيؤذى حتمًا مشاعرك الرقيقة المرهفة يا عزيزى (ويندسور) .

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة عالية ..

ضحكة واثقة ، وقوية ، و...

ومخيفة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

8 ـ الخطة ..

لوّح نائب مدير المخابرات العامة المصرية بورقة فى يده ، وهو يدلف إلى حجرة المدير ، قائلاً :

ـ برقية شفرية من (لندن) يا سيدى .

قال المدير فى اهتمام :

ـ إلىّ بها .

ناوله نائبه البرقية ، التى انتهى قسم الشفرة من ترجمتها منذ لحظات ، وراح المدير يطالعها فى اهتمام كبير ، قبل أن يخلع منظاره ، ويتراجع فى مكتبه ، قائلاً :

ـ إذن فقد حصل الرائد (أدهم) على كافة المعلومات ، التى زودناه بها ، عن منظمة (هيل آرت) ... عظيم .. هذا يجعل القتال متكافئًا ، إلى حد كبير .

تردّد النائب لحظة ، قبل أن يقول فى قلق واضح :

ـ الواقع أن الرائد (أدهم) ما زال يبدو لى متهورًا ، أكثر مما ينبغى يا سيدى .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ ليس متهورًا ، وإنما هو جرىء وشجاع وباسل ، إلى حد نعجز أحيانًا عن استيعابه ، ولكنه يناسب شخصيته تمامًا ، ويناسب أكثر قدراته ، التى تصدم من يواجهه لأول مرة .

غمغم النائب :

ـ وتبهر من يتعامل معه دومًا .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

هز النائب رأسه ، وقال فى إصرار :

ـ ولكننى ما زلت أرى أنه متهور ، وبالذات فيما أقدم عليه هذه المرة .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ ربما .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتابع فى اهتمام :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ولكن (أدهم) يفعل دومًا ما يمليه عليه الموقف ، دون أن يبالى بأى شىء آخر ، حتى أمنه وسلامته الشخصية .

وتوقف لحظة ؛ ليراجع الموقف كله فى ذهنه ، قبل أن يواصل فى حزم :

ـ ووفقًا لبرقيته الشفرية ، يفترض أن يكون الآن داخل قصر سير (وينسلوت) ، الذى يعتقد أنه الزعيم الفعلى لمنظمة (هيل آرت) .

قال النائب ، دون أن يحاول إخفاء قلقه :

ـ يقول مراقبونا إن قصر سير (وينسلوت) قد تحوّل ، خلال الساعات القليلة الماضية ، إلى حصن حصين ، فكيف يمكن أن يدخله الرائد (أدهم) فى ظروف كهذه ؟!

التقط المدير نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ الرائد (أدهم) لن يعدم وسيلة لدخول قصر (وينسلوت) ، حتى لو أحاطه هذا الأخير بسياج من اللهب ، فالمشكلة بالنسبة إليه لا تكمن فى دخول القصر .

وشد قامته ، مستطردًا :

ـ وإنما فى الخروج منه .

وانعقد حاجباه ، مع إضافته الحازمة الصارمة :

ـ على قيد الحياة .

وكان على حق ..

تمامًا ..

* * *

نقل سير (وينسلوت) عينيه ، فى هدوء عجيب ، لا يتناسب قط مع الموقف ، بين وجه المفتش (جاك) ، ووجهى رجليه (دونالد) ، و(سيزر) ، اللذين تغطيا بالضمادات ، قبل أن يشير إلى محاميه بالصمت ، وهو يسأل فى برود :

ـ هل لى أن أعرف ، لماذا شرفتنى بهذه الزيارة ، أيها المفتش ؟!

وعلى الرغم من إشارة سير (وينسلوت) ، اندفع المحامى يقول فى صرامة :

ـ هل لى فى مطالعة هويتك الأمنية أيها المفتش ؟!

نقل المفتش بدوره بصره بينهما ، قبل أن يلتقط هويته الأمنية من حافظته ، ويناولها للمحامى ، وهو يقول لسير (وينسلوت) :

Looloo

ـ أتيت لأعيد إليك رجليك ، اللذين سببا لنا الكثير من المتاعب يا سير (وينسلوت) .

أخرج سير (وينسلوت) بقايا سيجاره من جيبه ، وأشعله فى هدوء ، فى نفس الوقت الذى راح المحامى يفحص فيه هوية المفتش بمنتهى الدقة ، قبل أن يعيدها إليه ، قائلاً فى شىء من التوتر :

ـ إنها صحيحة .

رمقه المفتش (جاك) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ وماذا كنت تتوقع ؟!

همهم المحامى بعبارة ساخطة غير مفهومة ، فى حين قال سير (وينسلوت) ، وهو ينفث دخان سيجاره فى عمق :

ـ المدهش أن ما بلغنى من أخبار ، يؤكد أن محتالاً قد انتحل شخصية أحد مفتشى (سكوتلانديارد) ، وأخرجهما من مبنى الشرطة .

بدا الضيق واضحًا ، فى ملامح وصوت المفتش (جاك) ، وهو يقول :

ـ الأخبار التى بلغتك صحيحة يا سير (وينسلوت) ، ولكن رجالى عثروا بعدها على رجليك فاقدى الوعى ، داخل نفس السيارة ، التى استقلوها مع مفتش (سكوتلانديارد) الزائف ، عندما غادروا مبنى الشرطة ، وكانت معهم هذه الرسالة .

قالها ، وناول سير (وينسلوت) ورقة مطوية ، فضها الرجل فى هدوء ظاهرى ، وهو يقاوم تلك اللهفة العارمة فى أعماقه ، ليقرأ فيها كلمات مختصرة ، تقول فى تحد ملحوظ :

ـ لقاؤنا الليلة يا سير (وينسلوت) ، داخل قصرك المنيع .

بذل سير (وينسلوت) جهدًا خارقًا هذه المرة ؛ للسيطرة على انفعالاته ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ما الذى يمكن أن يعنيه هذا !

أجابه المفتش (جاك) ، فى صرامة شديدة :

ـ يعنى ما تحمله الكلمات بالضبط يا سير (وينسلوت) .

ثم أدار عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يضيف :

ـ ذلك المحتال سيأتى إلى هنا ، على نحو أو آخر .

www.dvd4arab.com

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة باردة ، قبل أن يقول :

ـ وهل تعتقد أنه يستطيع تجاوز كل نظمنا الأمنية أيها المفتش ؟!

شد المفتش قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه بارع للغاية ، وجرىء إلى أقصى حد .

نفث سير (وينسلوت) دخان سيجاره فى بطء شديد ، وهو يدير بصره مرة أخرى ، بين وجه المفتش (جاك) ووجهى رجليه ، اللذين تغطيا بالضمادات ، وراح عقله يدرس الأمر مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وفى كل مرة ، كان يستوعب الأمر أكثر وأكثر ، وينفث دخان سيجاره فى صمت وبطء وعمق ، حتى قال المفتش (جاك) فى صرامة :

ـ هل سنقضى الليل كله هنا ، بحثًا عن تفسير للعبارة ، التى وردت فى الرسالة ؟!

انتزع سير (وينسلوت) سيجاره من بين شفتيه ، وأمسكه بين سبابته ووسطاه ، وهو يشير بيده إلى المفتش (جاك) ، قائلاً :

ـ الأمر له تفسيران فحسب ، لا ثالث لهما أيها المفتش .

حملت لهجة المفتش (جاك) لمحة ساخرة ، امتزجت بلهجته الصارمة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ وما هما يا سير (وينسلوت) ؟!

أجابه سير (وينسلوت) ، فى هدوء حازم :

ـ التفسير الأول أقربهما ، وهو يبدو واضحًا أمامك .

قالها ، وهو يشير إلى رجليه المصابين ، فالتفت إليهما المفتش (جاك) بدوره ، فتابع سير (وينسلوت) :

ـ المعنى الوحيد لما فعله ذلك المحتال ، عندما أخرج الرجلين من مبنى الشرطة ، ثم أفقدهما الوعى ، وحطم وجهيهما على هذا النحو ، هو أنه كان يسعى لتغيير ملامحهما ، ودفعهما إلى تضميد جراحهما ، بحيث يمكنه انتحال هيئة أحدهما ، دون أن ينكشف أمره .

Looloo
www.dvd4arab.com

هتف أحد الرجلين فى توتر :

ـ أى قول هذا يا سير (وينسلوت) .. لقد فقدنا وعينا فى تلك السيارة ، ثم استعدناه لنجد أنفسنا محاطين برجال الشرطة ، و...

قاطعه سير (وينسلوت) ، وهو يهتف بصرامة مباغتة :

ـ اصمت .

ولم يكد هتافه يكتمل ، حتى ارتفعت فوهات أسلحة طاقم الأمن نحو الرجلين مباشرة ، فى حين قال (بيتون) فى صرامة :

ـ انزعا الضمادات عن وجهيكما .

غمغم الرجل الآخر فى عصبية :

ـ ولكن إصاباتنا .

صاح (بيتون) بكل الصرامة والغضب ، وسبابته تتحفز على زناد مدفعه الآلى القصير :

ـ انزعاها .

لم يبد المفتش (جاك) شديد الاهتمام بمتابعة ما يحدث ،

والرجلان ينزعان ضماداتهما فى عصبية غاضبة ، وإنما واجه سير (وينسلوت) ، قائلاً فى لهجة ، زادت سخريتها عن صرامتها :

ـ وهل تتوقع أن تجد شيئًا ، عبر هذا التفسير المباشر ؟!

أجابه سير (وينسلوت) فى سرعة :

ـ كلا .

انعقد حاجبا المحامى فى توتر ، وقال فى عصبية :

ـ عجبًا !!.. إنه يبدو لى منطقيًا للغاية .

أشار سير (وينسلوت) بيده ، قائلاً :

ـ ومباشر للغاية أيضًا يا عزيزى (ويندسور) ، ولكن ما فعله خصمنا ، فى مبنى الشرطة ، يوحى بأنه محترف وجرىء ، ومثله لن يلجأ إلى أسلوب مباشر على هذا النحو .

ثم نقل بصره إلى المفتش (جاك) ، مستطردًا فى بطء :

ـ بل سيلعب على وتر غير مباشر ، بحيث لا يمكن أن يخطر ببالنا فى سهولة .

Looloo
www.dvd4arab.com

تلاشت السخرية من لهجة المفتش (جاك) هذه المرة ، وهو يقول فى غضب صارم :

ــ ما الذى يعنيه هذا بالضبط يا سير (وينسلوت) ؟!

تراجع سير (وينسلوت) فى مقعده ، وبدا وكأنما استرخى فيه تمامًا ، وهو يقول فى هدوء واثق :

ــ يعنى أنه من سوء حظ ذلك المحتال ، أن لدى شبكة معلومات واسعة للغاية .. ودقيقة للغاية .. وسريعة للغاية أيضًا .

ثم التقط ملفًا من سطح مكتبه ، وفتحه فى هدوء ، وهو يواصل :

ــ ولقد استخدمت شبكة المعلومات الفائقة تلك ؛ لمعرفة هوية ذلك الشخص ، الذى قام بعملية إنقاذ فريدة ومبهرة ، فى أحد شوارع (لندن) الرئيسية ، والذى أمكننى الحصول على بعض اللقطات الواضحة لوجهه ، من خلال فيلم قصير ، التقطه شخص ما لعملية الإنقاذ .

والتقط من داخل الملف بعض الصور المقربة لوجه (أدهم) ،

ورفعها أمام عينى المفتش ، وهو يسأله بابتسامة غامضة :

ــ هل أمكنك تعرفه ؟!.. إنه ذلك المفتش الزائف .. أليس كذلك ؟!

هز المفتش (جاك) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ــ إنه حتى لا يشبهه .

وغمغم أحد الرجلين المصابين فى توتر :

ــ ليس حتى عندما نزع شاربه المستعار .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، وهو يعيد الصور إلى الملف ، قائلاً فى صرامة :

ــ ربما بالنسبة لكم .

وعاد يتراجع فى مقعده ، مضيفًا فى حزم :

ــ المهم أننى قد عرفت من هو .

بدا الاهتمام الشديد على وجه المحامى ، وهو يعتدل ، متسائلاً :

ــ ومن هو يا سير (وينسلوت) ؟!

أشار سير (وينسلوت) بيده ، وهو يقول

Looloo
www.looloo.com

ـ لا أحد يعرف اسمه بالضبط ، ولكن بعضهم تعرّفه ، باعتباره رجل مخابرات مصرى ، قام بعملية ناجحة ومدهشة فى (سنغافورة) ؛ للحصول على تصميمات صاروخ إسرائيلى تحت التطوير(*) ، ويؤكد الكل أنه يتميز بمهارات مدهشة ومبهرة ، وعلى رأسها براعة نادرة ، فى أمر لم يبلغه سواه ، على حد علمى .

وصمت لحظة ، تركز بصره خلالها على وجه المفتش (جاك) ، قبل أن يكمل فى صرامة :

ـ القدرة على التنكر وانتحال الشخصيات ، على نحو متقن ، لم يسجل التاريخ من يباريه فيه قط ، حتى ليقولون إن أم الشخص نفسه ، لن يمكنها تعرفه ، لو تنكّر فى هيئته .

عادت اللمحة الساخرة إلى لهجة المفتش الصارمة ، وهو يقول :

ـ يبدو لى أمرًا أقرب إلى أفلام السينما الخيالية ، منه إلى عالم الواقع .

هز سير (وينسلوت) رأسه فى بطء ، وهو يقول ، دون أن يرفع عينيه عن وجه المفتش :

(*) سيتم نشر تفاصيل تلك العملية ، بإذن الله .

ـ ليس هذا ما تقوله المعلومات الدقيقة ، التى تؤكد أنه ، لو انتحل شخصيتك ، فستعجز أمك نفسها عن معرفة الفارق بينكما .

انعقد حاجبا المفتش بشدة ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط يا سير (وينسلوت) ؟!

أشار (وينسلوت) بسبابته ، فارتفعت فوهات أسلحة (بيتون) ورجاله ، فى حركة واحدة ، نحو رأس المفتش ، الذى قال فى غضب شديد :

ـ هل تتصور أن كونك أحد أعضاء مجلس العموم ، يمنحك حق تصويب الأسلحة ، إلى مفتش فى الشرطة البريطانية ؟!

نهض (وينسلوت) من خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ هذا لو أنه بالفعل مفتش فى الشرطة البريطانية .

انتفض المحامى ، وهو يقول :

ـ ولكن .. ولكننى راجعت هويته الأمنية بنفسى يا سير (وينسلوت) .

ابتسم سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى هدوء :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد راجعت الهوية الأمنية للمفتش (جاك ستيورات) ، والتى استولى عليها رجل المخابرات المصرى حتمًا ، عندما دخل إلى مكتب (جاك) الحقيقى ؛ فهو يمتلك أيضًا خفّة يد مدهشة ، حسبما تقول المعلومات ، الواردة عنه .

قال المفتش فى غضب شديد :

ـ وما الذى يعنيه هذا اللغو ؟!

استدار إليه سير (وينسلوت) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

يعنى ، وبكل بساطة ، أنك لست (جاك ستيورات) الحقيقى أيها المصرى .

انعقد حاجبا المفتش فى شدة ، فى حين هب المحامى من مقعده ، وهو يردّد فى ذهول :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

بدا سير (وينسلوت) واثقًا ، ظافرًا ، متشفيًا ، وهو يقترب من المفتش (جاك) ، قائلاً :

ـ لا يوجد مستحيل يا عزيزى (ويندسور) ، فهذا هو

التفسير الثانى غير المباشر .. أن يصيب خصمنا وجهى رجلينا ، حتى يفقدهما الوعى ، ثم يعود إليهما فى هيئة المفتش (جاك) ، ويأتى بهما إلى هنا ، دون أن ينتبه إلى خطأ واحد وقع فيه ، وهو يضع تفاصيل خطته المعقدة .

سأله (بيتون) فى لهفة :

ـ أى خطأ هذا يا سير (وينسلوت) ؟!

أشار (وينسلوت) بسبابته ، وهو يجيب :

ـ قدومه إلى هنا .

لوح المحامى بذراعيه ، فى توتر شديد ، وهو يدور فى الحجرة ، مكرّراً فى ذهول :

ـ مستحيل !.. مستحيل!

ثم استدار إلى سير (وينسلوت) ، واتجه نحوه ، متسائلاً فى عصبية بالغة :

ـ وما الذى يعنيه قدومه إلى هنا ؟!.. لماذا اعتبرته خطأ ، كشف هويته الحقيقية ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

قال سير (وينسلوت) ، فى ثقة شديدة :

ــ سل نفسك أنت يا عزيزى (ويندسور) : هل يوجد سبب منطقى واحد ، لقدوم مفتش شرطة إلى هنا منفردًا ، وهو يصطحب اثنين من المشتبه فيهم .

هتف المفتش (جاك) فى صرامة :

ــ نعم .. سل نفسك أيها المحامى ، فأنت الوحيد ، الذى يملك جواب السؤال .

قال سير (وينسلوت) فى سخرية :

ــ إنه ليس أمرًا قانونيًا معقدًا ، حتى ..

قاطعه المفتش فى غضب :

ــ ومن تحدث عن القانون ؟!.. إننى أتحدث عما فعله محاميك هذا ، منذ ساعتين فحسب ، وبالتحديد عندما عثرنا على رجليك المصابين .. لقد حضر إلى مبنى الشرطة ، ودفع كفالة الإفراج عنهما ، ثم اقترح أن أحضرهما بنفسى إلى قصرك ، بعد غروب الشمس ؛ حتى أحصل منك شخصيًا على تعهد ، بعدم عملهما كحارسين شخصيين مرة أخرى .

انعقد حاجبا (بيتون) فى توتر شديد ، فى حين غمغم سير (وينسلوت) ، فى دهشة بالغة :

ــ (ويندسور) فعل هذا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سحب المحامى من حزامه مسدسًا ، ألصقه بعنق سير (وينسلوت) من الخلف ، وهو يحيط عنقه بذراعه القويّة الأخرى ، قائلاً فى سخرية :

ــ مفاجأة !!.. أليس كذلك ؟!

وانتفض جسد سير (وينسلوت) بمنتهى العنف ..

بل ، وانتفضت أجساد الجميع ، حتى المفتش (جاك) نفسه ..

فذلك الصوت ، الذى نطق به المحامى عبارته الأخيرة ، لم يكن يشبه ، بأى حال من الأحوال ، صوته الذى كان يتحدث به طوال الوقت ..

بل كان صوتًا مختلفًا تمامًا ..

كان صوتًا قويًا ، حازمًا ، واثقًا ..

وساخرًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

كان صوت (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

« مستحيل !!.. »

هتف (دافيد جراهام) بالكلمة ، بكل دهشة وتوتر الدنيا ، فاعتدل الملحق العسكرى الإسرائيلى (إيتان مائير) على مقعده ، وهو يسأله فى قلق :

ــ ماذا حدث ؟!... هل كشف رجال سير (وينسلوت) جهاز التنصّت ، الذى زرعته فى مكتبه ؟!

هز (جراهام) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول فى توتر شديد :

ــ بل هو يعمل بكفاءة تامة ، وينقل إلىَّ هنا كل ما يدور فى حجرة مكتب عضو مجلس العموم المتحذلق .

ثم أدار عينيه إليه ، مستطردًا :

ــ وما يدور هناك ، هو ما أثار قلقى وفزعى الآن .

سأله (مائير) ، فى عصبية شديدة :

ــ وما الذى يدور هناك ؟!..

نهض (جراهام) ، وهو يجيب متوترًا :

ــ رجل المخابرات المصرى ، أمكنه أن يصل إلى سير (وينسلوت) ، ويبدو أنه يسيطر على الموقف أيضًا هناك .

اتسعت عينا (مائير) عن آخرهما ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !

أجابه (جراهام) ، وهو يندفع إلى خارج الحجرة :

ــ هذا ما قلته بالضبط .

لحق به (مائير) ، هاتفًا :

ــ ماذا ستفعل الآن ؟!

أجاب (جراهام) فى حزم :

ــ سأنطلق على الفور ، إلى قصر سير (وينسلوت) ، قبل أن تتطوّر الأمور أكثر .

ثم التفت إليه ، مستطردًا بلهجة آمرة صارمة :

ــ أرسل خلفى فريقًا من محترفينا ، واحرص على تزويدهم بكل الأسلحة الممكنة ، لضمان السيطرة التامة على الموقف هناك .

www.dvd4arab.com

سأله (مائير) بمنتهى التوتر :

ــ هل تعتقد أنه سيقتل سير (وينسلوت) ؟!

أجابه (جراهام) ، وهو يتجاوز أسوار السفارة ، ويقفز داخل سيارته الرياضية القوية :

ــ لو فعلها ، فسيفسد مخططاتنا لفترة طويلة من الزمن .

قال (مائير) فى عصبية :

ــ ولكنك تقول إنه قد وصل إليه فى عقر قصره ، وأنه يسيطر على الأمور كلها بالداخل .

قال (جراهام) فى صرامة ، وهو يدير محرك سيارته :

ــ ليس المهم أن ينجح فى دخول القصر .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ــ المهم ألا ينجح فى الخروج منه أبدًا .

قالها ، وانطلق بسيارته ، ليضيف إلى الصراع جبهة جديدة .. ورهيبة .

* * *

9 ـ المواجهة ..

على الرغم من الشهرة الواسعة ، التى يحوزها سير (وينسلوت) ، فى الأوساط السياسية والاجتماعية البريطانية ، باعتباره رجلاً بارد الأعصاب ، يمكنه أن يظل متماسكًا فى أحلك الظروف ، التى ينهار خلالها سواه ، فقد بدا محتقن الوجه ، شديد التوتر ، و(أدهم) يحيط عنقه من الخلف بذراعه اليسرى ، ويلصق فوهة مسدسه الباردة به بيمناه ، قائلاً فى سخرية :

ــ لو أردت رأيى ، فالأفضل أن تراجع نظمك الأمنية جيدًا يا زعيم الأوغاد ، فعباقرة جهازك الأمنى سمحوا لى بالمرور ، حتى بلغت مكتبك الشخصى ، دون أن يكلف أحدهم نفسه مشقة تفتيشى ؛ للتأكد من أننى لا أحمل سلاحًا .

وعلى الرغم من ذهوله ، الذى يفوق ذهول الجميع ، هتف (بيتون) ، متصورًا أن أصابع الاتهام تتجه نحوه ، ونحو طاقم الأمن الذى يقوده :

ــ لقد تصورنا أنه محاميك الخاص يا سير (وينسلوت) ، وليس من اللائق أن ..

Looloo www.dvd4arab.com

قاطعه سير (وينسلوت) ، فى غضب مستنكر ، ووجهه يزداد احتقاناً :

ـ اللائق ؟!.. أهذا ما تعلمته عن نظم الأمن يا (بيتون) ؟!

قال (أدهم) ساخرًا ، وهو ينزع عن وجهه قناع المحامى المتقن :

ـ وهل من قواعد نظم الأمن ، أن تترك محاميك الشخصى ، وكاتم أسرارك الأول بلا حماية كافية ؟!.. لقد زرته فى مكتبه ، وأفقدته الوعى بلكمة واحدة ، ثم تركته مقيّدًا فاقد الوعى هناك ، وسمحت لموظفيه بالانصراف ، بعد أن انتحلت هيئته ، وغادرت باعتبارى هو ، بعد انصرافهم جميعًا ، بكل هدوء وبساطة .

وابتسم المفتش (جاك) ، فى سخرية متوترة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنكم جميعًا تحتاجون إلى دروس مكثفة ، فى نظم الأمن الدقيقة ، يا عضو مجلس العموم .

بدا وكأن سير (وينسلوت) قد استعاد صرامته وثقته ، على الرغم من فوهة المسدس الملتصقة بعنقه ، وهو يقول :

ـ ادخر سخريتك للمشهد الأخير أيها المفتش ؛ فالمباراة لم تنته بعد .

دفع (أدهم) فوهة مسدسه فى عنق سير (وينسلوت) أكثر ، وهو يقول فى سخرية صارمة :

ـ وماذا لو أن هذا هو المشهد الأخير بالفعل ، يا زعيم الأوغاد ؟!

أجابه سير (وينسلوت) ، وقد استعاد هدوءه كاملاً :

ـ من المستحيل أن يكون هذا هو المشهد الأخير أيها المصرى ، حتى لو نسفت رأسى بمسدسك هذا ، فربما كان الدخول إلى قصرى بمثابة لعبة ممتعة بالنسبة لك ، ولكن الخروج منه لن يكون أبدًا بالبساطة نفسها .

هز المفتش (جاك) رأسه ، قائلاً فى سخرية ، امتزجت بتوتره وصرامته ، لتمنح صوته رنينًا عجيبًا :

ـ بالبساطة نفسها ؟!.. يا له من قول يا سير (وينسلوت) !.. هل تعتبر خطته العبقرية ، وذلك الانتحال المذهل والمتقن لشخصية محاميك الخاص ، والذى نجح فى خداعك شخصيًا ، على الرغم من معرفتك القوية به ، مجرد بساطة ؟!

Looloo
www.dvdcorex.com

قال سير (وينسلوت) ، بنفس الهدوء العجيب :

ــ خطتك لم تكن عبقرية ، وإنما معقدة أكثر مما ينبغى .

قال (أدهم) ساخرًا :

ــ دعنا نعترف أولاً بأنها قد نجحت فى خداعك .

قال سير (وينسلوت) ، وقد بدا غير مبال على الإطلاق بفوهة المسدس ، التى كادت تنغرس فى عنقه :

ــ كان يمكنك أن تخدعنى بانتحال شخصية المحامى فحسب ، ولم يكن هناك داع لإحضار المفتش والرجلين إلى هنا .

هز (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ــ ربما أردت أن أسخر منك أمام الجميع .

شعر (بيتون) بتوتر شديد ، يمتزج بدهشته البالغة ، عندما نطق (أدهم) عبارته الأخيرة ، إلا أن سير (وينسلوت) نفسه قال فى برود :

ــ ليس هذا هو السبب الحقيقى .

قال (أدهم) :

ــ ولكن حضورهم أربكك بالفعل ، ودفعك إلى لعب دور المحقق البارع ، أو ربما حاولت أن تتقمص شخصية مواطنك الخيالى (شيرلوك هولمز) ، وأنت تكشف ما تصورت أنه الحقيقة .. كيف كان بإمكانى إضاعة فرصة كهذه .. لقد استمتعت كثيرًا فى الواقع ، باللحظة التى انكشف فيها عقلك غير المرتب ، ومفهومك المضحك عن عبقريتك الوهمية .

فجرت الكلمات الأخيرة كل غضب (بيتون) ، فصوب فوهة مدفعه الآلى القصير نحو (أدهم) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أوامرك يا سير (وينسلوت) .

ابتسم (أدهم) ، فى سخرية أكثر ، وهو يقول :

ــ والآن ماذا يا زعيم الأوغاد ؟!.. هل ستأمر رجالك بإطلاق النار علينا معًا ؟!

قال سير (وينسلوت) فى برود :

ــ أنت خاسر فى كل الأحوال أيها المصرى ، فبعد أن كشفت القناع عن وجهك ، على هذا النحو السافر ، لن يمكنك أبدًا أن تغادر قصرى سالمًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

هز (أدهم) كتفيه ، فى لا مبالاة ، قائلاً :

ــ لا تشغل نفسك بشأنى يا زعيم الحمقى ؛ فربما كانت لدى خطة للخروج من هنا .

ثم مال على أذنه ، مضيفًا فى شىء من الصرامة :

ــ أو أنها خطة انتحارية ، للتخلص من زعيم أغبى منظمة جاسوسية ، على وجه الأرض .

انعقد حاجبا المفتش (جاك) ، وهو يقول فى توتر :

ــ منظمة جاسوسية ؟!.. ماذا تعنى بالضبط يا رجل ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم واضح :

ــ دعك خارج هذا الأمر أيها المفتش ، فربما تدفع حياتك ؛ ثمنًا لمعرفته .

ضاقت عينا سير (وينسلوت) ، على نحو عجيب ، عندما سمع عبارة (أدهم) الأخيرة ، وهتف فجأة :

ــ (بيتون)... المفتش .

استوعب (بيتون) الأمر على الفور ، فأدار فوهة مدفعه

القصير ، نحو رأس المفتش (جاك) مباشرة ، فقال هذا الأخير فى عصبية :

ــ هل ستجرؤ ؟!

تجاهله سير (وينسلوت) تمامًا ، وهو يقول :

ــ أشكرك كثيرًا على عبارتك الأخيرة أيها المصرى ، فقد نبهتنى إلى أنك قد جلبت نقطة ضعفك إلى هنا بنفسك ، دون أن تدرى .

قال (أدهم) فى سخرية ، أخفى بها ذلك القلق ، الذى ملأ نفسه :

ــ أية نقطة ضعف أيها المتحذلق ؟!

أجابه سير (وينسلوت) ، فى هدوء شديد :

ــ لقد قرأت كل المعلومات ، التى جلبتها عنك ، ممن عاصروا عملية (سنغافورة) ، بإمعان شديد أيها المصرى ، وكل حرف منها يؤكد أنك تلتزم دومًا بعدد من المبادئ والقواعد ، وعلى الرغم من جرأتك الشديدة ، وشجاعتك فى مواجهة الأخطار ، واستعدادك الدائم لدفع حياتك ، فى سبيل ما تؤمن به ، إلا أنك

Looloo www.dvd4arab.com

تقيم وزنًا كبيرًا للحياة البشرية ، ولا تريق الدماء إلا للضرورة القصوى .

قال (أدهم) ، فى شىء من الغلظة :

ــ ألا تبدو لك هذه ضرورة قصوى ، يا زعيم الأوغاد ؟!

قال سير (وينسلوت) فى صرامة :

ــ دعنا نختبر هذا .

ثم التقى حاجباه ، وهو يقول لقائد حرسه ، بلهجة آمرة صارمة :

ــ أمامك دقيقة واحدة يا (بيتون) ، فإما أن يستسلم لنا المصرى ، ويلقى سلاحه أرضًا ، ويرفع ذراعيه فوق رأسه ، أو تنسف رأس المفتش (جاك) بلا رحمة .. هل تفهم ؟!

ضاقت عينا (بيتون) فى وحشية عجيبة ، وهو يقول :

ــ أوامرك يا سير (وينسلوت) .

أما المفتش (جاك) ، فقد هتف فى حدة :

ــ إنك تتجاوز كل الحدود يا سير (وينسلوت) .. قتل مفتش

شرطة ، يعتبر جريمة من الدرجة الأولى ، ولا أحد يفلت منها أبدًا .

قال سير (وينسلوت) بنفس الصرامة :

ــ دعنى أستعير عبارة صديقنا المصرى أيها المفتش... . لا تشغل نفسك بشأنى ..

جذب (أدهم) إبرة مسدسه فى حزم ، وهو يقول :

ــ أمامك أنت نصف الدقيقة فحسب أيها الوغد ؛ لتلغى أوامرك السابقة ، وإلا ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى حزم :

ــ أنت على حق أيها المصرى .

ثم هتف بقائد حرسه فى صرامة :

ــ اجعلها نصف دقيقة فحسب يا (بيتون) ؛ فصديقنا المصرى يرى أنها مهلة كافية .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يضغط عنق سير (وينسلوت) بذراعه اليسرى فى قوة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إذن فقد قررت المغامرة بحياتك ، يا زعيم الأوغاد .

قال سير (وينسلوت) فى صرامة ، على الرغم من الآلام ، التى يشعر بها فى عنقه :

ـ لو أن معلوماتك عنى كافية ، لعلمت أننى مقامر بطبعى أيها المصرى .

أما المفتش ، فهتف فى عصبية متوترة :

ـ إننى أحذركم .. لو جرؤتم على...

بتر عبارته بغتة ، على نحو جذب انتباه (أدهم) ، فرفع عينيه إليه فى سرعة ، ورآه يحدق فى بقعة ما خلفه ، فى مزيج من الدهشة والتوتر ، فأدار رأسه بسرعة ، إلى حيث ينظر المفتش ، و ...

وكانت مفاجأة .

فعبر ممر سرى ، فى جدار حجرة مكتب سير (وينسلوت) ، كان ثلاثة من طاقم حراسة هذا الأخير ، يدلفون إلى الحجرة ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا قصيرًا ..

وفى انفعال جارف ، هتف بهم (بيتون) :

ـ أطلقوا النار .

وانتفض جسد المفتش (جاك) ...

بمنتهى العنف ..

* * *

بدا نائب مدير المخابرات العامة المصرية شديد التوتر هذه المرة ، وهو يدخل حجرة المدير ، قائلاً :

ـ أنباء جديدة من (لندن) يا سيدى .

رفع المدير عينيه إليه ، واستشف توتره من ملامحه ، وهو يسأله فى قلق :

ـ وماذا تحوى ؟!

وضع النائب البرقية الجديدة أمامه ، وهو يقول فى توتر :

ـ الإسرائيليون دخلوا الساحة .

تراجع المدير ، قائلاً :

ـ الإسرائيليون ؟!.. وما شأنهم بالأمر كله ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

لوح نائبه بيده ، وهو يقول :

ـ مراقبونا رصدوا لقاءً سابقًا ، بين سير (وينسلوت) ، وضابط المخابرات الإسرائيلى (دافيد جراهام) ، فى الثالثة ظهرًا ، بتوقيت (لندن) ، ومنذ فترة قصيرة ، غادر (جراهام) مبنى السفارة الإسرائيلية ، فى توتر ملحوظ ، وانطلق بسيارته الخاصة إلى قصر سير (وينسلوت) ، وتوقف عند بداية الطريق الخاص ، الذى يقود إلى القصر ، حيث لحق به فريق من المحترفين الإسرائيليين ، وهم يحاصرون قصر (وينسلوت) الآن .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول فى تفكير متوتر :

ـ هذا يبدو لى أشبه بصراعات (المافيا) القديمة .

ثم تراجع فى مقعده ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يكمل فى شىء من الحزم :

ـ ولكن هذا لا يتفق مع مجريات الأحداث ، والإسرائيليون لن يقدموا على موقف عنيف كهذا ، دون مبرر قوى .

أشار النائب بسبابته ، قائلاً :

ـ مراقبونا يؤكدون أيضًا أن كل أطقم الأمن ، التابعة لقصر سير (وينسلوت) ، تتعاون مع فريق المحترفين الإسرائيلى تعاونًا كاملاً ، و(جراهام) يقود العملية كلها ، ببراعة تليق بسمعته فى مجال الأمن .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يقول :

ـ إنها ليست حرب عصابات إذن .

وطال صمته هذه المرة ، وهو يدرس الموقف كله فى ذهنه ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ لو أردت رأيى ، فهذا الحصار يستهدف منع الخروج من القصر ، وليس الدخول إليه .

ثم ضرب سطح المكتب براحته ، مضيفًا :

ـ منع الرائد (أدهم) بالتحديد .

قال نائبه فى انفعال :

ـ هذا يعنى أنه يسيطر على الموقف بالداخل .

نهض المدير ، قائلاً فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ويعنى أن أوراقه قد انكشفت للكل أيضًا ، ولهذا يسعى الإسرائيليون لحصار المكان ، ومنع خروجه منه حيًا بأى ثمن .

هز النائب رأسه فى توتر ، وتساءل :

ـ ولكن لماذا دخل الرائد (أدهم) إلى القصر يا سيدى ؟!.. لماذا أصر على أن تكون المواجهة مباشرة ؟!

قال المدير فى توتر :

ـ هذا ما ينبغى أن نسأله إياه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

ـ لو أنه خرج من هذا الموقف حيًا .

وانفرجت شفتا النائب ؛ ليقول شيئًا ما ..

إلا أنه لم يفعل ..

فبعد ما قاله المدير ، لم يعد هناك ما يقال ..

على الإطلاق .

* * *

كان الموقف كله دقيقًا ومتوترًا بالفعل ، فى حجرة مكتب سير (وينسلوت) ، زعيم منظمة (هيل آرت) للجاسوسية ..

فبخدعة بارعة ، تمكّن رجاله من محاصرة (أدهم) من الجانبين .

وصرخ قائدهم ، يطالبهم بإطلاق النار ..

وفورًا ..

ولقد انتفض جسد المفتش (جاك) بمنتهى العنف ، وهو يتراجع بحركة حادة ، متصورًا أن الرصاصات ستخترق جسد (أدهم) حتمًا ..

وبمنتهى العنف ..

أما الرجال ، فقد كانت تدريباتهم تحتم عليهم إطلاق النار فورًا ، عندما يتلقون الأمر بهذا ..

ونحو الهدف مباشرة ..

ولكن العجيب أنهم لم يفعلوا ..

ولم تنطلق من فوهات أسلحتهم رصاصة واحدة ..

Looloo

ففى نفس اللحظة ، التى أدرك فيها (أدهم) موقفه ، بدأ عقله تحركه على الفور ..

واستجاب له جسده تمامًا ..

وبسرعة مذهلة ..

وبحركة سريعة ، تجاوزت كل المقاييس والمعايير المعروفة ، مال (أدهم) بجسده ، فى زاوية حرجة ، وجذب معه سير (وينسلوت) من عنقه فى قسوة ، وتراجع بوثبة قوية ، ليلصق ظهره بالمكتبة الكبيرة فى الحجرة ، ويحمى جسده بجسد عضو مجلس العموم البريطانى ..

ولهذا لم يطلق الرجال رصاصة واحدة ..

فأية رصاصة تنطلق من أسلحتهم ، ستخترق جسد زعيمهم حتمًا ، قبل أن تبلغ جسد (أدهم) ، الذى صاح فى صرامة :

ــ حركة واحدة ، وأنسف رأس الأفعى أمام عيونكم جميعًا أيها الأوغاد .

هتف سير (وينسلوت) فى صرامة :

ــ لا فائدة أيها المصرى .. الرجال سيظفرون بك حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً .

ضغط (أدهم) عنقه أكثر بذراعه القوية ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اصمت أيها الوغد .

تجاهله سير (وينسلوت) تمامًا ، وهو يهتف بقائد حرسه :

ــ كم تبقى من المهلة يا (بيتون) ؟!

أجابه (بيتون) ، فى صرامة عصبية :

ــ خمس ثوان فحسب يا سير (وينسلوت) .

قال (وينسلوت) فى شراسة :

ــ هل سمعت أيها المصرى ؟!.. خمس ثوان فحسب ، وينتهى كل أمل لك فى النجاة .

قال (أدهم) فى صرامة :

ــ إنك لن تجرؤ على قتل مفتش شرطة بريطانى .

قال سير (وينسلوت) فى سخرية ، على الرغم من آلام عنقه ، التى تجاوزت الحدود :

ــ هل تعتقد هذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يكد يتم عبارته ، حتى قال (بيتون) ، بمنتهى الصرامة والشراسة :

ـ انتهت المهلة .

ودون حتى أن ينتظر نهاية كلماته ، ضغط زناد مدفعه الآلى القصير ، المصوب إلى رأس المفتش (جاك) مباشرة ..

وفى مشهد رهيب ، اخترقت رصاصة (بيتون) رأس المفتش ، وتجاوزته إلى الجانب الآخر ، حاملة معها أجزاء من مخه ، مع نافورة من الدم ، جحظت معها عينا الرجل ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، على أرضية الحجرة ، المغطاة ببساط فاخر ثمين ..

ومع دوى الرصاصة ، شعر (أدهم) بتلك الوخزة فى فخذه اليسرى ..

وخزة سريعة خاطفة ، بدت وكأنها بسبب شىء مدبب ، فى ثياب زعيم منظمة (هيل آرت) ، الذى يحتمى بجسده ..

إلا أن تأثيرها كان سريعًا للغاية ..

وخطيرًا للغاية ..

فمع الوخزة ، سرى خدر عجيب ثقيل ، من موضعها فى فخذ (أدهم) ، إلى جسده كله ..

وقبل حتى أن يشعر بالدهشة لما حدث ، أصيبت أطرافه كلها بشلل مفاجئ عجيب ..

شلل تجمد معه جسده ، ثم تراخى فى سرعة ، حتى إن ساقيه لم تعودا تحتملان وزنه ..

كل هذا خلال ثانية ، لم يعد قادرًا بعدها ، حتى على ضغط زناد مسدسه ، ووجد جسده كله يتهاوى ، وخاصة عندما أزاح سير (وينسلوت) ذراعه الملتفة حول عنقه ، فى هدوء وبساطة ، وتركه يسقط أرضًا ، أمام عيون الجميع ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ هذه هى المفاجأة الحقيقية أيها المصرى .. أليس كذلك ؟!

حاول (أدهم) أن يقاوم ..

أو يستعيد تماسكه ..

أو حتى شعوره بأطرافه المخدرة ..

ولكن هذا بدا مستحيلاً تمامًا فى تلك اللحظة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

العجيب أنه كان يرى ويسمع جيدًا سير (وينسلوت) ، الذى انحنى نحوه ، بابتسامة ساخرة ، ظافرة ، شامتة ، وهو يقول :

ــ كان ينبغى أن تعلم أن الانتصار على مقاتل قديم مثلى ، يعد من رابع المستحيلات أيها المصرى .

ثم أشار إلى خاتم كبير ، فى الإصبع الأوسط من يده اليسرى ، مستطردًا فى زهو واضح :

ــ إنه سلاحى السرى ، الذى أدخره دومًا للنهاية ؛ فهو عقار خاص للغاية ، يستخدمه هنود أدغال (البرازيل) ؛ لإصابة فرائسهم بالشلل ، حتى يسهل قنصها ، وحملها حية إلى قبيلتهم .

هتف (بيتون) فى انبهار واضح :

ــ فكرة عبقرية يا سير (وينسلوت) !.. إذن فقد كنت تعلم منذ البداية أنك ستنتصر فى النهاية .. ولكن لماذا إذن ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، وهو ينهض فى حزم :

ــ كنت أريد أن ألقنكم الدرس يا (بيتون) .

ابتسم (بيتون) ابتسامة كبيرة ، قبل أن يصوب مسدسه إلى رأس (أدهم) ، قائلاً :

ــ أوامرك يا سير (وينسلوت) .

وابتسم سير (وينسلوت) ابتسامة كبيرة ..

ابتسامة ظافرة ..

ومخيفة ..

ووحشية ..

* * *

« أكمل يا (قدرى) .. لا تتوقف الآن .. »

هتفت (منى) بالعبارة فى لهفة ، ولكن (قدرى) أغلق الملف ، ووضعه على سطح مكتبه ، وهو يقول :

ــ (منى) .. إنها منتصف الليل الآن ، والمفترض أن نعود إلى ديارنا ؛ لننعم بقسط من النوم ، ونستعد للقيام بعملنا غدًا .

هتفت معترضة :

ــ ولكننى أريد معرفة ما حدث هناك .. فى قصر سير (وينسلوت) هذا .

هز كتفيه الضخمين ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الأمر واضح للغاية يا (منى) ؛ فصديقنا (أدهم) واصل حياته ، بعد تلك العملية ، والتقى بك ، وتشاركتما عددًا من العمليات الناجحة ، وهذا يعنى أن (بيتون) هذا لم يطلق النار على رأسه ، على الرغم من ذلك الشلل ، الذى سببه له عقار سير (وينسلوت) .

سألته فى لهفة ، وهو يلملم أوراقه ، ويرتب مكتبه ، استعدادًا للانصراف :

ـ كيف نجا (أدهم) من هذا الموقف إذن ؟!

قادها (قدرى) فى رفق إلى باب معمله ، وهو يقول :

ـ الواقع أن سير (وينسلوت) كانت لديه مخططات أخرى بشأنه .

ثم مال على أذنها ، مستطردًا :

ـ مخططات رهيبة .

هتفت فى اعتراض :

ـ (قدرى) .. إنك تزيدنى فضولاً ولهفة ، لمعرفة باقى تفاصيل العملية .

ابتسم ، قائلاً :

ـ فى صباح الغد يا (منى)... سنتابع قراءة الملف فى صباح الغد .

قالها ، وأطفأ الأنوار ، لينهى هذا الفصل ، من العملية التى لم تكتمل بعد ..

عملية (الجحيم) .

* * *

(نهاية الفصل الأول)

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الثانى

الحمم

1 - بأى ثمن ..

« أنت هنا ؟!.. »

هتف (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير ، فى المخابرات العامة المصرية العبارة ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يدلف إلى مكتبه ، فى الصباح الباكر ، فابتسمت (منى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

ــ إننى هنا منذ السابعة صباحًا .

تألّقت ضحكة فى عينى (قدرى) الضيقتين ، وهو يغمغم :

ــ آه .. كان ينبغى أن أتوقع هذا .

وخلع سترته ، ليعلقها على مشجب كبير مجاور للباب ، مع استطرادته الخبيثة :

ــ أراهن أن الفضول لم يمنحك لحظة واحدة من النوم ، طيلة ليلة أمس .

حاولت أن تبتسم ، إلا أنها عجزت عن هذا ، وهى تقول ، فى شىء من التوتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أين وضعت ملف "عملية (أدهم) ؟!.. لقد بحثت عنه طويلاً ، دون أن أعثر عليه !!

أشار (قدرى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ إنه ملف سرى للغاية .

كرَّرت فى توتر أكثر :

ـ أين وضعته ؟!

ابتسم فى مرح ، وهو يتجه نحو مكتبه ، قائلاً :

ـ إنه أحد أهم الدروس ، التى تعلمتها من صديقنا (أدهم) ؛ فالإنسان عندنا يبحث عن أمر مهم ، لا يتصوَّر أبدًا أن يجده فى أكثر الأماكن وضوحًا .

قالها ، وأزاح بعض الأوراق المبعثرة بإهمال ، على سطح مكتبه ، والتقط من بينها ملف عملية (هيل آرت) ، ورفعه أمامه ، فابتسمت (منى) ، قائلة :

ـ يا لك من مخادع !

لم تكن قد أكملت عبارتها بعد ، عندما اختطفت الملف من يده بكل اللهفة ، فأطلق هو ضحكة كبرى ، قبل أن يقول :

ـ إنها مهنتى .

جلست على مقعد قريب ، وهى تتصفح الملف ، متسائلة :

ـ أين توقفنا أمس ؟!

أجابها (قدرى) ، وهو يفتح حقيبته ، ويخرج منها لفافة من الشطائر ، فى نهم واضح :

ـ لقد توقفنا عند سقوط (أدهم) ، مصابًا بشلل مؤقت ، فى حجرة مكتب سير (وينسلوت) الخاصة ، و ..

قاطعته فى صرامة :

ـ أعلم جيدًا الأحداث التى توقفنا عندها .. كنت أسألك عن رقم الصفحة .

هزَّ كتفيه المكتظين ، قائلاً :

ـ ستجدين واحدة من بطاقاتى الشخصية عندها .

توصَّلت إلى الصفحة بسرعة ، وقالت فى لهفة ، لم تحاول إخفاءها :

ـ سأقرأ أنا هذه المرة .

Looloo
www.dvd4arab.com

التقط شطيرة كبيرة ، وقضم منها قطعة ضخمة ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل .

والتقطت هى نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على فضولها وانفعالها ..

ثم راحت تقرأ ..

* * *

راجع مدير المخابرات المصرية فى اهتمام ذلك التقرير ، الذى قدمه له نائبه ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً فى قلق :

ــ إذن فلا توجد أية أخبار جديدة عن الرائد (أدهم) .

أومأ النائب برأسه ، قائلاً :

ــ الأدهى يا سيادة الوزير أن مراقبينا قد رصدوا حالة من الهدوء الشديد ، تحيط بقصر سير (وينسلوت) ، بعد أن انتهت حالة الطوارئ القصوى فيه فجأة ، ورجال (دافيد جراهام) ما زالوا يحيطون به ، فى حين اختفى (جراهام) نفسه داخل القصر ، منذ أكثر من ساعة كاملة .

تراجع مدير المخابرات فى مقعده ، وهو يقول :

ــ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجابه نائبه فى توتر :

ــ أخشى مجرد التفكير فى الأمر يا سيِّدى .

انعقد حاجبا المدير بشدة ، وشعر بموجة من التوتر الشديد تسرى فى عروقه ، فنهض من مقعده ، واتجه إلى نافذة حجرة مكتبه ، وتطلَّع عبرها فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى نائبه ، قائلاً فى حزم :

ــ اطلب من مراقبينا مواصلة مراقبة قصر (وينسلوت) ، وإبلاغنا بأية تطورات جديدة ، وحاول فى الوقت ذاته الاتصال بالرائد (أدهم) ، عبر كل وسائلنا المباشرة ، وغير المباشرة أيضًا .. أريد معرفة ما يحدث هناك ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف ، بمنتهى الحزم والصرامة :

ــ وبأى ثمن .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كان (جراهام) يبتسم فى ارتياح ظافر ، وهو يتطلَّع إلى جسد (أدهم) فاقد الوعى ، فى مكتب (وينسلوت) ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ عظيم يا سير (وينسلوت) .. ما حدث هنا الليلة ، يثبت أنك بالفعل حليف قوى ، لدولة (إسرائيل) .

اعتدل (ونيسلوت) ، وأشعل سيجاره الكوبى الفاخر ، بذلك البرود البريطانى الموروث ، وهو يقول :

ـ كيف عرفت ؟!

رفع (جراهام) عينيه إليه ، قائلاً بابتسامته الخبيثة :

ـ الأمر يبدو واضحًا يا سير (وينسلوت) ، فها هو ذا خصمك تحت قدميك ، و ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، وهو يكرّر فى صرامة :

ـ كيف عرفت ما يحدث هنا يا (جراهام) ؟!

انتبه الإسرائيلى المخضرم لهفوته ، فى تلك اللحظة فقط ، ولكنه حافظ على تماسكه وابتسامته ، وهو يقول :

ـ الأمر ليس عسيرًا يا سير (وينسلوت) ، فقد بلغنى أن شخصًا انتحل ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، فى صرامة أكثر ، وهو ينفث دخان سيجاره فى قوة :

ـ كيف عرفت ؟!

كان من الواضح أن اللعب يتم الآن بأوراق مكشوفة ، لذا فقد اعتدل رجل (الموساد) الإسرائيلى ، وقال فى حسم :

ـ وسائل الأمن ، التى وضعتها هنا ، هى التى أبلغتنى بما يحدث فى قصرك .

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ تقصد أجهزة التنصت .

انعقد حاجبا رئيس الحرس (بيتون) ، وتحفّزت يده الممسكة بمسدسه ، وهو ينقل بصره فى توتر ، بين زعيمه سير (وينسلوت) ، ورجل (الموساد) (جراهام) ، الذى أجاب فى حسم شديد :

ـ بالضبط .

وهنا انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى غضب ، وهو يقول :

ـ كيف تجرؤ ..

قاطعه (دافيد جراهام) فى سرعة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إننى أحمى مصالح دولتى يا سير (وينسلوت) .

قال (وينسلوت) فى غضب :

ـ وماذا عن مصالحى أنا ؟!

أجابه (جراهام) فى جرأة :

ـ مصالحك تدخل ضمن مصالح دولتى يا سير (وينسلوت) ، ووجود تلك الأجهزة هنا ، هو الذى نبهنا إلى ما تواجهه من خطر ، وهو ما دفعنا إلى التحرُّك بمنتهى السرعة ؛ لإنقاذك وتأمينك .

قال (وينسلوت) فى صرامة :

ـ ولكنكم وصلتم بعد أن انتهى الأمر .

ابتسم (جراهام) ، وقال فى خبث :

ـ ربما لم ندرك أنك تجيد التصرف ، بكل هذه المهارة يا سير (وينسلوت) .

شدَّ (وينسلوت) قامته ، قائلاً :

ـ وماذا بعد أن أدركتم ؟!

أشار (جراهام) بيده ، قائلاً فى خبث :

ـ ستتغير أمور كثيرة حتمًا يا سير (وينسلوت) .

رمقه (وينسلوت) بنظرة قاسية ، وهو يقول فى صرامة ، وينفث دخان سيجاره ، فى الوقت ذاته :

ـ هذا أمر مؤكَّد يا سيِّد (جراهام) .

ثم استدار إلى (بيتون) ، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ أرسل طاقمًا من القسم الفنى ، لفحص كل شبر من حجرة مكتبى ، وإزالة أدوات التنصت منه .

قال (جراهام) ، محاولاً إثبات حسن نيته :

ـ لا داع لكل هذا يا سير (وينسلوت) .. يمكننى أن أدلهم على كل جهاز ..

قاطعه سير (وينسلوت) فى صرامة :

ـ هل تعرف طريقك إلى الخارج ، أم تحتاج إلى من يرشدك يا سيِّد (جراهام) ؟

شعر (جراهام) بتوتر شديد يسرى فى كيانه ، وألقى نظرة عصبية على جسد (أدهم) الفاقد الوعى ، قبل أن يحاول الابتسام ، قائلاً :

www.dvd4arab.com

ـ لا ينبغى للأخطاء البسيطة أن ..

قاطعه سير (وينسلوت) مرة أخرى ، بمنتهى الصرامة :

ـ وداعًا يا سيِّد (جراهام) .

احتقن وجه (جراهام) بشدة ، وبذل جهدًا خرافيًّا ليتماسك ، وهو يقول :

ـ أهذا وداع شخصى ، أم إنه يشير إلى التعاون بين منظمتك ودولتى أيضًا ؟

شدَّ سير (وينسلوت) قامته مرة أخرى ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

ـ لم يحن الوقت لحسم هذا القرار بعد .

احتقن وجه (جراهام) أكثر ، فى حين اتجه (بيتون) نحوه فى صرامة ، وقال فى خشونة شرسة ، وهو يمسك مقبض مسدسه ، الذى ما زال يستقر فى غمده :

ـ بعدك يا سيِّد (جراهام) .

كظم (جراهام) غيظه فى صعوبة ، وانحنى نصف انحناءة أمام سير (وينسلوت) ، وهو يقول :

ـ أتعشم أن نلتقى مرة أخرى يا سير (وينسلوت) .

أجابه (وينسلوت) ، وهو يشيح بوجهه فى ازدراء :

ـ ربما .

وظلَّ مشيحًا برأسه ، وأذناه تتابعان وقع أقدام (بيتون) و(جراهام) ، وهما يغادران المكان ، حتى سمع صوت الباب يغلق من خلفهما ، فالتقط نفسًا عميقًا من سيجاره الفاخر ، ونفثه بكل قوته ، فى هواء الحجرة ، قبل أن يخفض عينيه إلى جسد (أدهم) ، مغمغمًا :

ـ أما بالنسبة لك ، فلدى خطة .. خطة لم تخطر ببالك حتمًا .

واتسعت ابتسامته ..

وحملت الكثير من الظفر ..

والزهو ..

والوحشية ..

بلا حدود ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ألقى الملحق العسكرى المصرى نظرة متوترة على ساعته ، قبل أن يرفع عينيه إلى السفير ، قائلاً :

ــ إلغاء الاحتفال أثار دهشة وتساؤل الجميع ، وعلى رأسهم الدكتور (أحمد) شقيق الرائد (أدهم) نفسه .

هزَّ السفير رأسه ، قائلاً :

ــ لم يكن أمامنا سوى هذا ، بعد أن أشعل (أدهم) النيران ، فى (لندن) كلها .

بدا صوت الملحق العسكرى حازمًا ، وهو يقول :

ــ لم يكن الرائد (أدهم) هو المسئول عن هذا يا سيِّدى السفير .

رفع السفير كفه ، قائلاً :

ــ لا فارق .. لقد اشتعلت النيران وكان ما كان ، ونحن ننتظر الآن وصول طائرة طبية من (القاهرة) ، لنقل الرائد (حازم) على متنها إلى الوطن ، قبل أن يكشف رجال تلك المنظمة الرهيبة موقعه ، ويسعون للظفر به .

صمت الملحق العسكرى لحظة ، قبل أن يقول :

ــ هذا هو نفس ما أدركه (أدهم) ، يا سيادة السفير .

التفت إليه السفير بنظرة تساؤل ، فتابع موضحًا :

ــ إن القتال مع تلك المنظمة ، مهما بلغت قوته ، أو بلغ عنفه ، لن يحسم الأمر قط .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ــ لابد من القضاء على رأس الأفعى .. مباشرة .

تطلَّع إليه السفير بنظرة متوترة ، وهمَّ بقول شىء ما ، إلا أن أحد رجال أمن السفارة دلف إلى المكان فجأة ، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ــ معذرة يا سيادة السفير ، ولكن الأمر عاجل .. عاجل جدًا .

بدت دهشة متوترة على ملامح السفير ، قبل أن يندفع رجل الأمن نحو الملحق العسكرى ، ويناوله ورقة مطوية ، مضيفًا :

ــ إنه آخر تقارير مراقبينا .

فض الملحق العسكرى الورقة فى سرعة ، والتهم محتوياتها فى لحظة واحدة ، قبل أن يقول فى توتر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ سير (وينسلوت) انطلق بسيارته المصفّحة إلى مطار خاص ، حيث تقف طائرته مستعدة للإقلاع ، إلى جهة لم يفصح قائدها عنها ، بناءً على أوامر عضو مجلس العموم البريطانى .

بدت الحيرة على وجه السفير ، وهو يغمغم :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى توتر بالغ ، قبل أن يقول فى صرامة واقتضاب :

ـ الكثير .

قالها ، واندفع خارج المكتب ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، فهتف السفير من خلفه ، بكل توتر الدنيا :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

ولكنه لم يحصل على جواب ..

أى جواب .

* * *

لم تكد سيارة سير (وينسلوت) المصفحة تبلغ ذلك المطار الخاص ، حتى هبط منها هذا الأخير ، مع قائد حرسه (بيتون) ، وأشار إلى الرجلين المصاحبين له ، قائلاً فى صرامة باردة :

ـ أسرعا .

ودون إضاعة لحظة واحدة ، أخرج الرجلان جسد (أدهم) الفاقد الوعى ، والمقيد بإحكام ، من حقيبة السيارة ، وأسرعا به نحو مخزن الطائرة ، حيث قيداه إلى عمود من الصلب ، بأغلال فولاذية قوية ، قبل أن يسرع أحدهما إلى سير (وينسلوت) ، قائلاً :

ـ تم تنفيذ الأوامر يا سيِّدى .

مطَّ (وينسلوت) شفتيه ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا ، وهو يصعد مع (بيتون) فى سلم الطائرة :

ـ عظيم .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الملحق العسكرى للسفارة المصرية يقود سيارته فى توتر بالغ ، نحو ذلك المطار الخاص ، ورجل الأمن الجالس إلى جواره يتساءل :

Looloo www.dvd4arab.com

ـ ما الذى تتوقعه بالضبط يا سيِّدى ؟!

أجابه الملحق العسكرى ، بكل توتر الدنيا :

ـ أتوقع أن يكون الرائد (أدهم) ، داخل سيارة (وينسلوت) المصفحة .

ازدرد رجل الأمن لعابه فى توتر ، وغمغم فى حذر :

ـ حيًّا ؟!

انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى شدة ، ولاذ بالصمت ، وإن ظل ذهنه يطرح على كل ذرة من كيانه التساؤل نفسه ..

تُرى أما زال (أدهم) على قيد الحياة ، أم ..

لم يستطع حتى إكمال تساؤله ، وهو يزيد من سرعة سيارته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، وخارج حدود العاصمة البريطانية ، لاح له ذلك المطار الخاص ، فهتف بكل انفعاله :

ـ ها هو ذا ..

وصمت لحظة ، ثم استعاد توتره ، مضيفًا :

ـ عسى أن نصل ، قبل فوات الأوان .

كان يقترب من المطار ، بأقصى سرعة تسمح بها السيارة ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، ضغط فرامل سيارته فى قوة ، وهو يهتف فى حدة :

ـ كلا .

ولم ينبس رجل الأمن المصاحب له ببنت شفة ، أو يعقب على قوله بحرف واحد ؛ إذ رأى مثله طائرة (وينسلوت) ، وهى تحلق عاليًا ، منطلقة نحو جهة مجهولة ..

جهة لم تفصح عنها السجلات الرسمية ..

قط .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ الأســـير ..

لم يدر (أدهم) أبدًا كم ظل فاقد الوعى ، بتأثير ذلـك العقـار البدائى العجيب ، إلا أنه فجأة ، استعاد وعيه ..

استعاده ليجد نفسه مقيدًا ، على نحو مزدوج عجيب ..

فقد كان معصماه مقيدين خلف ظهره فـى إحكـام ، وقـدماه مربوطتين بحبل قوى غليظ ، فى نفس الوقت الذى أحـيط فيـه جسده بأغلال فولاذية قوية ، تربطه إلى عمود مـن الـصلب ، داخل ما بدا له أشبه بقبو معدنى صغير ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا ، لم يمكنه أن يستوعب الموقف كلـه ، على نحو واضح ..

ثم راحت حواسه تصفو ..

وتنتبه ..

وتستوعب ..

وعندئذ فقط ، أدرك طبيعة ذلك المكان ..

أدرك أنه مخزن صغير ، لطائرة محدودة ، لا يمكن أن تزيـد مقاعدها عن اثنى عشر ، على أقصى تقدير ..

وهى تحلق على ارتفاع كبير على الأرجح ..

وبسرعة ، استعاد ذهنه كل ما حدث ، منذ وصل إلى (لندن) ..

استعاد تفاصيل ذلك الفخ ، الذى أعدته منظمة (هيـل آرت) لزميله (حازم) ..

وإصابته ..

وصراعه هو مع المنظمة ، وزعيمها سير (وينسلوت) ..

ثم سقوطه ..

ومع استعادته لذكرى السقوط ، بدا ذهنه يصفو أكثر ..

ويستوعب أكثر وأكثر ..

فعضو مجلس العموم البريطانى ، وزعيم منظمـة التجـسُّس الإجرامية ، كان يشير إلى عقار أحضره من غابات (البرازيل) ..

وذهنه يذكر تقريرًا ، قرأه قبل رحيله إلى (لندن) ، يشير إلى أنشطة غامضة مجهولة ، سجلها بعض المراقبين ، فى أدغـال (البرازيل) ..

ولم يكن من العسير أن يربط ذهنه بين هذا وذاك ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولأنه يمتلك حاسة نادرة ، لتحديد الاتجاهات(*) ، أدرك أن الطائرة تنطلق نحو الغرب ..

إنهم ينقلونه إلى مكان ما فى الغرب ..

ولكن هذا لم يكن يقلقه ، فى تلك اللحظة بالذات ..

ففى كل الأحوال ، وأيًّا كان اتجاهه ، أو كانت هوية مختطفيه ، فما ينبغى أن يركز كل ذهنه فيه ، هو قيوده المزدوجة ..

الأحبال السميكة ، والأغلال الفولاذية ..

كانت قيودًا قوية ومحكمة ، حتى إنها لا تمنحه الفرصة لأية مناورات ، أو محاولات للتخلُّص منها ..

ثم إن ربطها بعمود الصلب ، كان يمنعه من التقاط أية أدوات مساعدة ، من أى شىء حوله ..

ولو أن أى شخص فى موضعه ، لما وجد أمامه سوى الاستسلام للموقف ، الذى تؤكد كل لمحة منه أن الخلاص مستحيل ..

مستحيل تمامًا ..

ولكن (أدهم صبرى) لم يكن أى شخص ..

(*) أثبتت التجارب العلمية أن كل البشر يمتلكون هذه الحاسة ، بنسب متفاوتة .

لقد كان رجلاً من طراز خاص جدًّا ..

طراز يتحدى المستحيل ..

كل مستحيل !..

وبسرعة ، درس (أدهم) الموقف ، وتفحَّص ببصره قمة عمود الصلب ، الذى تم تقييده إليه ، وتحسَّس بأصابعه قاعدته ، المثبتة بمسامير قوية ، فى جسم الطائرة ..

« براعة العميان يا (أدهم) .. أريدك أن تكتسب براعة العميان .. اجعل حواسك بديلاً لعينيك .. تحرَّك فى الظلام ، بخفة قط ، ومرونة فهد .. هذا وحده يمنحك التفوّق على خصومك .. »

استعاد ذهنه كلمات والده الراحل ، وهو يتحسَّس قاعدة عمود الصلب ، وذهنه يخزن كل ما يكتسبه من معلومات ..

كان من الواضح أنه عمود غير أساسى ، تمت إضافته إلى مخزن الطائرة ، لمواكبة موقفه هذا ، إذ كانت نقاط تماس قاعدته ، مع جسم الطائرة جديدة ، لم تتلوث بترسبات الغبار أو غيرها ..

أما ما يثبتها إلى جسم الطائرة ، فكان ثلاثة مسامير حلزونية كبيرة ، ذات رءوس صليبية متسعة

Looloo
www.dvd4arab.com

ما يحتاجه إذن هو مفك قوى ، أو قطعة معدنية ثقيلة ، ذات طرف حاد .. ومن المؤكَّد أنهم لن يضعوا فى متناول يده أى شىء يشبه هذا ، من قريب أو بعيد ..

وبأى حال من الأحوال ..

« متى سيستعيد وعيه فى رأيك يا سيِّدى ؟! »

طرح (بيتون) السؤال فى لهفة ، فتراجع سير (وينسلوت) فى مقعده بهدوء ، وداعب طرف سيجاره غير المشتعل ، قبل أن يجيب :

ـ ربما يكون قد استعاده بالفعل ، ولكن قيوده القوية المحكمة ستمنعه من اتخاذ أى موقف إيجابى ، حتى نصل إلى الموقع (صفر) .

شعر (بيتون) بالتوتر يسرى فى عروقه ؛ لمجرَّد فكرة أن يستعيد (أدهم) وعيه ، فى مخزن الطائرة الصغير ، وحاول أن يستقر فى مقعده ، مع كل ما يشعر به من انفعال ، إلا أنه عجز عن هذا ، فتساءل فى عصبية ، لم يستطع كتمانها :

ـ كم تبقى أمامنا ، حتى نصل إلى الموقع (صفر) ؟!

أجابه قائد الطائرة فى سرعة :

ـ لقد تجاوزنا المحيط بالفعل ، ونحن ننطلق الآن على ارتفاع منخفض ، فوق الأراضى البرازيلية ، وسنصل بعد سبع وعشرين دقيقة تقريبًا ، إلى مطارنا الخاص هناك .

مطَّ (بيتون) شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين قال (وينسلوت) فى صرامة آمرة كعادته :

ـ عظيم .. مر الرجال هناك بإعداد المروحية ، التى ستحملنا ، من المطار الخاص ، إلى الموقع (صفر) .

غمغم الطيَّار ، وهو يبدأ الاتصال بالفعل :

ـ فليكن .

استرخى (وينسلوت) فى مقعده ، وتشاغل بالتطلُّع عبر نافذة الطائرة ، فى حين بذل (بيتون) جهدًا مضاعفًا ، فى محاولة للتماسك ، إلا أن هاجس تحرُّر (أدهم) من قيوده ظل يطارده ، فراح يستدير ، كل لحظة وأخرى ، ليلقى نظرة على باب المخزن ، أسفل مؤخرة الطائرة ، متوقعًا أن يقفز منه (أدهم) فجأة ، ويهاجمهما ، و...

Looloo
www.dvd4arab.com

« استرخ فى مقعدك .. »

نطق سير (وينسلوت) العبارة فى حزم ، فالتفت إليه (بيتون) فى عصبية ، فتابع بنفس الحزم :

ــ رجال الأمن المحترفون ، لا يتوترون إلى هذا الحد .

حاول (بيتون) أن يتجاوز الموقف ، وأن يطيع أوامر زعيمه بالفعل ، إلا أنه عجز تمامًا عن هذا ، فقال فى توتر :

ــ ورجال الأمن لا يبقون على حياة خصم عنيف مثله ، دون أى سبب منطقى .

ارتسمت على شفتى (وينسلوت) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ولهذا يبقون دومًا فى مرتبة رجال الأمن .

تراجع (بيتون) فى مقعده ، وهو يقول فى توتر :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه (وينسلوت) ، فى سرعة وهدوء :

ــ وربما لا يعنى شيئًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى خبث :

ــ وربما يعنى كل شىء .

لم يفهم (بيتون) هذا الموقف المزدوج ، ولم يستوعب عقله المحدود مغزاه ، فقال فى عصبية :

ــ إننا نعرض أنفسنا للخطر دون مبرر .

هتف سير (وينسلوت) مستنكرًا :

ــ الخطر .. ممن ؟!.. من رجل تحت سيطرتنا بصورة كاملة ؟!..

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ــ أخشى أنك تبالغ كثيرًا فى مخاوفك ، يا عزيزى (بيتون) .

قال (بيتون) بنفس العصبية :

ــ بل أنا الذى أخشى أن تبالغ كثيرًا فى ثقتك أيها الزعيم .

هزّ (وينسلوت) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ــ من يدرى .. ربما .

وعاد يسترخى فى مقعده ، مضيفًا بابتسامة غامضة ، لم ترق أبدًا لقائد حرسه الضخم :

ــ الساعات القادمة ستحسم هذا بحتمية .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يعلق (بيتون) على عبارته ، أو ينطق بحرف واحد ، إلا أنه ظل يتطلّع إلى باب مخزن الطائرة ، بنفس التوتر السابق ، فى حين كانت الطائرة تقترب بالفعل من المطار البرازيلى الخاص ..

وتقترب ..

وتقترب ..

حتى هبطت فيه أخيرًا ، مع منتصف الليل بتوقيت (البرازيل) .

وفور هبوط الطائرة ، أحاط بها فريق من الرجال الأشداء ، المسلحين بمدافع آلية قوية ، وفقًا لأوامر سير (وينسلوت) ..

وهنا فقط .. تنفس (بيتون) الصعداء ، وغمغم :

ــ أخيرًا !

ابتسم سير (وينسلوت) فى سخرية ، وأشعل سيجاره الفاخر ، وهو يقول ببروده المستفز :

ــ أنت على حق .. أخيرًا سأشعل سيجارى ، بعد ساعات من الطيران المتواصل .

ألقى (بيتون) نظرة أخيرة على باب مخزن الطائرة ، قبل أن يقول :

ــ أنت على حق أيها الزعيم .. لا يوجد ما يفوق دخان سيجار فاخر ، فى طقس كهذا ، و...

قبل أن يتم عبارته ، انفتح باب مخزن الطائرة فجأة ، ووثب عبره (أدهم) ، وثبة رشيقة مدهشة ، انطلقت معها شهقة قوية ، من حلق (بيتون) ، ويده تثب نحو مسدسه ، المعلق بحزامه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انعقد فيها حاجبا (وينسلوت) ، بكل توتر الدنيا ، على الرغم من برودة الإنجليزى الأسطورى ، وثب (أدهم) نحو (بيتون) وثبة مدهشة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، وهو يقول ساخرًا :

ــ خطأ أيها الوغد .. التدخين كان وسيظل خطرًا داهمًا .

وقبل حتى أن يسقط (بيتون) ، سحب (أدهم) مسدسه من حزامه ، وأدار فوهته بسرعة البرق نحو (وينسلوت) ، الذى تطلّع إلى الفوهة القاتلة مباشرة ، وهو ينفث دخان سيجاره الفاخر ، قائلاً :

ــ مدهش .

نطقها بهدوء عجيب ، قبل أن يتساءل فى اهتمام ، لا يحمل أية لمحة من الخوف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كيف تخلّصت من قيودك .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ أعترف أنكم قد قيدتمونى بإحكام شديد ، ولكن هناك قاعدة ، لم يثبت خطؤها أبدًا .

سأله سير (وينسلوت) فى شغف :

ـ أية قاعدة ؟!

ابتسم (أدهم) ، مجيبًا :

ـ لكل مشكلة حل .

بدت العبارة شديدة البساطة لسير (وينسلوت) ، على نحو خاب معه أمله ، فتمتم :

ـ هكذا ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ نعم .. هكذا .. وبكل بساطة .. فقد استخدمت الزاوية الحادة للأغلال المعدنية ، لحل المسامير ، التى تثبت قاعدة عمود الصلب فى جسم الطائرة ، وعندما انتزعت القاعدة ، أمكننى

تحريك العمود نفسه ، بما يكفى لإخراج أغلالى منه ، وبعدها استعنت بكل ما اكتسبته من مرونة فى حياتى ، لدفع جسدى عبر ذراعى ، بحيث أصبح معصماى مقيدين أمام صدرى ، وليس خلف ظهرى .

بدا سير (وينسلوت) شديد الشغف ، وهو يستمع إليه ، متمتمًا :

ـ مدهش .. إذن فقد فعلت هذا حقًّا !.. وتتحدث عنه كما لو كان أمرًا عاديًّا .

تابع (أدهم) ، دون أن يتوقف عند تعليقه :

ـ بهذا الوضع ، أمكننى حل قيود قدمىَّ ، وبعدها بحثت بين أمتعتك عن قطعة صلبة من السلك ، استخدمتها لفك قفل الأغلال المعدنية عن معصمىَّ ..

ارتفع حاجبا (وينسلوت) ، فيما بدا أشبه بالإعجاب ، وهو يكرِّر :

ـ إذن فقد فعلت هذا !.. مدهش .. مدهش بحق .

ثم نفث دخان سيجاره الفخم ، فى هدوء شديد ، قبل أن يضيف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الواقع أنك تبهرنى فى كل مرة بقدراتك المدهشة أيها المصرى .

تحرّك قائد الطائرة فى خفة ، مستغلاً انشغال (أدهم) و(وينسلوت) بالحديث ؛ ليسحب المسدس الاحتياطى ، المخفى تحت مقعده ، ولكن (أدهم) أدار فوهة مسدسه نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ يبدو أنك لا تدرك أن الموت لن يجد فارقًا ، بين رجل أعزل ، وآخر يحمل سلاحًا .

انتفض جسد الطيَّار ، من فرط المفاجأة ، واعتدل رافعًا يديه ، على نحو جذب اهتمام المسلحين حول الطائرة ، والذين كانوا يتساءلون بالفعل ، عن سبب تأخر زعيمهم فى الهبوط ..

ومع مرأى الطيار ، وهو يرفع يديه فى كابينته ، أدرك المحترفون ما يحدث ، وبدءوا يتحرَّكون بالفعل ، فى سرعة وخفة ومهارة ، لتنفيذ خطة طوارئ قصوى ، تدربوا عليها طويلاً ..

أما سير (وينسلوت) ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ السؤال الذى يحيرنى حقًا ، هو كيف تتوقَّع الخروج من هنا ، بعد سيطرتك التامة على الموقف داخل الطائرة ؟

ألقى (أدهم) نظرة سريعة ، عبر نافذة الطائرة ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن فريق الأوغاد المحترفين فى الخارج ، ينفذ خطة طوارئ خاصة جدًا ، ستنتهى حتمًا باقتحام الطائرة ؛ فى محاولة لإنقاذك ، واستعادة السيطرة على الموقف .

ثم ابتسم فى سخرية ، ولوَّح بمسدس (بيتون) ، مستطردًا :

ـ السؤال الآن هو : من سيطلق النار ، ويصيب هدفه أوَّلاً ؟.. رجالك ، أم أنا ؟!

مطَّ سير (وينسلوت) شفتيه ، وابتسم فى هدوء ، مجيبًا :

ـ ليس لدى أدنى شك فى أنه أنت .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ من الجيد أن نتفق بهذه السرعة ، وما دامت المعجزة قد حدثت ، فأنا أنصحك بـ ...

قاطعه سير (وينسلوت) بنفس الهدوء ، وهو يشير بأصابع كفه اليسرى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ المشكلة أن خطة الطوارئ ، التى يتبعها الرجال ، صارمة وحازمة للغاية ، لذا فهم سيقتحمون الطائرة ، حتى لو تلقوا أمرًا مباشرًا منى بالعكس .

أدار (أدهم) عينيه ؛ ليلقى نظرة سريعة أخرى على فريق المحترفين ، الذى اتخذ مواقع الاقتحام بالفعل ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لن يمكنك إقناعى أبدًا بأن ..

قبل أن يتم عبارته ، شعر فجأة بوخزة مباغتة حادة فى عنقه ، فاستدار إلى (وينسلوت) بحركة حادة ، وهو يرفع يده بسرعة إلى عنقه ، ليرتطم بصره بابتسامة زعيم (هيل آرت) الظافرة ، ثم ينخفض بسرعة إلى ساعته الكبيرة ، التى انزاح محور عقاربها ، على نحو ملحوظ ، قبل أن يسرى فى جسده كله خدر عجيب ، بسرعة مدهشة ، وتحجب عينيه غيمة باهتة مخيفة ، وصوت (وينسلوت) يأتى من أعماق سحيقة :

ـ كم يصيبنى الملل ، عندما أضطر لاستخدام السلاح نفسه مرتين ، ولكننى فى الواقع أشعر بشىء من الزهو ؛ لقدرتى على التصويب ، بكل هذه البراعة .

شعر (أدهم) بكل حنق وغضب الدنيا ، وهو ينتزع تلك الإبرة الدقيقة ، من وريده العنقى ، و(وينسلوت) يتابع ، بذلك الصوت ، الذى بدا أكثر عمقًا :

ـ يقول المحليون هنا إن هذه الوسيلة تسقط وحوش الأدغال فى غيبوبة عميقة ، خلال دقيقتين فحسب ، فماذا عنك ؟!

كان (أدهم) يشعر بالغضب ، حتى تمنى لو يضغط زناد المسدس الذى يحمله ، لينسف رأس (وينسلوت) المتبجح ..

ولكن المسدس بدا ثقيلاً ..

ثقيلاً للغاية ..

ثقيلاً ، حتى إنه عجز عن رفع فوهته ، و...

وفجأة ، انتهى كل شىء ..

وسقط (أدهم) مرة أخرى ..

سقط أسيرًا ، بين أعدائه ..

أعدى أعدائه .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ الموقع (صفر) ..

حمل صوت رجل أمن السفارة كل توتره وانفعاله ، وهو يقدم تقريره إلى الملحق العسكرى ، قائلاً :

ـ لا أحد يعلم وجهة طائرة سير (وينسلوت) يا سيِّدى .. لقد بذلنا كل المحاولات الممكنة ، ولكن السجلات لا تحوى أية تفاصيل ، والكل حرص على عدم إلقاء سؤال واحد ، على عضو مجلس العموم ، الذى أوحى بأنه مسافر فى مهمة سرية ؛ لحساب رئيس الوزراء شخصيًا .

انعقد حاجبا الملحق العسكرى المصرى ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أن سير (وينسلوت) هذا رجل حذر ودقيق للغاية .

غمغم رجل الأمن بدوره :

ـ هذا يبدو واضحًا يا سيِّدى .

أشار الملحق العسكرى بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ولكن القاعدة تقول : إنه ما من نظام محكم إلى الحد الأقصى .. هناك حتمًا ثغرة ما .. فجوة تتسرَّب منها معلومة هنا ، أو أخرى

هناك ، وعندما تتراص المعلومات الصغيرة ، إلى جوار بعضها البعض ، تصنع معلومة كبيرة ، يمكنها أن توصلنا إلى الهدف .

تساءل السفير فى توتر :

ـ ومن أين نحصل على تلك المعلومات الصغيرة ؟!

أجابه الملحق العسكرى بسرعة :

ـ من بنك المعلومات الخاص بنا .

ثم توقف لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ من (القاهرة) ..

« هذا يحتاج إلى جمع كل المعلومات الممكنة ، عن منظمة (هيل آرت) .. »

نطق نائب مدير المخابرات المصرية العبارة ، وهو يحمل ملفات المعلومات ، التى تضمها خزانة أسرار الجهاز ، عن منظمة الجاسوسية الإجرامية ، ولكن المدير أشار بيده فى حزم ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكننا نحتاج إلى كل المعلومات ، التى

Looloo
www.dvd4arab.com

ظلت بلا تفسير ، فى السنوات الثلاث الماضية ، التى ظهرت خلالها (هيل آرت) إلى الوجود .

هتف نائبه فى حماس :

ــ فورًا

لم تمض دقائق عشر على هتافه ، حتى كان فريق من الرجال يجتمع ، حول مائدة الاجتماعات الرئيسية ، وأفراده يتبادلون كل ما لديهم من معلومات ، عن كل الحوادث الغامضة ، ويناقشونها ، ويدرسونها فى عناية ..

وبعد مرور ساعة ونصف الساعة ، كانت أمامهم مجموعة من الحقائق ، التى يمكن ربط بعضها ببعض ..

وعندئذ ، فرد نائب المدير خريطة كبيرة على الجدار ، وهو يقول :

ــ لو توقفنا أمام تلك الأمور ، التى سجلها المراقبون مؤخرًا ، فى (أمريكا) الجنوبية ، وربطناها بأحداث (أوروبا) ، وتحركات منظمة (هيل آرت) ، ثم راجعنا خط سير طائرة (وينسلوت) ، خلال العام السابق ، فسيقودنا كل هذا إلى منطقة واحدة واضحة ..

« أدغال (البرازيل) .. »

كان هذا هو الموقع ، الذى استقر عليه عقل (سونيا جراهام) ، ضابطة (الموساد) الجديدة ، وابنة (دافيد جراهام) ، رجل (الموساد) المخضرم ، والذى أشارت إليه ، داخل القسم الفنى فى (تل أبيب) ، قبل أن تضيف ، فى بساطة أقرب إلى اللامبالاة :

ــ هنا حتمًا يوجد الوكر الرئيسى لمنظمة (هيل آرت) .

راجع رئيسها العوامل ، التى أوصلتها إلى هذا الاستنتاج ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، قائلاً فى انبهار :

ــ من الواضح أن والدك كان على حق .. أنت عبقرية بالفعل ، على الرغم من سنوات عمرك القليلة .

رسمت (سونيا) على شفتيها ابتسامة ساحرة ، وهى تقول :

ــ ومنذ متى كان العمر مقياسًا للتفوق ؟!

نطقتها بنعومة مثيرة ، خفق معها قلب رئيسها ، قبل أن يغمغم :

ــ لم يكن أبدًا كذلك .

أدركت بذكائها تأثير سحرها عليه ، فضاعفت ابتسامتها العذبة ، وهى تقول فى دلال مثير ، متطلعة إلى عينيه مباشرة :

ــ هذا مؤكد .

Looloo
www.dvd4arab.com

خُيل للرجل أن ساقيه قد تخاذلتا ، مع خفقات قلبه العنيفة ، على الرغم من خبراته العديدة والطويلة ، إلا أنه سرعان ما استعاد سيطرته على نفسه ، وهو يسألها فى توتر ، متحاشيًا النظر إليها مباشرة :

ـ هل توصّلت إلى هوية ذلك المصرى ؟!

ابتسمت فى خبث ، وهى تهز كتفيها الجميلتين ، قائلة :

ـ ليس تمامًا .. الصورة التى حصل عليها أبى ، من سير (وينسلوت) ، ليست واضحة تمامًا ، ولكننى جمعت كمًّا معقولاً من المعلومات ، قادنى إلى خيط قوى ، وأنا أسحب ذلك الخيط الآن ، وقبل صباح الغد ، سأكون قد توصلت إلى هويته ، التى أعتقد أنها لن تقل إبهارًا عن قدراته .

عاد رئيسها يرفع عينيه إليها بنظرة مستنكرة ، وهو يقول :

ـ تتحدثين كما لو أنك مبهورة به !

هزّت كتفيها مرة أخرى ، وهى تجيب فى جرأة :

ـ إننى مبهورة به بالفعل .

تضاعفت نظرة الاستنكار الغاضبة فى عينيه ، فأضافت فى جرأة أكثر :

ـ وأتمنى لو ألتقى به يومًا .

انعقد حاجبا رئيسها ، وقد بلغ غضبه واستنكاره ذروتهما ، فشرد بصرها فى استمتاع مدهش ، وهى تكمل :

ـ فمن المؤكّد أنه سيكون لقاءً متميزًا .. إلى أقصى حد .

فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها ، كان (بيتون) يقول فى عصبية شديدة :

ـ ما زلت لا أفهم هذا أيها الزعيم !.. إننا نخاطر بإحضار خصم شديد البراعة والدهاء ، ووسع الحيلة إلى حد مدهش ، إلى الموقع (صفر) .. أخطر وأهم مواقع المنظمة ، دون مبرر أمنى منطقى .

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أهذا رأيك ، كخبير أمنى من الدرجة الأولى ؟!

أجابه (بيتون) فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى غضب مفاجئ :

ـ غبى !

Looloo
www.dvd4arab.com

تراجع (بيتون) ، فى دهشة مصدومة ، وهو يهتف :

ــ ماذا ؟! ..

أجابه سير (وينسلوت) بمنتهى الصرامة :

ــ نعم .. أنت غبى .. بل أغبى رجل أمن عرفته ، فى حياتى كلها .. ألم تتعلم قط أنه من الخطأ أن تتخلص من خصم ، ينتمى إلى تنظيم قوى ، قبل أن تعرف منه مقدار ما يعرفه ذلك التنظيم عنك ؟!

انتبه (بيتون) فجأة ، إلى تلك الحقيقة الأمنية الواضحة ، التى غابت عن ذهنه ، من فرط انفعاله ، فغمغم فى توتر :

ــ الواقع أننى ..

قاطعه سير (وينسلوت) بنفس الصرامة :

ــ الواقع أنك قد تراخيت وترهّلت ، ولم تعد تمتلك الكفاءة نفسها ، التى كنت تتمتع بها ، إبان عملك فى المخابرات البريطانية سابقًا ؛ والدليل على هذا هو أنك قد صرت سريع الانفعال ، وكثير التوتر ، إلى الحد الذى يفقدك سيطرتك على عقلك وأعصابك ، ويتعارض مع سرعة استجابتك ، إلى الحد

الذى جعل ذلك المصرى يفقدك الوعى ، وينتزع منك مسدسك ، قبل حتى أن تنتزعه من غمدك فى الطائرة .

انتفض جسد (بيتون) ، وهو يقول فى انفعال :

ــ لو أنه مقاتل عادى لما...

قاطعه سير (وينسلوت) مرة أخرى ، بمنتهى القسوة :

ــ قلها فقط ، لو أنك مجرَّد رجل أمن عادى ، لا يمكنه أن يواجه سوى خصوم عاديين .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ــ ويتقاضى أجرًا عاديًا محدودًا .

امتقع وجه (بيتون) فى شدة ، وهو يغمغم :

ــ سير (وينسلوت) .. إننى .. إننى ..

قاطعه سير (وينسلوت) ، هذه المرة أيضًا ، وهو يشعل سيجاره الفاخر ، قائلاً فى صرامة :

ــ مر رجالك بتجهيز قسم الاستجواب .. أريد معرفة كل ما يختزنه ذلك المصرى فى رأسه ، من أسرار ومعلومات ، قبل مطلع شمس الغد .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم تراجع فى مقعده ، ونفث دخان سيجاره بكل قوته ، قبل أن يضيف ، فى استمتاع وحشى عجيب :

ــ فمن المؤكَّد أن أصدقاءنا الإسرائيليين سيدفعون الكثير ، مقابل الرجل ومعلوماته .. الكثير جدًّا .

غمغم (بيتون) ، وهو يندفع لتنفيذ الأمر :

ــ فورًا أيها الزعيم ..

ففى أعمق أعماقه ، كان يرغب أيضًا فى انتزاع المعلومات من رأس (أدهم) ..

وبأعنف طرق الاستجواب ..

على الإطلاق ..

* * *

« من المستحيل أن نسمح بحدوث هذا !!.. »

نطق مدير المخابرات المصرية العبارة فى حزم ، وهو يتطلَّع إلى الموقع ، الذى حددَّه نائبه ، على خريطة (البرازيل) ، قبل أن يتابع فى صرامة :

ــ فلو أن الرائد (أدهم) هناك ، على قيد الحياة ، فمن الضرورى أن نسعى لاستعادته .. وبأىّ ثمن .

اندفع أحد الرجال يقول :

ــ إننا نتحدث عن احتمالين بالغى الأهمية يا سيادة الوزير .. أوَّلهما أن يكون رجلنا الرائد (أدهم) هناك ، وثانيهما أن يكون ..

لم يرغب فى إتمام عبارته ، ولكن المدير عقد حاجبيه ، قائلاً فى صرامة :

ــ إنه هناك .

ثم رفع سبَّابته أمام وجهه ، مضيفًا :

ــ وعلى قيد الحياة .. حتى لحظة وصوله إلى هناك على الأقل .

تطلَّع إليه الرجال فى حذر ، وتبادلوا نظرة صامتة ، جعلت المدير يواصل ، فى حزم وصرامة أكثر :

ــ فلو أن الرائد (أدهم) قد لقى مصرعه هناك ، فى قصر (وينسلوت) ، لما كانت هناك أية ضرورة للسفر العاجل ، وبهذه السرية التامة ، إذ لم يكن التخلُّص من جثته لمثل صعوبة كبيرة ، مع رجل له حصانته ، ومساحة شاسعة ، يملك فيها كل السلطة

www.dvd4arab.com

والقوة ، وطاقم من المحترفين ، الذين يمكنهم إزالة كل أثر للجثة ، والتعامل بثقة وهدوء ، مع رجال الشرطة أيضًا .

تبادل الرجال نظرة صامتة أخرى ، وقد بدا لهم تفسير المدير منطقيًا للغاية ، وخاصة عندما واصل ، قائلاً :

ـ ثم إن سير (وينسلوت) ، يقود ، وفقًا لمعلوماتنا واستنباطاتنا ، منظمة جاسوسية قوية ، دون دليل واحد ، يمكن أن يثبت هذا ، ومن الضرورى ، والحال هكذا ، أن يسعى لمعرفة ما انكشف من أمره ، عبر استجواب أسيره ، بكل الوسائل الممكنة .

بدا الوجوم على وجوه الرجال ، قبل أن يقول أحدهم فى توتر :

ـ الواقع يا سيِّدى ، أن هذا يبدو أكثر صعوبة وخطورة ، فمن المؤكَّد أن منظمة كهذه ، ستستخدم أبشع الوسائل الممكنة ، المتصوَّرة وغير المتصوَّرة ، للوصول إلى أغراضها ، وانتزاع المعلومات من خصومها ، وهذا يعنى أنه ، حتى لو كان الرائد (أدهم) على قيد الحياة هناك الآن ، فلا أحد يمكنه أن يتصوَّر ما سيكون عليه حاله ، بعد ساعة واحدة من الاستجواب .

ومع قوله هذا ، انعقد حاجبا المدير بمنتهى الشدة ، وقال فى حزم صارم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نتحرَّك بسرعة ، لكشف موقع الوكر السرى الرئيسى للمنظمة فى (البرازيل) ، قبل أن نفقد أفضل رجالنا .. على الإطلاق .

وفى هذه المرة ، لم ينبس الرجال بكلمة ..

أية كلمة ..

* * *

« أريده أن يدلى بكل ما لديه ، خلال ساعة واحدة .. »

نطقها (بيتون) بمنتهى الصرامة ، وهو يراقب رجاله ، الذين حملوا (أدهم) الفاقد الوعى ، نحو مقعد معدنى ، يتصل بجهاز تحكم كهربى ، عبر مجموعة من الأسلاك القوية ..

وبينما يضع الرجال جسد (أدهم) على المقعد ، غمغم أحدهم :

ـ إنه يبدو قويًا ، وربما يحتمل التعذيب الكهربى لوقت طويل .

انعقد حاجبا (بيتون) ، وهو يقول :

ـ سأعمل على أن يبلغ عذابه ذروته .. اطمئن .

قال آخر ، وهو يحل قيود (أدهم) ، ليثبت معصميه إلى المقعد المعدنى :

www.dvd4arab.com

ـ حذار إذن أن يلقى مصرعه ، فالزعيم لن يغفر لنا هذا أبدًا ؛ لأن مصرعه سيمحو كل ما يمكننا استخلاصه منه ، من أسرار أو معلومات ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، كان قد انتهى من حل قيود معصمى (أدهم) ، لذا فقد فوجئ بهذا الأخير يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا فى سخرية :

ـ اطمئن أيها الوغد .

ثم أعقبها بلكمة أكثر قوة ، مضيفًا :

ـ لن تحصل على أية معلومات .

كانت قدماه مقيدتين بحبال قوية ، لم تحل بعد ، عندما انقضّ عليه رجال (بيتون) الثلاثة الأقوياء ، فى غضب هادر ، وهذا الأخير يصرخ فيهم ، بكل غضب وتوتر الدنيا :

ـ لا تسمحوا له بالإفلات .. أنتم تفوقونه عددًا وقوة .. اسحقوه .. اسحقوه تمامًا .

كان رجاله الثلاثة أيضًا يتصورون أنه على حق تمامًا ، وهم ينقضون على (أدهم) ، المقيد القدمين ، بمنتهى العنف والشراسة ..

ولكن (أدهم) أمسك مسند المقعد المعدنى بقبضتيه فى قوة ، ورفع جسده إلى أعلى ، وهو يقول ساخرًا ، وكأنما يواجه موقفًا مرحًا :

ـ هنا تأتى أهمية تمارين المتوازيين القديمة ..

وبرشاقة مذهلة ، اتسعت لها عينا (بيتون) عن آخرهما ارتفعت قدما (أدهم) المقيدتان ، اعتمادًا على ذراعيه القويتين ، وتحركتا برشاقة ومرونة مذهلتين ، فى كل الاتجاهات تقريبًا ..

وبسرعة أكثر مدعاة للذهول ..

وأمام عينى (بيتون) ، ومع انفعاله الجارف ، تلقى رجاله ركلات قوية عنيفة ، فى وجوههم وصدورهم وبطونهم ..

ركلات مزدوجة ، كانت من السرعة والقوة ، حتى إنها ألقتهم جميعًا فاقدى الوعى ، دون أن يدركوا حتى ما أصابهم ..

وتراجع (بيتون) ..

تراجع مذهولاً ، مذعورًا ..

ولكنه تراجع لحظة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لحظة واحدة فحسب ، انتبه بعدها إلى أن (أدهم) ما زال مقيد القدمين ..

وما زال يمسك ذلك المقعد المعدنى ..

لذا ، فقد نفض (بيتون) كل انفعالاته عن رأسه ، فى لحظة واحدة ، واندفع مرة أخرى نحو وحدة التحكم الكهربى ..

وبكل قوته ، ضغط زر إطلاق التيار الكهربى ..

بأقصى طاقة يمتلكها الجهاز ..

وفى ثانية واحدة ، تلقى إشارة على شاشة الجهاز الصغيرة ، تؤكد أن التيار الكهربى القاتل ، قد بلغ المقعد المعدنى ..

وفى الوقت نفسه ، رأى جسد (أدهم) ينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

بمنتهى القوة ..

وعلى نحو مميت ..

تمامًا .

* * *

4 ـ الصدمة ..

ارتفع حاجبا قائد تلك الطائرة الخاصة ، فى العاصمة البرازيلية ، وهو يحدّق فى وجهى الرجلين الواقفين أمامه ، مغمغمًا بكل الدهشة :

ـ طائرة خاصة ؟!.. فى هذه الساعة .. ولماذا ؟!

أجابه أحدهما ، بلغة برتغالية سليمة ، ولهجة صارمة ، توحى بأنه قد اعتاد نظامًا عسكريًا صارمًا :

ـ أظن المقابل الذى عرضناه ، يكفى لمنعك من إلقاء الأسئلة .. أليس كذلك ؟!

تردّد الرجل لحظة ، ثم قال ، فى شىء من الحدة :

ـ ربما كان كذلك ، ولكننى أكره المتاعب ، ولست مستعدًا لمواجهة الشرطة ، و ...

قاطعه الرجل الآخر ، فى صرامة أكثر :

ـ لا شأن للشرطة بما نسعى إليه

وأضاف الأوّل فى غلظة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ السؤال هو : هل تقبل العرض ، أم نبحث عن طيار آخر؟

راجع الرجل ذلك المبلغ ، الذى عرضاه لاستئجار طائرته ، قبل أن يهز رأسه ، قائلاً فى لهجة متخاذلة :

ـ كل ما أنشده هو ألا أتعرض للمتاعب .

قال الرجل الثانى ، بنفس الصرامة :

ـ لا تقلق فى هذا الشأن .

مطَّ الطيَّار شفتيه ، وهزَّ رأسه ، محاولاً طرح ذلك التوتر ، الذى يملأ كيانه جانبًا ، ثم قال فى حذر :

ـ ولكن أين تنشدان الذهاب بالضبط ؟!

فرد الأوَّل أمامه خريطة للبرازيل ، وأشار إلى نقطة عليها ، قائلاً :

ـ أقرب منطقة هبوط ، إلى هذه البقعة .

ألقى الطيَّار نظرة على تلك البقعة ، التى أشار إليها الرجل ، ثم تراجع بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ هناك ؟!

تساءل الثانى فى حدة :

ـ لا تقل إنك لا تستطيع التحليق ، فوق ذلك البركان الخامل .

أجابه الطيَّار فى عصبية :

ـ التحليق ليس مشكلة ، ولكن الهبوط هو مشكلة المشاكل ، فأقرب مكان يصلح لهذا هنا .. قبل منطقة الجبال ، وهذا يبعد عما تنشدانه مائتى ميل على الأقل .

تبادل الرجلان نظرة قلقة ، ثم مال الأوَّل نحوه ، قائلاً :

ـ هناك حتمًا وسيلة لبلوغ ذلك البركان ، خلال ساعتين على الأكثر .. ونحن مستعدان لدفع ضعف المبلغ ، من أجل هذا .

برقت عينا الطيَّار فى جشع واضح ، ولكنه لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ ولكن لا توجد وسيلة فعلية لهذا .. ربما أستطيع الاتصال بمن يؤمِّن لكما سيارة رباعية الدفع ، صالحة لاختراق منطقة الأحراش هناك ، ولكن منطقة الهبوط ستظل تبعد ..

قاطعه الثانى ، فى صرامة شديدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل يمكنك أن تؤمّن لنا مظلتى هبوط أيضًا .

أدرك الطيّار ما يعنيانه على الفور ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فيهما ثانية ، متسائلاً بأنفاس مبهورة :

ـ من أنتما بالضبط ؟!

زمجر الأوّل ، وهو يسأله :

ـ ليس هذا من شأنك .. هل يمكنك تأمين المظلتين ، أم لا ؟!

ولم يستطع الطيّار النطق بحرف واحد هذه المرة ..

فقط أومأ برأسه إيجابًا ..

وكان هذا يعنى بداية ليلة طويلة ..

طويلة للغاية ..

* * *

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى شدة ، عندما تذبذب ضوء مصباح حجرته بغتة ، على نحو استوعب مدلوله على الفور ، فالتقط بوق جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ ماذا يحدث عندك يا (بيتون) ؟

لم يتلق جوابًا مباشرًا ، من قبو الاستجواب ، فازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

قالها ، وضغط زر اتصال آخر ، ليتابع فى صرامة آمرة :

ـ فليذهب فريق من خمسة رجال مسلحين ؛ لفحص قبو الاستجواب فورًا .. أريد تقريرًا واضحًا مفصلاً ، خلال خمس دقائق فحسب .

وأنهى الاتصال ، وتراجع ينفث دخان سيجاره الفخم ، متمتمًا :

ـ تُرى هل ..؟!

ولم يتم تساؤله ..

أو يحاول حتى هذا ..

ولكن السؤال ظلّ يلتهم عقله ..

وجسده ..

وكيانه كله ..

تمامًا كالقاعدة ، التى وضعها لعمله ..

بلا رحمة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من دقة الموقف وخطورته وحساسيته ، والأفكار المقلقة ، التى تدور فى رأسه ، تراجع فى مقعده ، والتقط نفسًا عميقًا من سيجاره ، وضغط كل أزرار شاشات الرصد فى حجرته ، وراح يراقب ..

وينتظر ..

وفى اللحظة نفسها ، كان فريقه المكوّن من خمسة رجال ، مدججين بالسلاح ، يعدو عبر الممر الطويل ، الذى يقود إلى قبو الاستجواب ، وقائده يقول فى صرامة :

ــ ابذلوا قصارى جهدكم ، للسيطرة على أى موقف نجده هناك .. لن أقبل التراجع أو الفشل .. هل تفهمون ؟!

بلغوا مدخل القبو ، فأشار إليهم بالتوقف ، ثم شد إبرة مدفعه الآلى ، وهو يقول فى صرامة أكثر :

ــ استعد .. اهجم .

مع إشارته ، اقتحم الخمسة المكان بمنتهى العنف ، وأسلحتهم مشهورة أمامهم فى تحفز ، وفوهاتها تحمل الموت ، لكل من يستفزها ، و ...

وكانت الدهشة من نصيبهم جميعًا ..

فباستثناء الرجال الثلاثة ، وقائد الحرس (بيتون) ، الذى شاركهم غيبوبة عميقة ، وعدد من الكدمات البارزة ، كان قبو الاستجواب فارغًا ..

فارغًا تمامًا ..

وبكل التوتر ، التقط قائد الفريق جهاز اتصاله اللاسلكى الخاص ، وضغط زره ، ليقول بكل توتره :

ــ سير (وينسلوت) .. لا يوجد فى القبو سوى رجالنا .. السيّد (بيتون) وثلاثة آخرين .

اعتدل (وينسلوت) على مقعده ، وهو يتساءل فى توتر :

ــ وكيف هم ؟!

ازدرد الرجل لعابه بكل انفعاله ، قبل أن يقول ، بصوت مختنق :

ــ فاقدو الوعى .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) ، وأطفأ سيجاره ، محاولاً كتمان مشاعره معه ، وهو يقول فى صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وأين ذلك الرجل ، الذى أحضرناه من (لندن) ؟

تلفَّت قائد الفريق حوله ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ــ لا يوجد له أدنى أثر .

ازداد انعقاد حاجبى (وينسلوت) ، وهو يقول :

ــ ولكن هذا مستحيل !.. لا يوجد مخرج للقبو ، سوى ذلك الممر ، الذى وصلتم إليه عبره ، وهو تحت الحراسة منذ البداية .

عاد الرجال يتلفتون حولهم فى توتر ، قبل أن يتساءل قائدهم ، وقد تضاعفت عصبيته :

ــ أين ذهب إذن ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع صوتًا من أعلى ، يقول فى سخرية :

ــ هنا .

وانتفضت أجساد الرجال الخمسة ، وهو يرفعون رءوسهم وفوهات مدافعهم إلى أعلى ، و ...

وانقض (أدهم) ..

* * *

حتى يمكننا استيعاب هذا الموقف العجيب ، فى قبو الاستجواب ، داخل المقر رقم (صفر) ، لمنظمة (هيل آرت) ، فى قلب أدغال (البرازيل) ، لابد وأن نعود بكل الأحداث إلى لحظة سابقة ..

لحظة أطلق (بيتون) ذلك التيار الكهربى القوى ، فى مقعد الاستجواب المعدنى .. اللحظة التى انتفض فيها جسد (أدهم) بعنف ..

ثم سقط أرضًا ..

ففى تلك اللحظة ، أطلق (بيتون) صرخة مكتومة ، وهو يهتف :

ــ خسرت أيها المصرى المتحذلق ..

واختطف مدفعًا آليًّا ، ووثب نحو (أدهم) ، الملقى أرضًا ، و ...

« هل تتصوَّر أن هذا أمر بسيط ؟!.. »

نطقها (أدهم) ، وهو يثب من مكانه بغتة ، ويستقبل (بيتون) بركلة عنيفة فى صدره ، ألقته مترين إلى الخلف ، ليرتطم بجهاز التحكُّم فى المقعد المعدنى ، ويسقط معه أرضًا فى قوة ..

Looloo www.al-maktabeh.com

وعلى الرغم من عنف الركلة ، وعامل المفاجأة القوى ، استجمع (بيتون) جأشه وقواه فى سرعة ، ووثب واقفًا على قدميه ، وهو يرفع فوهة المدفع الآلى نحو (أدهم) ، صارخًا :

ــ لست أدرى كيف ..

قبل أن يتم صرخته ، وثب (أدهم) مرة أخرى ..

وفى وثبته هذه ، ركل المدفع الآلى ..

وأنف (بيتون) ..

معًا ..

وسقط (بيتون) ..

سقط وقد فقد مدفعه ، والدماء تتدفَّق من أنفه بغزارة ..

ولكنه ، وكرجل مخابرات بريطانى سابق ، وثب يواجه (أدهم) ، الذى عاجله بلكمة كالقنبلة فى فكه ، قائلاً :

ــ كان سباقًا بينى وبينك .

ثم أعقبها بأخرى ساحقة ، بين عينيه مباشرة ، مضيفًا :

ــ أنت ضغطت الزر ، ولكن بعد أن تخليت أنا عن المقعد ، بلحظة واحدة .

وسقط (بيتون) هذه المرة ..

ولم ينهض ثانية ..

وفى نفس اللحظة ، التى اعتدل فيها (أدهم) ظافرًا ، انطلق صوت سير (وينسلوت) ، عبر جهاز الاتصال ، يتساءل عما حدث ..

وأدرك (أدهم) أنه سيفهم الموقف على الفور ..

وأنه ، حتى لو تقمص صوت (بيتون) ، فلن يقنع طبيعة (وينسلوت) المتشكِّكة أبدًا .. لذا فقد تجاهل نداءه تمامًا ..

وبدأ يدرس الموقف ، استعدادًا لمواجهة حتمية قادمة ..

ولم تمض بالفعل لحظات ، حتى سمع وقع أقدام يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

كانوا خمسة رجال ، كما أنبأته أذناه المدربتان ، ولم يكن أمامه من مخرج ، سوى الممر ، الذى يتعالى فيه وقع أقدامهم ..

لذا فقد اختار (أدهم) آخر مكان يمكنهم توقعه ..

السقف ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى خفة مدهشة ، ومرونة يحسده عليها لاعبو الجمباز ، وثب (أدهم) يتعلّق بإطار مرتفع ، ثم قفز منه إلى بروز ضيق ، استعان بمثله ، ليلصق ظهره بالسقف ، مستندًا بكفيه إلى زاويتى جدارين متقابلين ..

وانتظر ..

وانقض الرجال الخمسة على المكان ..

وكان ما كان ..

بوثبة مدهشة ، سقط فوق آخر اثنين منهم ..

وبقبضتين فولاذيتين ، وقدمين كالمطارق الصلبة ، تعامل مع الخمسة ..

وفى حجرته ، مال سير (وينسلوت) نحو أجهزة الاستماع ، قائلاً فى اهتمام ، حاول جاهدًا أن يخفى ما يحويه من توتر وقلق :

ــ ماذا يحدث عندكم هناك ؟!

أتاه صوت ضربات ..

ولكمات ..

وركلات ..

وفهم ..

فهم ، قبل حتى أن يأتيه صوت (أدهم) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى سخرية :

ــ معذرة يا زعيم المهرجين .. ولكن فريق البلياتشو كله هنا ، لم يكمل فقرته الهزلية .

كظم (وينسلوت) غيظه فى صعوبة ، وهو يقول :

ــ ساخر كعهدى بك يا هذا ، ولكن قل لى : هل درست موقفك جيدًا ؟.. فحسبما أعلم ، لا يوجد مخرج واحد من هنا ، يمر رغم إرادتى .

أجابه (أدهم) بنفس السخرية :

ــ أنصحك ألا تقلق نفسك بشأنى يا زعيم المهرجين ؛ فقد اعتدت أن أرعى شئونى بنفسى .

قال سير (وينسلوت) فى تحد :

ــ ليس داخل نظام أمنى المحكم .

Looloo
www.dvd4arab.com

أطلق (أدهم) ضحكة عالية ..

ساخرة ..

مستفزة ..

أطلقها لتخترق أذنى زعيم منظمة (هيل آرت) ..

وتغضبه ..

وتشعل ثورته ..

إلى أقصى حد ..

فكلاهما كان يدرك حقيقة أساسية ، تتفق عليها كل أجهزة المخابرات ، فى العالم كله ..

لا يوجد نظام أمنى محكم مائة فى المائة ..

هناك حتمًا ثغرة ما ..

فى مكان ما ..

ثغرة يمكن أن يكشفها عقل بارع ..

ويحسن استغلالها ..

وهدمها ..

واختراقها ..

وعلى الرغم من ثقة سير (وينسلوت) فى أن (أدهم) ، يعد أكثر من واجههم ، فى حياته كلها حنكة وخبرة وبراعة ، إلا أنه قال متحديًا :

ـ لن تجد سبيلاً للفرار من هنا أبدًا .

مضت لحظة واحدة من الصمت ، ضغط (وينسلوت) خلالها زر جهاز إنذار صامت خاص ، نقل إشارة طوارئ كبرى ، إلى كل رجل من رجاله ، فى كل أنحاء المقر (صفر) ..

إشارة جعلتهم يتأهبون ويتحفزون جميعًا ، لاستقبال أوامر تحرك بالغة الخطورة ، على شاشات خاصة ، منتشرة فى المكان ..

ومع حركة أصابعه السريعة ، التى تنقل إليهم أوامره ، عبر تلك الشاشات ، سمع سير (وينسلوت) (أدهم) يقول فى سخرية :

ـ ما رأيك إذن ، لو حولنا الأمر كله إلى لعبة ؟! .

قال فى غلظة ، وأوامره تكتمل على الشاشات :

ـ لست أميل إلى الألعاب .

Looloo
www.dvd4arab.com

مع آخر حروف كلماته ، كان كل رجاله قد تلقوا الأوامر ، وحددوا موقع الهجوم ، و ...

وانطلقوا ..

وفى سخرية هادئة ، قال (أدهم) ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ــ هذه اللعبة بالذات ستروق لك كثيرًا ؛ فهى لعبة تحد .. سأتحداك أننى أستطيع الخروج من هنا .. بل وسأهدم المكان على رأسك أيضًا ..

قال سير (وينسلوت) متحديًا :

ــ وأنا أتحداك أنك لن تستطيع .

وهنا ، أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ــ إذن فقد قبلت اللعبة .

كان سير (وينسلوت) يتابع على شاشاته ، فى تلك اللحظة ، رجاله الذين أطبقوا حصارهم على القبو تمامًا ، لذا فقد قال فى سخرية ، حاول أن يخاكى بها أسلوب (أدهم) :

ــ هذا لو وجدت الوقت لتلعبها .

نطقها ، وهو يضغط زرًا آخر ..

وانقض أكثر من مائة من رجاله على المكان ..

بمنتهى منتهى العنف .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

5 ـ الهارب ..

توقف سائق سيارة (الجيب) القوية فى تلك البقعة ، التى أبلغوه بالتوقف عندها ، وتطلَّع إلى ساعته فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ يا له من مطلب عجيب ، فى ساعة كهذه !!.. كيف يمكن أن ألتقط زبائن فى هذه البقعة ، التى تكاد تخلو من الأحياء .

مرة أخرى ، ألقى نظرة على ساعته ، وتلفَّت حوله ، و...

وفجأة ، سمع أزيز طائرة تحلق فوقه ، فتحفزت عضلاته كلها ، وأمسك مسدسه بحركة غريزية ، ورفع عينيه إلى السماء المظلمة ، بحثًا عن تلك الطائرة ، إلا أن عينيه لم تلمحا سوى جسمين مستديرين ، يسبحان فى الهواء ، وحجمهما يتعاظم ..

ويتعاظم ..

ويتعاظم ..

ومع دقات قلبه العنيفة ، أدرك أن ما يراه هو مظلتا هبوط ، تقتربان من حيث يقف بسيارته ، ويقودهما فى مهارة مدهشة ، رجلان قويا البنية ..

واتسعت عينا الرجل فى ذهول ، عندما هبطت مظلتا الهبوط ، عند موقع سيارته بالضبط ، وتخلص منهما الرجلان ، فى سرعة ومهارة ، توحيان باحترافهما ، قبل أن يثبا داخل السيارة ، ويقول أحدهما فى صرامة آمرة ، وهو يفرد خريطة أمام وجه السائق :

ـ دعنا ننطلق على الفور ، لنبلغ هذه النقطة ، قبل شروق الشمس .

وعلى ضوء مصباحه اليدوى ، تطلَّع الرجل إلى البقعة ، المشار إليها على الخريطة ، ثم قال فى شىء من العصبية :

ـ لا يمكن أن نصل إلى تلك النقطة على الإطلاق .. الطريق يبلغ ذروة الوعورة ، قبل كيلومترين منه ، و...

قاطعه الثانى بنفس الحزم :

ـ دعنا نصل إلى أقصى ما يمكن أن نبلغه .

تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ ما زال هذا شديد الخطورة ، ولست مستعدًا ..

قاطعه الأول هذه المرة ، بنفس الصرامة الآمرة :

ـ ستحصل على ضعف ما تطلبه

Looloo
www.dvd4arab.com

وهنا سال جشع الرجل عبر لعابه ، الذى ازدرده فى تـوتر ، وأدار محرك سيارته ، قائلاً :

ــ تشبثا بمقعديكما إذن .. فالطريق وعر داخل الأدغال .

قالها ، وانطلق بالسيارة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

كان واثقًا من أنه لا يقل زبونين عاديين ، إلا أنه لـم يحـاول إلقاء سؤال واحد ..

قط ..

* * *

انقض رجال (وينسلوت) علـى القبـو بمنتهـى العنـف ، وفوهات مدافعهم الآلية كلها متحفزة ، وبعيون مدربة ، جاسـوا المكان كله ، ووقع بصرهم على الرجال الفاقدى الوعى ، الـذين تجردوا من ثيابهم ، ووسطهم (بيتون) ، و...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى ..

وأظلم القبو كله ..

وكما تدربوا تمامًا ، صنع الرجال بسرعة من أجسادهم دائرة مغلقة ، وانطلقت رصاصاتهم تغمر القبو كله ، وتضيئه كما لـو أنها مصابيح صغيرة متناثرة ..

أما فوارغ الرصاصات ، فقد تطايرت فى كل صوب ، وراحت ترتطم بـالأرض والجـدران ، لتـصنع مـع دوى الرصاصـات سيمفونية شديدة التوتر ، كانت كفيلة بجعل سير (وينـسلوت) يهتف فى صرامة :

ــ ماذا يحدث عندكم ؟!.. ماذا يحدث ؟!

ضاع هتافه فى البداية ، وسط دوى الرصاصات ، ثم لم يلبث قائد المجموعة أن التقطه ، فصاح بالرجال :

ــ أوقفوا إطلاق النار ، وتراجعوا .. فورًا .

هنا فقط ، انتبه (وينسلوت) إلى ثغرة فى نظامه الـدفاعى ، لم ينتبه إليها ، أو تخطر بباله من قبل قط ..

أن نظام أمنه ، لم يفترض قط حدوث حالة انسحاب محتم ..

لذا فقد ارتبك الرجال ، وهم ينفذون أمر التراجع ، مـع أمـر إيقاف إطلاق النار ..

ومع الارتباك والاضطراب ، سـقط بعـضهم ، تحـت أقـدام الآخرين ، و ...

« توقفوا .. »

Looloo
www.dvd4arab.com

صرخ (وينسلوت) بالأمر فى صرامة ، أخفى بها عصبيته الداخلية ، وعقله يدير الأمر فى كل خلية من خلايا مخه الرمادية ..

هذه الفوضى لم تحدث فى صفوف رجاله من قبل قط ..

ولكن كل العوامل تضافرت لحدوثها ..

الظلام المفاجئ ..

الخصم غير الواضح ..

أمر الانسحاب غير التقليدى ..

عوامل قد تكون عشوائية ..

أو ...

فجأة ، قفزت الفكرة إلى رأسه ، وأضاءت فى عقله ..

وفهم الموقف كله ..

وبكل غضبه ، هتف :

ــ توقفوا فى أماكنكم ، ولا تسمحوا لأحد بالانفصال عن المجموعة قط .. أيها القائد .. استعرض رجالك ، وتأكّد من أنك لم تفقد أحدهم .

هتف القائد ، فور سماعه الأمر :

ــ فليقف الجميع فى صفوف متوازية ..

أسرع الرجال ، على الرغم من الظلام ، يقفون فى صفوف متراصة متوازية ، ويد كل منهم على كتف من أمامه ، قبل أن يهتف أحدهم :

ــ (جاك) ليس هنا يا سيِّدى .

بلغت العبارة مسامع سير (وينسلوت) ، فانعقد حاجباه فى غضب هادر ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يهتف ، عبر أجهزة الاتصال :

ــ لقد فر .. فر منكم ، تحت أسماعكم وأبصاركم .. إنه هناك .. فى مكان ما ، داخل المقر (صفر)... أعلنوا حالة الطوارئ القصوى .. كل فرد عليه أن يثبت هويته ، مهما كان موقعه ، قبل أن يسمح له بالانتقال ، من موقع إلى آخر .. كل فرد .. بلا استثناء .

قالها ، والغضب يكاد يعصف بنفسه ..

فلقد بدأ (أدهم) اللعبة بالفعل ..

Looloo
www.dvd4arab.com

بدأها على نحو بالغ البراعة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« لست أفهم !.. »

هتفت (منى) بالكلمة ، فى انبهار شديد ، جعل (قدرى) يرفع عينيه إليها ، متسائلاً :

ـ ما الذى لا تفهمينه ؟!

هزَّت رأسها فى حماس ، هاتفة :

ـ كل ما يحدث !..

ثم التقطت أنفاسها المبهورة فى صعوبة ، قبل أن تشير بيدها ، متابعة فى انفعال :

ـ وفقًا لما أبلغتنى به فى البداية ، فمنظمة (هيل آرت) هذه كانت تفوق زمنها بكثير ، وتمتلك نظمًا تكنولوجية وأمنية وتقنية ، يصعب تجاوزها ، فما بالك بالتعامل معها .

هزَّ (قدرى) كتفيه ، قائلاً :

ـ ولكن (أدهم) لم يكن بالرجل الهين ؛ فبالإضافة إلى مهاراته النادرة ، وجرأته التى تبدو أحيانًا أشبه بالتهوّر ، يتمتّع بذكاء فريد ، يتيح له فهم واستيعاب كل جديد ، بسرعة تفوق الآخرين ، ثم إنه...

صمت بضع لحظات ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ، جعلتها تسأله فى دهشة مستثارة :

ـ ثم إنه ماذا ؟!

ظلَّ على صمته الحالم بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً بنفس الابتسامة ، التى شملت وجهه المكتظ كله :

ـ فنان .

لم تفهم صلة كلمته هذه بما سبقها ، فتساءلت فى حيرة :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟!

اتسعت ابتسامته ، وشرد ببصره بضع لحظات ، مما استفز ما تبقى من انفعالاتها ، فهتفت فى عصبية :

ـ هل تدرك ما تفعله بى بالضبط ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يسألها :

ـ هل تعلمين لماذا أثار (أدهم) إعجابى ، إلى الحد الذى جعلنى أعتبره أصدق أصدقائى ؟!

أجابته فى تردُّد :

ـ كانت بينكما حتمًا مغامرة مشتركة .

هزَّ رأسه نفيًا ، ومال نحوها قائلاً :

ـ كلا .. لقد جذب انتباهى فى البداية بأصابعه الذهبية .

فغرت فاهَا ، متسائلة :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

اعتدل ، مجيبًا :

ـ هل تتصورين أن انتحال شخصيات الآخرين أمر هين ؟!.. هل رأيت (أدهم) يومًا ، وهو يصنع قناعًا ، يشبه وجه شخص رآه مرة واحدة .

قالت ، وقد بدأت تفهم ما يعنيه :

ـ إنه بارع للغاية ، فى هذا المضمار .

هزَّ رأسه نفيًا ، ثم عاد يميل نحوها ، قائلاً فى انبهار حقيقى :

ـ بل هو معجزة .. موهبة مذهلة ، لم ينافسه فيها أحد قط .

تطلَّعت إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تقول فى حماس :

ـ أراهن أنه هناك أمر كبير ، خلف كلماتك هذه .

اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

ثم ربت على الملف ، مضيفًا :

ـ وستجدين هذا الأمر هنا ..

قالها ، وهو يستعيد الملف منها ، وعاد يقرأ ..

بكل الاستمتاع ..

* * *

« أين أنا ؟!.. »

انتفض قائد الحرس (بيتون) ، وهو يستعيد وعيه ، فى حجرة سير (وينسلوت) ، الذى واجهه بصرامة قاسية ، وهو يشعل سيجاره الفاخر ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ فشلت يا (بيتون) .. عهدت إليك بأمر بسيط ، ففشلت فيه على نحو مخز ..

أجابه (بيتون) بصوت متحشرج ، وهو ينهض فى عصبية :

ـ ذلك الشاب ليس عاديًا .. لقد ..

قاطعه (وينسلوت) ، وهو ينفث دخان سيجاره فى حدة :

ـ لا أريد أية تبريرات .

عقد (بيتون) حاجبيه فى توتر ، ولم ينبس ببنت شفة ، فقال (وينسلوت) وهو يضغط أزرار شاشات الرصد بالتتابع :

ـ هناك فرصة واحدة ، يمكنك أن تعوض بها فشلك الذريع .

سأله (بيتون) فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

أشار سير (وينسلوت) إلى شاشات الرصد ، التى تنقل صور كل مكان فى المقر (صفر) ، وقال :

ـ أن تعثر على ذلك الشاب .. بأى ثمن .

تساءل (بيتون) فى حذر :

ـ ألا يمكنك أنت العثور عليه يا سير (وينسلوت) .

لم يرق السؤال لزعيم المنظمة ، الذى نفث دخان سيجاره مرة أخرى فى حدة ، وقال بمنتهى الصرامة :

ـ لو أنه يختبئ فى مكان ما هنا ، فهو يحسن هذا إلى حد كبير ؛ إذ إن شاشات الرصد كلها تعجز عن العثور عليه .

قال (بيتون) فى حماس :

ـ فى هذه الحالة ، ينبغى أن تتخلى عن الشاشات إذن .

التفت إليه (وينسلوت) مستنكرًا ، ولكنه أضاف ، وهو يشير إلى رأسه :

ـ وأن تستخدم هذا .

ولولا دقة وحساسية الموقف ، لانفجر سير (وينسلوت) ضاحكًا فى سخرية ، مع هذه العبارة ، التى نطقها شخص ، يُدرك أنه لا يتمتع بلمحة واحدة من الذكاء ..

وبكل صرامته ، التى أرد أن يدارى بها غضبه ، قال (وينسلوت) :

ـ ابحث عنه يا (بيتون) .. واعثر عليه .

Looloo
www.dvd4arab.com

أجابه (بيتون) فى سرعة :

ــ أمرك سير (وينسلوت) .

ثم استدرك فى اهتمام :

ــ ولكننى أحتاج إلى خريطة دقيقة للمكان .

التفت إليه (وينسلوت) بحركة حادة ، فأضاف فى سرعة :

ــ معرفة المكان شىء ، والتخطيط للبحث عن شخص يختفى فيه شىء آخر .

كانت عبارة ذكية ، أدهشه أن ينطقها (بيتون) ، إلا أنه التقط لفة من الورق أمامه ، وألقاها إليه ، قائلاً :

ــ ها هى ذى .. أمامك ثلث الساعة فحسب .

مع قوله ، وبتوافق مدهش ، ارتج المكان كله فى قوة ، وهتف (بيتون) فى عصبية :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

ألقى عليه (وينسلوت) نظرة باردة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ ماذا أصابك ؟!.. إنها واحدة من انفجاراتنا ، التى نحاول بها استثارة الحمم ، التى نستخدمها لتوليد الطاقة الهائلة ، التى نحتاج إليها ، مع سلاحنا الجديد .

لم يبد على وجه (بيتون) انفعال واحد ، وهو يلتقط مدفعًا آليًا ، ويقول بلهجة عسكرية حازمة :

ــ بالتأكيد سير (وينسلوت) .. بالتأكيد .

ثم اندفع نحو الباب ، وتوقف لحظة ليقول فى حزم :

ــ سأعثر عليه ، قبل أن ينتهى الوقت .

مطَّ (وينسلوت) شفتيه ، وكأنما لا يصدق هذا ، ولم يكد (بيتون) يغيب خارج الحجرة ، حتى تمتم فى توتر :

ــ منتهى أملى ، أن يعثر هو عليك .

قالها ، واسترجع حديثه مع (بيتون) فى سرعة ، قبل أن يلتقط بدوره خريطة للمكان ، ويبدأ فى فحصها جيدًا .

كان واثقًا من أن (أدهم) قد استغل الفوضى ، التى أحدثها فى القبو ؛ ليرتدى ثوب أحد جنوده ، ويفر داخل المكان ..

وكان عليه أن يستنتج مساره ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لو خرج من القبو ، إلى الممر السفلى ، سيكون بإمكانه عبور أحد ممرات التهوية ، فى غفلة من الآخرين ، لبلوغ ثلاثة أماكن ..

حجرة التوربينات ..

وقاعة التسليح ..

والمخزن ج ..

ممرات التهوية إذن هى ثغرة أخرى ، فى نظام أمنه المحكم ، خاصة وأنه لم يتم تزويدها قط بآلات تصوير أو مراقبة ..

ربما لأنه لم يتصوَّر قط إفلات شخص كهذا ، داخل المقر (صفر) ..

ولكن من الضرورى تجاوز هذه الثغرة ..

وبأقصى سرعة ..

وفى المستقبل ، عليه أن يوسع دائرة افتراضاته ، وأن يضع المزيد من الاحتمالات ، لرتق الثقوب فى نظام الأمن ..

المهم أن يستعيد خصمه أوَّلاً ..

بدأت أصابعه تضغط أزرار نظام المراقبة بالفعل ، للانتقال إلى شبكة مراقبة جديدة ، و ...

وفجأة ، اقتحم (بيتون) المكان ، حاملاً مدفعه الآلى ، وهو يهتف فى حماس :

ـ لقد عثرنا عليه .

وعلى الرغم من برودة الأسطورى ، انتفض جسد سير (وينسلوت) ..

بعنف .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

6 – الحمـــم ..

« هـل تعتقـد أن المصـريين سيتميَّزون بنفس الخنـوع والتخاذل ؟!.. »

نطقت (سونيا جراهام) العبارة فى سخرية ، عبـر أسـلاك الهاتف ، فاخترقت أذن والدها (دافيد) ، داخل حجرة فى مبنى السفارة الإسرائيلية فى (لندن) ، وجعلته يقول فى غضب :

ــ هل تجاوزت حدود اللياقة إلى هذا الحد ؟!

أجابته فى سخرية :

ــ تذكر ما علمتنى إياه منذ حداثتى يا أبى .. عالمنا لا مجـال فيه لليافة ، أو المبادئ ، أو حتى الرحمة .. هناك فقط مكـسب وخسارة .. انتصار وهزيمة .

قال فى غضب :

ــ من الواضح أنك قد وعيت الدرس جيدًا .

قالت فى استهتار :

ــ إننى أعى كل دروسى جيدًا .

غمغم :

ــ أعلم هذا .

ثم أضاف فى عصبية :

ــ ولكنك تتجاوزين حاجز الانتماء أحيانًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى هتفت ، بكل سخرية الدنيا :

ــ حاجز ماذا ؟!

قالتها ، وانفجرت ضاحكة ، على نحو استفز مشاعره ، فقال فى حدة :

ــ أنت إسرائيلية .. أليس كذلك ؟!

قطعت ضحكتها ، لتقول فى حزم مفاجئ :

ــ بالتأكيد .

ثم أضافت فى شراسة ، نقلتها أسلاك الهاتف فى وضوح :

ــ ولكننى لست متخاذلة .

قال فى حدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابته بنفس الشراسة ، دون أن تقيم وزناً لأبوته :

ـ أعنى أننى هنا ، فى (تل أبيب) ، ولست فى (لنـدن) ، فلو كنت كذلك ، لانطلقت فورًا إلى أحراش (البرازيل) ؛ لأضع نفسى فى قلب الأحداث مباشرة ..

صمت (دافيد جراهام) لحظة ، وقد بدا له أن ابنته (سونيا) محقة تمامًا فى قولها ، ثم قال فى صرامة :

ـ هذا ما سأفعله الآن .

قالت بسخريتها اللاذعة :

ـ بعد أن أضعت وقتًا ثمينًا .

وهنا أنهى المحادثة بكل العنف ..

وكل الحزم ..

وكل الغضب ..

* * *

« إذن فقد عثرتم عليه .. »

نطق سير (وينسلوت) الكلمة ، فى ظفر واضح ، وهو يلتفت إلى قائد حرسه (بيتون) ، الذى همَّ بقول شىء مـا ، عنـدما دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، ارتجّ له المكان كله ..

وكاد (بيتون) يفقد توازنه معه ، وهو يهتف :

ـ لقد فعلها .

اعتدل سير (وينسلوت) ، وهو يتساءل فى غضب :

ـ فعل ماذا ؟!

هتف (بيتون) ، وهو يندفع خارج المكان :

ـ ماذا تتوقع ، من شيطان مثله ، يتجوّل حرًا فى المكان .

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى توتر ، وراحت أصابعه تـضغط أزرار أجهزة الرصد ، قبل أن يشتعل الغضب فى عروقه ..

فالأضرار كانت واضحة ..

جلية ..

وبالغة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

(أدهم) يحاول تدمير المكان بالفعل ..

وهذا يعنى ضرورة العثور عليه ..

بأقصى سرعة ..

وبأى ثمن ..

وبكل غضبه ، ضغط سير (وينسلوت) زر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، وهو يقول ، محاولاً الالتزام ببروده الأسطورى :

ـ (بيتون) .. عد إلى هنا فورًا .

مع آخر حروف كلماته ، دوى انفجار ثان ..

ثم ثالث ..

وتضاعف غضب سير (وينسلوت) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واندفع (بيتون) داخل المكان ، صائحًا فى حدة :

ـ تلك الانفجارات أدت إلى ثورة البركان .. لو انطلقت حممه ، ستودى بنا جميعًا .

هتف سير (وينسلوت) :

ـ هراء .. جدران المقر (صفر) مصنوعة من سبيكة خاصة جدًا ، والممرات المحيطة بنا ، ستفرغ الحمم من حولنا ، دون أن تصيبنا .. لقد درسنا كل الاحتمالات .. الحمم لا يمكن أن تبلغنا ..

وصمت لحظة ، ثم تألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ إلا لو أردنا هذا .

قالها ، وذهنه يفكر فى شخص واحد ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

هزّ رجل المخابرات المصرى رأسه ، فى توتر بالغ ، وهو يراقب من بعيد تلك الحمم ، التى تسيل من قمة البركان ، وغمغم :

ـ تُرى هل وصلنا فى الوقت المناسب ؟!

تمتم زميله فى قلق واضح :

ـ أخشى أن ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، وذهنه يحاول عبثًا رسم صورة متفائلة للموقف ..

ولم يكن أحدهما يدرى ، أن سير (وينسلوت) ، زعيم منظمة (هيل آرت) ، كان ، فى هذه اللحظة بالذات ، يغرق المخزن (ج) بالحمم البركانية ، ليبيد (أدهم) داخله تمامًا .

وعلى الرغم من جهلهما بما يحدث ، قال الأوّل لسائق الجيب فى صرامة :

ــ ألا يمكنك التقدم أكثر من هذا ؟!

هزَّ الرجل رأسه فى قوة ، قائلاً :

ــ ولا خطوة واحدة .

تبادل الرجلان نظرة شديدة التوتر ، ثم سأله أحدهما :

ــ هل أحضرت الأسلحة التى طلبناها ؟!

كشف السائق غطاءً من القماش السميك ، عن مؤخرة السيارة ، قائلاً فى توتر وعصبية :

ــ المدافع الآلية لم تكن متوافرة ، فى هذه الآونة ، ولكننى أحضرت مسدسين قويين ، و ...

ولم يمهله الرجلان ليكمل عبارته ..

لقد اختطف كل منهما مسدسًا ، ودسَّه فى حزامه ..

ثم وثبا من السيارة ..

واندفعا وسط الأحراش ..

وبكل توتره ، هتف السائق :

ــ لن يمكننى انتظاركما ، و ..

ولم يجد هناك ضرورة لإكمال عبارته ..

فالرجلان كانا قد اختفيا فى قلب الأحراش ..

اختفيا تمامًا ..

* * *

لأوّل مرة فى حياته ، ترك سير (وينسلوت) مشاعره تفصح عن نفسها فى وضوح ، مع تألُّق عينيه الوحشى ، وتلك الابتسامة الكبيرة ، التى احتلت وجهه كله ، وهو يراقب الحمم ، التى راحت تلتهم ذلك الجسد ، فى المخزن (ج) ..

ففى تلك اللحظة ، على الرغم من وحشيتها ، أدرك أنه قد انتصر ..

www.dvd4arab.com

وانتقم ..

وفاز فى معركته ..

و ...

ولكن مهلاً ..

هناك أمر غير طبيعى ..

فمن المؤكّد أن الموت بسيل من حمم ملتهبة ، يعنى عذابًا رهيبًا ، لا قبل لأى كائن فى الوجود به ..

ولكن صاحب ذلك الجسد لم يطلق صرخة واحدة ..

أو حتى آهة ألم ..

وهذا ، بكل المقاييس ، مستحيل !..

مستحيل تمامًا ..

مهما بلغت قوة احتمال أى كائن ، أو قوة إرادته ، فلا أحد يصمد أو يحتمل أمام النار ..

لا أحد ..

ولأوّل مرة فى حياته أيضًا ، لم يكتف سير (وينسلوت) بأفكاره ، وإنما نقلها إلى لسانه ، وهو يغمغم :

ـ إنه لم يطلق صرخة واحدة .

أتاه صوت (بيتون) من خلفه ، يقول :

ـ هذا أمر طبيعى .

إنعقد حاجبا (وينسلوت) بشدة ، وهو يغمغم :

ـ أمر طبيعى ؟!

ثم انتبه بغتة إلى أن صوت (بيتون) يختلف عما ألفه ..

فهو أقوى ..

وأكثر حزمًا ..

وثقة ..

وسخرية ..

وبسرعة ، استدار (وينسلوت) ؛ لمواجهة (بيتون) ، الذى تابع ، بصوت يخالف تمامًا صوته المألوف :

ـ فهو مجرد دمية تدريب خشبية ، على سطح منزلق ، وترتدى قناعًا مطاطيًا متقنًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من بروده الإنجليزى الشهير ، اتسعت عينا (وينسلوت) ، وهو يحدّق فى (بيتون) ، قائلاً :

ــ مستحيل !.. أنت !.. أنت !..

وهنا ، حمل صوت (بيتون) سخرية لاذعة ، لا يمكن أن تنتمى إليه ، وهو يقول :

ــ نعم .. هو أنا .

ومع قوله ، انتزع ذلك القناع المطاطى عن وجهه ..

وجهه الحقيقى ..

وبمزيج من الذهول والغضب ، حدّق سير (وينسلوت) فى وجه (أدهم) قائلاً :

ــ كـ .. كيف فعلتها ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول فى بساطة ، وكأنه يجرى محادثة صحفية تقليدية :

ــ الأقنعة الاحتياطية .. أمر نصحنى به والدى فى حداثتى .. أن أحتاط لكل الاحتمالات ، مهما بلغت غرابتها .. ومنذ اللحظة

الأولى ، التى عرفتكم فيها ، وجمعت كل المعلومات الممكنة عنكم ، صنعت أقنعة لوجوهكم جميعًا .

أشار (وينسلوت) إلى شاشة الرصد ، قائلاً :

ــ وماذا عن ؟!

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ إنه أمر أساسى ، أن أحمل دائمًا قناعًا احتياطيًّا لوجهى أنا .

ثم هزّ كتفيه ، مضيفًا فى سخرية :

ــ فمن يدرى ؟!

لم يشعر سير (وينسلوت) ، فى حياته كلها بالغضب والقهر ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة ، وهو يغمغم :

ــ إذن فتلك الانفجارات ..

قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى سخرية :

ــ أنا الذى صنعها .. فى كل مرة كنت تخرج للبحث عنى ، كنت أنسف منطقة أساسية فى مقرك

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم مال نحوه ، مكملاً :

ــ لقد راهنتك على نجاحى فى الفرار ، وفى تدمير مقرك أيضًا .. أليس كذلك ؟!

رمقه سير (وينسلوت) بنظرة قاسية غاضبة ، قبل أن يلتقط سيجارًا فاخرًا ، من علبة خشبية منقوشة أمامه ، وهو يقول :

ــ ربما تنجح فى تدمير المقر ، ولست أنكر أنها خسارة فادحة ، ولكن كل شىء مسألة نقود ، ولن يضيرنا أن نعيد بناء المقر ، و ...

قاطعه (أدهم) بنفس السخرية :

ــ هذا لو بقيتم .

ابتسم سير (وينسلوت) ، وهو يرفع قداحته إلى طرف سيجاره ، قائلاً فى هدوء ، استعاده بسرعة عجيبة :

ــ ومن سيمنعنا من البناء ؟!

نطقها ، وإبهامه يضغط طرف قداحته ، على نحو خاص ، و ...

وانطلق من طرفها سهم دقيق للغاية ..

سهم يحمل مادة قاتلة هذه المرة ..

وانطلق نحو عنق (أدهم) ..

مباشرة ..

وبمنتهى الدقة .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

7 ـ الجحـــر ..

« دخيلان يتسللان إلى النطاق الآمن .. »

همس أحد مراقبى منظمة (هيل آرت) بالعبارة ، عبر جهاز اتصال لاسلكى محدود ، وهو يختفى وسط أحراش (البرازيل) ، ثم تابع ببصره رجلى المخابرات المصريين ، وهما يخترقان المنطقة ، فى طريقهما إلى البركان القديم ، قبل أن يهمس :

ـ ننتظر الأوامر للتعامل معهما .

كان صوته هامسًا منخفضًا ، حتى إنه لم يبلغ مسامع رجلى المخابرات ، وهما يشقان طريقهما وسط الأحراش ، وأحدهما يقول فى قلق :

ـ هل تتصوَّر أنه من الممكن أن يكون هناك أحياء ، داخل ذلك البركان الثائر .

أجابه زميله فى حزم ، وهو يمسك سلاحه فى تحفُّز :

ـ ليس ثائرًا كما يبدو .. هناك أدخنة تتصاعد من فوهته فحسب ، وخبراؤنا يرجحون أنها مجرد وسيلة للتعمية .

غمغم الأوّل :

ـ بهذه الكثافة ؟!

أجابه الثانى فى اقتضاب :

ـ نعم .

ثم توقف بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل زميله يسأله فى توتر متحفز :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه وهو يتلفَّت حوله ، فى توتر شديد :

ـ هناك حركة ما ، كما لو أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، برز أولئك الرجال فجأة ..

عشرة من لابسى الأزياء العسكرية المموَّهة ، برزوا من وسط الأحراش ، كما لو أنهم قد نبتوا من العدم ، وفوهات مدافعهم الآلية الثقوبة مصوَّبة فى تحفز كامل ، نحو الرجلين ، اللذين ارتفعت أيديهما بأسلحتهما فى استعداد قتالى غريزى سريع ، و...

ولكن المعادلة كانت محسومة مسبقًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

فالمحيطون بهما كانوا من المحترفين حتمًا ..

وفوهات مدافعهم القوية ، كان يطل منها الموت ..

عند أدنى حركة ..

وكان من الطبيعى أن يسترجع عقلا الرجلين كل ما درساه وتعلماه ، خلال فترة عملهما الطويلة ..

فالقتال ، فى مثل هذه الظروف ، كان يعنى الهزيمة ..

حتمًا ..

ثم إنه من الواضح أن المحيطين بهما لا يسعون لقتلهما ..

ليس الآن على الأقل ..

هذا ما يعنيه عدم إطلاقهم النار مباشرة ..

وفى عالمهما ، هذا يعنى فرصة جديدة للنجاة ..

فرصة لابد من استغلالها ..

وإلى أقصى حد ..

لذا ، فقد ألقى كل منهما سلاحه ، ورفعا أيديهما مستسلمين ، وعقلاهما يعدان خطة بديلة ، لقتال مفاجئ ، فى مرحلة تالية ..

وعبر جهازه اللاسلكى المحدود ، قال قائد المجموعة المموَّهة ، بصوت قوى واثق هذه المرة :

ـ الدخيلان فى قبضتنا .. ما زلنا ننتظر الأوامر ، للتعامل معهما .

قالها ، وانتظر الجواب ..

انتظره طويلاً ..

جدًا ..

* * *

من المؤكَّد أن سير (وينسلوت) يعد أحد القلائل ، الذين برعوا إلى حد مدهش ، فى استخدام ذلك السلاح ، الذى ابتكره الوطنيون ، فى أدغال (البرازيل) ..

الأسهم المخدرة ..

والقاتلة ..

وعندما أطلق ذلك السهم الدقيق ، نحو الوريد العنقى لـ(أدهم) ، لم يكن يسعى لتخديره ، كما فعل من قبل ..

www.dvd4arab.com

بل لقتله ..

فورًا ..

ولقد انطلق السهم بالفعل ، نحو عنق (أدهم) .. مباشرة ..

وقبل حتى أن يبلغ هدفه ، كان سير (وينسلوت) يبتسم فى ظفر وثقة ، و ...

ولكن فجأة ، تحرَّك (أدهم) ..

تحرَّك بسرعة ، لم يتخيَّل سير (وينسلوت) حتى إمكانية حدوثها ، وهو يلتقط دفترًا مجاورًا ، ويرفعه أمام وجهه ، لينغرس فيه ذلك السهم الصغير الدقيق ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، تحرَّكت قدمه على نحو بالغ المرونة ، ليضرب السيجار من يد (وينسلوت) ، ثم يثب لالتقاطه فى الهواء ، قائلاً فى سخرية :

ــ فى بلادى يقولون : « لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين » .

احتقن وجه سير (وينسلوت) ، وهو يغمغم :

ــ وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى سخرية لاذعة :

ــ أنك قد خسرت يا زعيم الأوغاد .

ازداد احتقان وجه (وينسلوت) ، وتطلَّع إلى عينى (أدهم) بضع لحظات ، فى مقت ما بعده مقت ، قبل أن يستعيد برودة الإنجليزى التقليدى فجأة ، وهو يقول :

ــ خطأ أيها المصرى .. خطأ .

ثم اعتدل بحركة حادة ، وهو يكمل :

ــ إنك لم تربح رهاننا بعد .

مع قوله ، انتبه (أدهم) إلى تلك الالتماعة فى عينيه ، اللتين انعكس عليهما مشهد يدور خلف ظهره هو ..

مشهد (بيتون) ، الذى استعاد وعيه ، ووجد سبيله إلى المكان ، يتسلَّل مع ثلاثة من رجاله ، خلفه مباشرة ..

رأى (أدهم) الصورة منعكسة ، فى عينى (وينسلوت) ..

ووثب ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وثب وثبة مباغتة مدهشة ، وهو يدور حول نفسه فى مرونة ، ويشهر مدفعه الآلى ، فى مواجهة خصومه الثلاثة ..

ولكن (بيتون) كان يتوقَّع هذه المبادرة ..

أو كان يستعد لإطلاق النار بالفعل ، قبل حتى أن يقوم بها (أدهم) ..

هذا لأنه قد أطلق رصاصاته بسرعة ..

ونحو الهدف ..

مباشرة ..

* * *

لم يشعر (دافيد جراهام) ، رجل المخابرات الإسرائيلى القديم ، فى حياته كلها بذلك التوتر ، الذى شعر به ، وهو يجلس داخل الطائرة الخاصة ، التى تنطلق به ، من (لندن) إلى (البرازيل) ..

فمن الناحية المنطقية ، كان من المستحيل أن يصل إلى هدفه ، فى وقت مناسب ..

فالطائرة ، مع سرعتها الفائقة ، تحتاج إلى سبع ساعات كاملة ، لبلوغ هدفها الرئيسى ..

ومع رجل مثل (أدهم) ، تعد هذه الساعات السبع دهرًا ..

دهرًا كاملاً ..

وهذا يعنى أنه ، من الناحية الإحصائية ، سيصل حتمًا بعد فوات الأوان ..

وهذا يزعجه ..

بشدة ..

إلا أنه لا يستطيع العدول عن هذا ..

من الناحية الحرفية ..

وكرجل مخابرات محترف ، حاول أن يسترخى فى مقعده ، إلا أنه عجز عن هذا تمامًا ، فالتقط سماعة جهاز اتصال متصل بمقعده ، وقال للطيار ، فى صرامة ولَّدها توتره وقلقه :

ــ أريد اتصالاً مباشرًا مع (برازيليا) .

أجابه الطيَّار بسرعة :

ــ فورًا يا سيِّدى .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم تمض لحظات ، حتى تم الاتصال ، وراح (دافيد جراهام) يلقى أوامره ، لطاقمه فى العاصمة البرازيلية ..

أوامره بالاستعداد لتطورات غير متوقَّعة ..

غير متوقَّعة على الإطلاق ..

* * *

على الرغم من رد فعل (أدهم) ، البالغ السرعة ، لم يستطع جسده البشرى تفادى كل الرصاصات ، التى انطلقت نحوه ..

فمع استدارته ، شعر بخيط من النار يحتك بذراعه اليسرى ..

وآخر يمس جبهته ..

وسالت الدماء على وجهه وذراعه ..

ولكنه لم يتوقف ..

لقد واصل انقضاضته بمنتهى القوة والعنف ، وركل مدفع أحد الرجال الثلاثة ، المصاحبين لقائد الحرس (بيتون) ، ثم لكم الثانى فى أنفه مباشرة ، وانحنى متفاديًا رصاصة الثالث ، قبل

أن يركله فى صدره بمنتهى العنف ، على الرغم من الدماء التى انزلقت ، لتعمى بصره تمامًا ..

كان موقفًا سخيفًا للغاية ، فعلى الرغم من أن جرح جبهته كان سطحيًا ، إلا أن الدماء كانت تسيل منه بفعل الجاذبية الأرضية ، نحو عينيه مباشرة ، وتعيق مجال الرؤية ، و...

ووسط هذا التعتيم الدموى ، انقضّ عليه (بيتون) ، بكل شراسة الدنيا ..

وبمنتهى العنف ..

ومع استدارة قتالية ، هوت قبضة (بيتون) على فك (أدهم) ، الذى تراجع مع عنف اللكمة ، وارتطم بحاجز أجهزة الرصد ..

وسقط مدفعه الآلى ..

ومع سقوطه ، صرخ سير (وينسلوت) ، متخليًا عن وقاره وبروده التقليديين الشهيرين :

ـ اقتله يا (بيتون) .. اقتله .

ورفع (بيتون) فوهة مدفعه الآلى بالفعل ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وضغط الزناد ، وهو يطلق زمجرة وحشية رهيبة ..

ولكن (أدهم) لم يكن بالخصم العادى ..

صحيح أن الرؤية كانت مشوَّشة أمام عينيه ، إلا أنها لم تكن منعدمة ..

لذا ، فقد التقط ذلك الدفتر ، الذى انغرس فيه سهم سير (وينسلوت) السام ، وألقاه بكل قوته نحو (بيتون) ..

ومال (بيتون) لتفادى الضرب ، ولكن الدفتر ارتطم بكتفه ، فدفعه بيده جانبًا ، وهتف فى وحشية ، ورصاصاته تنطلق فى سقف المكان :

ــ أهذا كل ما يمكنك أن تقاتل به أيها المصرى ؟!

وصرخ (وينسلوت) مرة أخرى :

ــ اقتله يا (بيتون) ..

وتحفَّز (بيتون) مرة أخرى ، وأطلَّ الموت من فوهة مدفعه الآلى ، و...

وفجأة ، تجمَّدت ملامحه كلها ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وانفرجت شفتاه ، فى مظهر مذعور ، يجمع بين الألم والدهشة ..

ثم انطلقت من حلقه شهقة ..

وأدرك سير (وينسلوت) ما حدث ..

أدركه مع كل الغضب والمقت ، اللذين تفجَّرا فى أعمق أعماقه ..

فسهمه المسموم انغرس فى كتف قائد حرسه ..

فى كتف (بيتون)...

وسقط قائد الحرس جثة هامدة ، عند قدمى (أدهم) ، الذى اعتدل واقفًا ، ليمسح الدماء عن عينيه ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها سير (وينسلوت) نحو أجهزته ، و...

« قلت لك إنك قد خسرت » ..

قالها (أدهم) ، وهو يعترض طريقه فجأة ، فتوقف سير (وينسلوت) ، وحدَّق فيه بكل مقت الدنيا ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى عصبية ، لم يستطع ، أو حتى يحاول كتمانها هذه المرة :

www.dvd4arab.com

ـ ولكنك لم تربح أيها المصرى .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!.. كيف يبدو لك هذا الموقف إذن ؟!

أجابه (وينسلوت) بسرعة :

ـ متعادلاً يا رجل .. أنت ما زلت داخل المقر (صفر) ، والخروج من هنا ليس بالأمر السهل .

قال (أدهم) بنفس السخرية :

ـ ما زال رهاننا قائمًا .

اعتدل سير (وينسلوت) ، وهو يقول فى حزم :

ـ لن تربحه بالتأكيد .. لقد راهنتنى على أنك ستدمر المقر ، وتفرّ من هنا .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ وما زال هذا قائمًا .

هزّ (وينسلوت) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ربما أتفق معك على إمكانية تدمير المكان ، أما خروجك من هنا ، فهو أمر أشك فيه كثيرًا يا هذا .

قالها ، ومال يضغط زرًا خفيًا فى أجهزة الرصد ، فانطلقت صفارة إنذار قوية فى المكان ..

صفارة تعنى حالة طوارئ قصوى ..

قصوى للغاية ..

وعلى الرغم من صوتها شديد الإزعاج ، لم يبد (أدهم) أدنى اهتمام ، وإنما بدا هادئًا واثقًا ، وهو يقول :

ـ ربما تبدو لك هذه مبادرة قوية ، ولكن من سوء حظك أننى مستعد لها تمامًا .

قالها ، ثم أخرج من جيب خفى فى حزامه قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، يحمل وجه وملامح (وينسلوت) نفسه ، وهو يكمل ، بصوت هذا الأخير ، عبر حنجرة مذهلة المرونة :

ـ والأمر سيتوقّف فى النهاية على ما سيراه رجالك .

أدهشه أن ابتسم سير (وينسلوت) فى عصبية ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ قد يدهشك أننى كنت أتوقَّع هذا أيضًا ، ولكن ما لم تتوقَّعه أنت هو أن ما تسمعه ليس مجرَّد إشارة إنذار طوارئ ..

ثم مال نحو (أدهم) ، وتألَّقت عيناه فى وحشية عجيبة ، وهو يضيف :

ـ إنه إنذار تدمير .. هذا المقر ستغمره الحمم الملتهبة خلال خمس دقائق فحسب ، وهى أقل من أسرع وسيلة للخروج من هنا ، عبر كل المسارات التى أمامك .

وتألَّقت ضحكة فى عينيه ، لم تلبث أن انتقلت إلى حلقه ، على نحو جنونى ، وهو يضيف :

ـ هذا يعنى أنها نهاية المقر (صفر) ، ونهايتى .. ونهاية كل شخص هنا ، حتى أنت .. إنها نهايتنا جميعًا أيها المصرى .. نهايتنا جميعًا .

قالها ، وتردَّدت ضحكته العالية فى المكان كله ..

بمنتهى الوحشية ..

ومنتهى الجنون .

* * *

8 ـ انطلاقة ..

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى (قدرى) ، وهو يتطلَّع إلى وجه (منى) ، الذى حمل كل الدهشة والحيرة ، ومال نحوها ، يسألها بصوت خافت ، وكأنما يخشى أن يفسد حالتها هذه :

ـ ماذا بك ؟!

حدَّقت فى وجهه لحظة ، ثم هزَّت رأسها ، وكأنها تنفض عنه حلمًا ثقيلاً ، قبل أن تتساءل :

ـ كيف إذن ؟!

اعتدل (قدرى) ، متسائلاً :

ـ كيف ماذا ؟!

سألته فى انفعال :

ـ وفقًا لما ترويه ، لم يكن هناك مخرج واحد من ذلك المقر ، فى قاع البركان القديم ، الذى ستغمره الحمم حتمًا ، والدقائق الخمس المتبقية ، لم تكن تكفى لخروج (أدهم) .

Looloo
www.dvd4arab.com

أشار (قدرى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وفقًا لما قاله (وينسلوت) .

تساءلت فى لهفة :

ـ هذا لم يكن حقيقيًا إذن ؟!

عاد (قدرى) يبتسم ، قائلاً :

ـ بل كان حقيقيًا تمامًا .

استعادت حيرتها ، وهى تقول :

ـ لم أعد أفهم هذا .. لو أنه حقيقى ، كيف نجا (أدهم) إذن ، من ذلك الموقف العصيب .

التقط (قدرى) نفسًا عميقًا ، وقال بابتسامته الكبيرة :

ـ أنت تعرفين (أدهم) .

وعاد يميل نحوها ، قائلاً :

ـ عقله بارع للغاية فى الابتكار .

سألته بمنتهى اللهفة :

ـ ماذا فعل إذن ؟!

اعتدل (قدرى) مرة أخرى ، وتنهَّد بمنتهى العمق ..

ثم عاد يروى ..

فى استمتاع ..

* * *

« لست أصدقك .. »

نطقها (أدهم) بمنتهى الهدوء ، فى مواجهة سير (وينسلوت) ، الذى انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو يقول فى حدة :

ـ صدق أو لا تصدق أيها المصرى ، ولكن الحمم ستغمر المكان كله بالفعل ، خلال أقل من خمس دقائق .

أجابه (أدهم) بمنتهى الهدوء :

ـ ليس هذا ما أرفض تصديقه .

ثم مال نحو زعيم (هيل آرت) ، مستطردًا ، بنفس الهدوء المدهش :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وإنما لا أصدق أن شخصًا أنانيًا حقيرًا مثلك ، يمكن أن يضحى بنفسه ، لأى سبب كان .

ازداد انعقاد حاجبى (وينسلوت) ، وهو يغمغم بمنتهى العصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

قبض (أدهم) على ذراعه بحركة مباغتة ، وانغرست أصابعه الفولاذية فيه ، على نحو مؤلم ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ـ أعنى أنه لديك حتمًا وسيلة للفرار من هنا .. وسيلة يجهلها الكل سواك .. وسيلة أنانية ، وخاصة... جدًا .

لم يجب سير (وينسلوت) هذا القول ..

ولكن عينيه أجابتا ..

أجابتا ، على نحو لا يقبل الشك ..

فعلى الرغم من برودته التقليدية ، التمعت عيناه لحظة ..

ثم اضطربتا لحظة أخرى ..

والتقطت عينا (أدهم) الخبيرتان اللحظتين ..

وعرف جواب سؤاله ..

وابتسم ..

ابتسم ابتسامة ظافرة ، أدرك سير (وينسلوت) معها الموقف ، فهتف بكل غضبه :

ـ لا .. لن تعرفها أبدًا .. إننى أفضل الموت .

فوجئ بـ (أدهم) يعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، هوت قبضته على فك (وينسلوت) كالقنبلة ..

واتسعت عينا (وينسلوت) عن آخرهما ، ودارتا فى محجريهما ، وأطلّ منهما مزيج من الدهشة ، والألم ، والذعر ، قبل أن يهوى فجأة فاقد الوعى ، فى نفس اللحظة ، التى ارتفع فيها صوت أنثوى آلى ، عبر مكبرات الصوت المنتشرة فى المقر (صفر) ، قائلاً :

ـ أربع دقائق ، قبل النهاية .

Looloo
www.dvd4arab.com

دقائق أربع ، قد تبدو مهلة قليلة للغاية ، بالنسبة لأى شخص عادى ..

أما بالنسبة لرجل مثل (أدهم) ، فقد كانت كافية ..

إلى حد ما ..

وبأعصاب من فولاذ ، ودون أن يبالى بصفارة الإنذار المتقطِّعة ، التى لا تتوقَّف لحظة واحدة ، راحت أصابعه تعمل على أجهزة (وينسلوت) ..

لم يكن يملك سوى خبراته السابقة ، فى التعامل مع الطبيعة البشرية ..

فرجل مثل (وينسلوت) ، سيحتفظ حتمًا بوسيلة نجاة مضمونة ..

وقريبة ..

لابد وأن تكون فى متناول يده ، بحيث يمكنه بلوغها ، دون أن يضطر لمغادرة مكانه ، والعدو وسط رجاله المذعورين ، إذا ما اضطرت الحاجة إلى إخلاء المكان ، أو تدميره ، على نحو عاجل ..

وسيلة الفرار هنا إذن ..

فى مكان قريب ..

قريب للغاية ..

وعلى الرغم من مهارته وسرعته ، فى التعامل مع الإليكترونيات والآليات ، راح الوقت يمضى فى سرعة ، حتى تردَّد ذلك الصوت الأنثوى مرة أخرى ، قائلاً فى آلية :

ـ دقيقتان على موعد التدمير الشامل .. التدفق يبدأ بعد عشر ثوان فقط .. عشرة .. تسعة .. ثمانية ..

اعتصر (أدهم) ذهنه ، واستعاد دروس والده القديمة ، فى تلك اللحظات الحرجة ..

« الوقت هو الوقت يا (أدهم) .. تملكه ولا يملكك .. وعقارب الساعة ستسير بنفس سرعتها ، شئت أم أبيت .. هدأت أو انفعلت .. »

لذا ، فقد طرح كل توتراته خلف ظهره ، وركَّز تفكيره كله فيما أمامه ، وراحت عيناه تجوبان لوحة الأزرار ، وعقله يدرس ..

ويحسب ..

ويحلِّل ..

و ...

Looloo
www.dvd4arab.com

« بدأ التدفق فعليًا .. »

ارتفع ذلك الصوت الآلى بالعبارة ، وظهرت على شاشات الرصد صور أرجاء المقر السفلية ، وقد بدأت الحمم تتدفق إليها ، وتتصاعد منها أدخنة كثيفة على نحو مخيف ..

أدخنة انتشرت فى المكان كله ..

بمنتهى السرعة ..

ووفقًا للمعيار أمامه ، ستبلغ الحمم موقعه ، بعد دقيقة واحدة على الأكثر ..

وستصل الأبخرة السامة قبلها حتمًا ..

وربما بعد ثوان قليلة ..

وكان عليه أن يستعين بإرادة فولاذية ؛ للسيطرة على أعصابه ، وهو يطالع الأزرار مرة أخرى ، و...

وتوقف بصره هذه المرة عند شق صغير ، مخفى فى مهارة ، أسفل زر كبير ..

شق بدا مناسبًا لمفتاح ..

مفتاح من طراز خاص ..

جدًا ..

وبحركة حادة ، أدار عينيه إلى (وينسلوت) الفاقد الوعى ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، اندفع يفتش جيوبه ، وذلك الصوت الأنثوى الآلى يقول :

ــ دقيقة واحدة ويتم التدمير الكامل .

كانت الأبخرة السامة قد بلغت موقعه بالفعل ، وبدأت تنتشر تحت قدميه ، وهو يواصل بحثه عن ذلك المفتاح ..

ثم وقعت عيناه على دبوس ياقة سترة (وينسلوت) الذهبى ..

كان أشبه بسيف رومانى قديم ..

سيف لا يتفق قط ، مع إنجليزى متعصب ومتغطرس ..

وبسرعة ، التقط أدهم ذلك السيف الذهبى الصغير ، من ياقة سترة (وينسلوت) ، وعاد به إلى لوحة الأزرار ، ثم دسه فى ذلك الشق ، وأداره ..

وهنا ، أضاء ذلك الزر الكبير ، على الشق ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وبلا تردُّد ، ضغطه (أدهم) ..

وبكل قوته ..

وكان الارتجاج عنيفًا ..

قويًّا ..

مباغتًا ..

ارتجاج بدا للوهلة الأولى ، وكأنه نتاج تلك الحمم ، التى تضاعف تدفقها داخل المقر ، على نحو مخيف ..

ثم اختلّ توازن (أدهم) بغتة ..

اختلّ مع حركة حجرة (وينسلوت) ، التى اندفعت فجأة إلى أعلى ، كما لو أنها داخل مصعد قوى ..

بل كانت هى نفسها عبارة عن مصعد قوى ..

مصعد سريع ، راح يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ومن أسفله دوت فرقعات ..

وانفجارات ..

أجهزة المقر (صفر) ، راحت تنفجر ، مع الحمم التى أغرقتها ، قبل أن ترتفع الحمم بسرعة ، عبر ممر ذلك المصعد المموَّه ..

وارتفعت الحرارة داخل الحجرة ، وهى تصعد ..

وتصعد ..

وتصعد ..

ثم توقفت فجأة ، بالقرب من فوهة البركان ..

وانفتح جدارها ..

وعلى الضوء الخافت ، رأى (أدهم) أمامه ثلاث طائرات هليوكوبتر صغيرة ، فوق منصة مستديرة من المعدن ، بدا وكأنها تتموَّج ، بفعل الغازات المنبعثة من قاع البركان ..

ومن أسفل المكان ، دوى هدير الحمم ، وهى تندفع إلى أعلى ..

وأدرك (أدهم) أنه ليس أمامه لحظة واحدة يضيعها ، لذا ،

Looloo
www.ivdvarab.com

فقد حمل (وينسلوت) على كتفه ، وانطلق يعدو به نحو إحدى طائرات الهليوكوبتر ، التى راحت تتموّج فى عنف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، سرى التوتر فى قلب كل من صمّ أذنيه هدير البركان القوى ..

رجال منظمة (هيل آرت) ، من ذوى الأزياء المموّهة ..

ورجلى المخابرات المصريين ..

وسائق الجيب ، الذى لم يستطع التقدُّم داخل الأحراش ..

وفى توتر شديد ، غمغم قائد المرتزقة :

ـ ماذا يحدث عندكم ؟!.. ما زلنا ننتظر الأوامر .

جاوبه دوى أكثر عنفًا ، أتى من قلب البركان القديم ..

وتبادل رجلا المخابرات نظرة ..

نظرة لم تتصل بكلمة واحدة ..

ولكنها حملت الكثير ..

والكثير جدًا ..

وفى توتر ، أدار قائد المرتزقة عينيه فى عيون رجاله ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لا إجابة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ لا أحد يجيب ، من الموقع (صفر) .

وشرد بصره مع استطرادته :

ـ ماذا أصابهَم ؟!

كان ورجاله يتابعون موقف البركان ، بأعصاب مشدودة إلى أقصى حد ، حتى إنهم لم ينتبهوا إلى أن رجلى المخابرات قد تباعدا ، بتكنيك مدروس ، و...

وزمجر البركان مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى كل مرة ، كانت الأبخرة المتصاعدة منه تتكثف وتتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وبكل عصبية الدنيا ، غمغم قائد المرتزقة :

ــ تُرى أمن الممكن أن ..

انتبه أحد رجاله ، فى تلك اللحظة ، إلى حركة رجلى المخابرات ، فرفع فوهة مدفعه الآلى ، هاتفًا :

ــ احترس .

استدار رفاقه بحركة حادة ، وفوهات مدافعهم كلها متحفزة ..

ولم يعد هناك مفرّ من المواجهة ..

وانقض رجلا المخابرات المصريين ، وفقًا لما تدربا عليه ..

وكان من الواضح أننا أمام مذبحة ..

مذبحة بشرية رهيبة ..

لولا أن دوى ذلك الانفجار ..

انفجر البركان بغتة ، وتدفّقت منه الحمم ، على نحو مخيف ..

نحو يوحى بأنه من المستحيل أن يبقى بعده أحياء ..

على الإطلاق .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

9 – المحاصرون ..

تألّقت عينا الشابة (سونيا جراهام) ، فى استمتاع ملحوظ ، وهى تجلس أمام شاشة المعلومات الرئيسية ، فى مقر الموساد ، وغمغمت بصوت ، استرعى انتباه من حولها :

ــ مدهش .

استدار إليها زميل حجرتها ، متسائلاً فى حيرة :

ــ ماذا قلت ؟!

لوّحت بسبّابتها فى الهواء ، وهى تلتفت إليه ، مكررة :

ــ مدهش .. ذلك المصرى مدهش بحق .

انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يغمغم مستنكرًا :

ــ مصرى ؟!.. ماذا أصابك يا (سونيا) .. هل بلغ انبهارك بالمصريين هذا الحد ؟!

أطلقت (سونيا) ضحكة عابثة قصيرة ، وهى تشير إلى شاشة المعلومات ، قائلة :

ــ ليس كلهم .. هو وحده .

حدّق فيها بذهول أكثر ، متسائلاً فى حدة :

ــ من هو ؟!

هزّت كتفيها بدلال ، لا يليق بمتدّربة شابة ، فى صفوف (الموساد) ، وهى تقول ، دون أن تفقد ابتسامتها :

ــ ذلك الذى يواجه (وينسلوت) ، فى أحراش (البرازيل) .. لقد أخبرنى عميلنا هناك ، أنه دمر المقر (صفر) تمامًا .

كاد الرجل يقفز من مقعده ، صارخًا :

ــ وهل يسعدك هذا ؟!

عادت تهز كتفيها ، قائلة :

ــ القضاء على (وينسلوت) ليس قضاءً على (هيل آرت) ، فالمنظمات القوية لا يهزها مصرع رجل واحد .. ولا حتى مقر واحد .. هذا درس تعلمته جيدًا .

وشردت ببصرها مع ابتسامتها ، وهى تضيف :

ــ وسأعيه طيلة عمرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

هبَّ زميلها من مقعده ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ولكنه خبر شديد الخطورة .. سأبلغه للقيادة فورًا .

تابعته ببصرها ، حتى غادر الحجرة ، ثم عادت تتطلَّع إلى شاشة المعلومات ، مغمغمة :

ـ لو أنك وسيم أيها المصرى ، فسنلتقى يومًا ما ... صدقنى .. سأسعى إلى هذا .

قالتها ، وابتسامتها تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

* * *

مع دوى الانفجار ، فقد كل رجال (هيل آرت) أعصابهم لحظة ..

لحظة واحدة ، كانت كافية ، لينقض رجلا المخابرات المصريين بكل قوتهما ..

وخبرتهما ..

وبضربة قوية ، أسقط أحدهما رجل كوماندوز ، ثم التقط مدفعه ، وهوى بكعبه على ثان ، ثم دار يركل الثالث فى صدره ، وهو يطلق رصاصات المدفع على الرابع ..

وفى اللحظة نفسها ، كان زميله يثب نحو رجلين ، فيركل أحدهما فى أنفه ، والثانى فى صدره ، بضربة مزدوجة مدهشة ..

ولكن رجال الكوماندوز كانوا محترفين بحق ..

وعلى الرغم من عامل المفاجأة ، والنيران المتصاعدة من البركان ، وما يحيط بها من أدخنة سوداء كثيفة ، تكفى لإثارة الرعب ، فى قلب أكثر المخلوقات بأسًا وسعادة ، إلا أن رجال (هيل آرت) كانوا من المحترفين ..

لذا ، فقد استعادوا جأشهم فى سرعة ، وتراجعوا مبتعدين عن رجلى المخابرات ، وهم يصوبون نحوهما فوهات مدافعهم الآلية ..

كانوا أربعة من المحترفين ، فى مواجهة رجلين ، أحدهما فقط يحمل سلاحًا ..

وكان من الواضح أن الأمر سيتحوَّل بالفعل إلى مذبحة دموية ..

لولا ما حدث فى اللحظة التالية ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فمن وسط الدخان والنيران ، برزت تلك الهليوكوبتر بغتة ..

هليوكوبتر (وينسلوت) ، التى يقودها (أدهم) ، والنيران تشتعل فى ذيلها ، وهو يحاول توجيهها بمهارة لا مثيل لها ..

ومن أسفل الهليوكوبتر ، أضاء مصباح قوى ..

مصباح أحال ظلمة الأحراش نهارًا ..

وعلى ضوء ذلك المصباح ، ومن هذه المسافة الكبيرة ، رأى (أدهم) ما يحدث ..

وفهم الموقف على الفور ..

حاسة رجل المخابرات داخله ، جعلته يميِّز رفيقيه ، ورجال الكوماندوز الأربعة ..

وبلا تردُّد ، انقض بالهليوكوبتر ، وأطلق رصاصات مدفعها حول الأربعة ..

وأدرك رجال الكوماندوز أنهم قد خسروا معركتهم ..

أدركوا هذا بغريزة الوحوش فى أعماقهم ..

لذا ، فقد رفعوا أيديهم مستسلمين ، وصرخ قائدهم :

ــ لا تطلق النار .

كانت النيران تمتد ، عبر ذيل الهليوكوبتر ، ولكن (أدهم) قادها فى مهارة ، حتى صارت على ارتفاع ثلاثة أمتار ، عند قمم الأشجار القصيرة ..

وفى الوقت الذى اندفع فيه زميلاه ؛ لتجريد رجال الكوماندوز من أسلحتهم ، والسيطرة على الموقف ، ثبت هو عصا القيادة ، لتنطلق الهليوكوبتر بعيدًا ، وهو يحمل جسد (وينسلوت) الفاقد الوعى على كتفيه ، و ...

ويثب ..

وثب من ارتفاع ثلاثة أمتار ، أمام العيون الذاهلة ، ليهبط بحمله وسط الأحراش ، فى حين ابتعدت الهليوكوبتر بضعة أمتار ، والنيران تلتهم ذيلها كله ..

ثم هوت ..

ودوى انفجار جديد ..

انفجرت الهليوكوبتر ، فى قلب الأحراش ، لتعلن نهاية مرحلة ..

وبداية صراع جديد ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى سعادة وارتياح ، اندفع أحد رجلى المخابرات يصافح (أدهم) فى حرارة ، هاتفًا :

ـ مستحيل !.. حمدًا لله على سلامتك يا بطل .. من كان يتصوَّر أن تفعل كل هذا .

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو يضع جسد (وينسلوت) أرضًا :

ـ المعركة لم تنته بعد .

سأله الآخر ، وهو يصوِّب مدفعه إلى رجال الكوماندوز :

ـ ولكنك نسفت كل شىء يا رجل .. لقد فعلت ما تعجز عنه فرقة كاملة .

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

صحيح أن هذا هو المقر الرئيسى لمنظمة (هيل آرت) ، ولكنه ليس المقر الوحيد .

سأله أحدهما ، وهو يتطلَّع إلى (وينسلوت) ، الذى بدأ يستعيد وعيه :

ـ ومن هذا ؟!.. أليس سير (وينسلوت) ، زعيم المنظمة ؟

قال (أدهم) فى هدوء ، لا يتناسب قط مع الموقف :

ـ وهل سيتركونه لنا بهذه السهولة ؟!

« هذا مستحيل بالطبع » ..

نطقها (وينسلوت) ، وهو يحاول النهوض ، فتطلَّع إليه الجميع ، وهو يقف على قدميه ، متابعًا :

ـ القواعد واضحة فى هذا المضمار .. تدمير المقر (صفر) ، سيبلغ قادة المنظمة فور حدوثه ، ولأنهم يعلمون أنه لدى وسيلة للنجاة ، فسينتظرون إشارة خاصة منى ، خلال دقائق عشر من التدمير الشامل ، وما لم يحصلوا عليها ، فسيفترضون أننى أسير ، فى قبضة جهة معادية .

تساءل أحد رجلى المخابرات :

ـ وماذا سيفعلون عندئذ ؟!

شدَّ (وينسلوت) قامته فى اعتداد ، وهو يجيب :

ـ سيطاردونكم بكل ما لديهم من قوة وقوات ، وسيحاصرون المنطقة كلها ، حتى لا تنجح بعوضة فى الخروج منها ، ولن يهدأ لهم بال ، حتى يسحقونكم سحقًا

Looloo
www.dvd4arab.com

قال رجل المخابرات الآخر فى صرامة :

ــ كل هذا لينقذوا حياتك .

هزَّ (وينسلوت) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ حياتى لا تعنى لهم شيئًا ..

وتلاعبت على شفتيه ابتسامة عصبية ، وهو يضيف :

ــ إنها استثمارات هائلة .. مليارات من الجنيهات الإسترلينية ، ثم إنه هناك ما هو أكثر خطورة ..

تطلَّع إليه الكل فى توتر ، فتابع فى عصبية ، لم يستطع كتمانها هذه المرة :

ــ إننى لست الزعيم الفعلى لمنظمة (هيل آرت) .

ومع انعقاد حاجبى (أدهم) ، تناهى إلى مسامع الجميع أزيز سرب من طائرات الهليوكوبتر ، يقترب من المنطقة ..

وبدا المشهد رهيبًا بحق ..

الحمم تتدفق فى البركان ..

وجيش من قوات (هيل آرت) يحاصر المنطقة ..

وسير (وينسلوت) يضحك على نحو عصبى ، وكأنما يدرك ما يجهلونه ..

وفى حزم ، عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ــ ألم أقل لكما .. يبدو أنها البداية .. بداية المعركة الحقيقية ..

وران على الكل صمت رهيب ..

رهيب إلى أقصى حد ..

* * *

« رباه !.. تصوَّرت أن القصة قد انتهت ، عندما سيطر (أدهم) وزميلاتنا على الموقف .. »

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

ــ الواقع أن كل ما رويناه كان مجرد بداية .

سألته فى لهفة :

ــ ماذا حدث بعدئذ .

أجاب فى سرعة :

ــ الكثير .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم أغلق الملف ، مستطردًا :

ــ ولكن الساعة تقترب من منتصف الليل ، ولن يمكننا مطالعة النصف الثانى من الملف الليلى .

قالت فى عصبية :

ــ ولِمَ لا ؟!

ضحك ، قائلاً :

ــ لأننى جائع للغاية ، وأرغب فى تناول عشاء دسم .

زفرت فى توتر ، قائلة :

ــ فليكن .. سأدعوك إلى عشاء دسم .

ثم استدركت فى سرعة :

ــ ولكن بشرط .

سألها فى حذر :

ــ وما هو ؟!

قالت فى لهفة :

ــ أخبرنى على الأقل ، ما الذى سيقودنا إليه الجزء الثانى من الملف .

تردَّد لحظة ، ثم قال :

ــ الجزء الثانى هو السبب ، الذى حصل (أدهم) من أجله على لقبه ..

وحمل صوته رنة فخر ، وهو يضيف :

ــ لقب (رجل المستحيل) .

سألته فى لهفة أكثر :

ــ لقد شن حربًا على رجال (هيل آرت) .. أليس كذلك ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ــ بل فعل ما هو أكثر خطورة من هذا .

توقفت ، هاتفة :

ــ (قدرى) .. ما تفعله بى ليس عدلاً .

أعاد الملف إلى مكتبه ، وأغلقه بالمفتاح فى إحكام ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وماذا عما تفعلينه أنت بى ؟!.. قلت لك إننى جائع للغاية .

زفرت (منى) مرة أخرى فى استسلام ، وعقلها يطرح ألف سؤال وسؤال ، والفضول يلتهمها ؛ لمعرفة ما الذى فعله (أدهم) ، فى مواجهة جيش (هيل آرت) ؟!

ولكن أسئلتها ظلت بلا جواب ..

حتى موعد الجزء التالى من الملف .

الجزء الأكثر إثارة ..

بكثير .

* * *

(نهاية الفصل الثانى)

الفصل الثالث والأخير

الذئـــاب

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ ماذا ؟!..

سال لعاب (قدرى) ، فى استمتاع مسبق ، وهو يضع أطباق العشاء على المائدة ، فى منزله الصغير ، وشمر ساعديه فى حماس ، وكأنه يهم بخوض مباراة قوية ، مغمغمًا :

ـ هذه هى الحياة .. وجبة شهية ، تثقل المعدة ، قبيل النوم مباشرة ..

استعد للانقضاض على وجبته ، عندما ارتفع فجأة رنين جرس الباب ، فانعقد حاجباه فى ضيق ، مع غمغمته :

ـ أى موعد سخيف هذا ؟!..

تردد لحظة ، ثم قرر تجاهل ذلك الزائر المفاجئ ، والمضى قدمًا فى موقعة العشاء ، باعتبارها ساعة بطون ، ينبغى أن تتوقف عندها العقول ، من وجهة نظره ..

ولكن جرس الباب ارتفع مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

كان من الواضح أن القادم شديد الإلحاح على الدخول ، مما جعله يتمتم فى سخط ، وهو ينهض إلى الباب :

ـ هذا ليس عدلاً .. إنه موعد العشاء ، وليس وقتًا للزيارة ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، مع ارتفاع حاجبيه من فرط الدهشة ، وهو يحدق فى وجه (منى) ، هاتفًا :

ـ أنت ؟!..

بدا عليها الحرج ، وهى تقول :

ـ أعلم أنه ليس وقتًا مناسبًا للزيارة ، ولكن هاتفك مغلق ، و ...

قاطعها هو هذه المرة فى ذعر :

ـ ماذا حدث ؟!..

هزت كتفيها ، مجيبة بنفس الحرج :

ـ لا شىء .. لا تقلق .. كل ما فى الأمر هو أننى .. أننى ..

ترددت طويلاً ، فانزاح قلقه وذعره ، ووثبت بدلاً منهما ضحكة خبيثة إلى عينيه ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لم تستطيعى النوم .. أليس كذلك ؟!

بدا وكأنه قد أزال حاجز الحرج بينهما بسؤاله ، إذ هتفت فور انتهائه منه :

ـ لقد توقفت فى موقف شديد الصعوبة .. عقلى لا يكف عن التساؤل ، عما فعله (أدهم) هناك .. فى أحراش (البرازيل) ..

انطلقت منه فجأة قهقهة عالية ، وهو يفسح لها الطريق ، قائلاً :

ـ كنت أعلم هذا .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تدلف إلى المكان ، قائلة :

ـ لم أستطع الانتظار للصباح ، فلم يكن من الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، على نحو جعله يسألها فى دهشة ، وهو يغلق الباب :

ـ ماذا حدث ؟!

هتفت منزعجة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هز كتفيه ، وهو يعود إلى المائدة ، قائلاً :

ـ عشائى .

هتفت مستنكرة :

ـ كل هذا ؟!.. أأنت واثق من أنك لم تدع فريق كرة سلة مثلاً ؟!

رفع سبابته ، وهو يتقمص الوقار ، قائلاً :

ـ ليس هناك أفضل من طعام دسم فى العشاء .

أجابته فى شىء من الحدة :

ـ وماذا عن قلبك ؟!.. وزنك الزائد هو تهديد مباشر له من الأساس ، وكل أطباء العالم يخالفونك الرأى ؛ إذ لا يوجد أكثر ضررًا من عشاء دسم .

عاد يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ دعيهم يقولون ما يحلو لهم .. ألا ترغبين فى الانضمام لى ؟!

حدقت فيه ذاهلة ، وهو يتناول ذلك العشاء المخيف ، ثم جلست عند الطرف البعيد للمائدة ، وهى تقول :

ـ كلا بالتأكيد .. هذا المشهد وحده أصاب معدتى بدوار .

أطلق ضحكة مكتومة بالطعام ، فاندفعت تقول فى لهفة :

ـ هيا .. أخبرنى ماذا حدث ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أشار إليها بيده أن تنتظر ، حتى ينتهى من ابتلاع كومة من الطعام ، انحشرت فى حلقه ، ثم قال :

ـ الملف هناك فى الإدارة .. أنت تعلمين أنه من المحظور تمامًا خروج أية ورقة من هناك(*)

قالت بنفس اللهفة :

ـ ولكنك قرأته كله ، وتعلم ماذا حدث .

أجاب فى سرعة ، وهو يلتهم قطعة كبيرة :

ـ بالتأكيد .

هتفت ، واللهفة تكاد تلتهمها :

ـ أخبرنى إذن .

أومأ برأسه إيجابًا ، وانتظر حتى ابتلع تلك القطعة الضخمة ، و ...

وبدأ يروى ..

* * *

(*) حقيقة .

استعاد سير (وينسلوت) وعيه فجأة ، وسط تلك الأحراش البرازيلية ، على صوت هدير عدد من طائرات الهليوكوبتر ، يحوم حول المكان ، ومع النظرة الأولى ، أدرك أنه فريق (هيل أرت) للطوارئ ، وقد هب لتلبية نداء التدمير ، الذى يعنى أنه هناك خطر داهم قد حاق بالموقع (صفر) ..

ودون إضاعة ثانية واحدة ، ضغط (وينسلوت) زرًا دقيقًا فى ساعته ، وهتف عبرها :

ـ سير (وينسلوت) .. صفر .. ثلاثة .. سبعة .. صفر .. حددوا موقعى .

أتاه صوت صارم يقول :

ـ ماذا حدث بالضبط يا سير (وينسلوت) ؟!.. أية كارثة تلك ، التى فعلت كل هذا .

أجاب فى صرامة مماثلة :

ـ التقطونى أولاً .. تلك الكارثة قد تطلق أنهارًا من الحمم ، قادرة على إفناء هذه الأحراش ، التى تحيط بى ، وليست لدى أية نية لانتظار هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

سادت لحظة من الصمت ، قبل أن يسأله ذلك الصوت الصارم ، عبر جهاز الاتصال الدقيق فى ساعته :

ـ وكيف وصلت إلى هنا ؟!

بدا السؤال وكأنه رصاصة مفاجئة ، اخترقت عقل سير (وينسلوت) بلا مقدمات ..

نعم .. كيف وصل إلى هنا ؟!..

أخر ما يذكره هو تلك المواجهة ، بينه وبين (أدهم صبرى) ، فى حجرة التحكم ، داخل المقر (صفر) ..

ثم يتوقف كل شىء ..

فماذا حدث ؟!..

وكيف وصل إلى هنا ؟!..

كيف ؟!..

تلفت حوله فى انزعاج ، وهو يضع عشرات الاحتمالات فى ذهنه ، حتى قال صاحب الصوت الصارم فى قسوة :

ـ إنك لم تجب سؤالى .

استعاد سير (وينسلوت) طبيعته الإنجليزية الباردة ، وهو يجيب :

ـ وأنتم لم تهبطوا لالتقاطى بعد .

ساد الصمت حالة الاتصال لحظات ، ثم قال صاحب الصوت الصارم :

ـ أعطنى كود الإنقاذ السرى .

كانت الحمم قد بدأت تتدفق فى المكان بالفعل ، وهو يجيب :

ـ سبعة آلاف وستمائة وسبعة .. ثم صفران .

أجابه صاحب الصوت الصارم فى اقتضاب :

ـ استعد .

ارتفع هدير الحوامات ، وهى تنطلق نحو المقر ؛ لتدور حول البركان ، الذى كان من الواضح أنه يثور بالفعل ، فى حين انفصلت عنها واحدة ، راحت تتعقب إشارة ساعة سير (وينسلوت) ، قبل أن تتوقف فوقه مباشرة ، وتغمره بضوء كشافها السفلى ، ثم تلقى إليه سلما من الحبال ، التقط طرفه ، وراح يتسلقه فى خفة ، ربما لا تتناسب مع سنه ..

www.dvd4arab.com

فى تلك اللحظة ، كان سائق السيارة رباعية الدفع قد بلغ مبلغه ، ولم تعد أعصابه تحتمل هذا التوتر ، وخصوصًا مع مقدم سرب طائرات الهليوكوبتر ، فغمغم ، وهو يثب إلى سيارته :

ــ لا .. لن أبقى أكثر من هذا ، حتى ولو كانوا سيدفعون ثلاثة أضعاف المبلغ .

أدار محرك سيارته بالفعل ، واختلس نظرة إلى أعلى ، متابعًا حركة طائرات الهليوكوبتر ، التى أكملت دورتين حول البركان ، ثم انطلقت للحاق بتلك التى تحمل سير (وينسلوت) ، والتى انطلقت فى اتجاه العاصمة البرازيلية ، ثم غمغم فى عصبية ، وهو يستعد للانطلاق :

ــ ولا حتى أربعة أضعاف .

فاجأه صوت صارم على مقربة ، يقول :

ــ وماذا عن خمسة أضعاف ؟!

انتفض جسده ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى دهشة كبيرة ..

دهشة بلا حدود ..

فعليًا ..

* * *

لم يكد مدير المخابرات المصرية يدخل إلى مكتبه ، فى الصباح الباكر ، حتى لحق به نائبه ، وهو يقول :

ــ أخبار عاجلة من (البرازيل) .

جلس مدير المخابرات خلف مكتبه ، وهو يسأل فى اهتمام ، جمع معه القلق والتوتر :

ــ ماذا جاء ؟!

ارتسمت على ركن شفتى النائب ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

ــ لقد نجوا .

ارتفع حاجبا المدير لحظة ، قبل أن يقول مبتهجًا :

ــ حقًا ؟!.. هل خرجوا أحياء ، من قلب ذلك الجحيم ؟!

تردد النائب لحظة ، وهو يقول :

ــ ليسوا جميعهم .

عاد حاجبا المدير ينعقدان ، وهو يقول :

ــ ماذا تعنى بليس جميعهم ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

التقط النائب نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب ، وهو يضع مظروفًا كبيرًا ، أمام المدير :

ـ هذا تقرير الملحق العسكرى ، فى سفارة (مصر) فى (البرازيل) ، وقد شرح فيه كل شىء .

أزاح المدير المظروف جانبًا ، وهو يسأله فى توتر :

ـ من منهم لم ينج ؟!

تردد النائب لحظة ، فعاد المدير يسأله فى صرامة :

ـ من ؟!

تواصل تردد النائب لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ الرائد (أدهم) ..

اتسعت عينا المدير ، وهو يهتف ، بكل دهشة الدنيا :

ـ ولكن كيف ؟!

كانت هذه هى العبارة نفسها ، التى هتفت بها (منى) فى انزعاج ، عندما بلغ (قدرى) هذا القدر من روايته ، فنهض هذا الأخير ، وهو يقول :

ـ كيف ماذا ؟!

قلبت كفيها فى حيرة ، قائلة :

ـ كيف لم ينج ؟!.. لقد كنت أتوقع صراعًا جهنميًا عنيفًا ، وسط أحراش (البرازيل) .. (أدهم) وزميلاه فى مواجهة جيش (هيل أرت) بأكمله .. توقعت صراعًا لا مثيل له ، خاصة وأنك أخبرتنى أن تلك العملية ، هى التى منحت (أدهم) لقبه .

أشار بسبابته ، وقال ، قبل أن يحمل كومة الأطباق الفارغة إلى المطبخ :

ـ ولكننى لم أقل إنه قاتل جيشًا وسط الأحراش .

بدت أكثر حيرة ويأسًا ، وهى تقول :

ـ لماذا تصيبنى هذه المغامرة بكل الحيرة ؟!

أجاب مبتسمًا :

ـ لأنك فقدت فضيلة الصبر .

غمغمت فى أسى :

ـ الصبر ؟!.. مع كل هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم الصبر .. وفى كل المواقف ، كما تدربت .

ثم اتجه ليغسل يديه جيدًا ، مع إضافته الهادئة :

ـ الآن ، ونحن نتناول قدحين من الشاى فى الشرفة ، ساخبرك بكل شىء ، وسأفسر لك كل ما لا تفهمينه .

غمغمت :

ـ الواقع أننى لم أعد أفهم شيئًا .

قهقه ضاحكًا ، وقال :

ـ دقائق وتفهمين كل شىء .

سألته فى أسى :

ـ أمن الضرورى أن أنتظر ، حتى تنتهى من إعداد الشاى ؟

صمت لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ كلا ..

ثم عاد يروى ..

* * *

« أريد معرفة كل التفاصيل .. »

قالها مدير المخابرات البرازيلى فى صرامة ، هى أقرب إلى القسوة ، وهو يجلس على مقعد فاخر وثير ، فى مواجهة سير (وينسلوت) ، الذى أبدل ثيابه ، واستعاد أناقته الشهيرة ، مع بروده الأسطورى ، والذى بدا واضحًا فى لهجته ، وهو يجيب :

ـ أية تفاصيل يا جنرال ؟!

مال الجنرال (بدروس) نحوه ، وهو يقول فى قسوة أكثر :

ـ تفاصيل ما أدى إلى تدمير المقر (صفر) أيها البريطانى .

ارتسمت ابتسامة باردة على شفتى (وينسلوت) ، وهو يقول :

ـ لست بريطانيًا عاديًا يا جنرال .

زمجر الجنرال (بدروس) ، وهو يقول :

ـ ربما يكون هذا صحيحًا هناك ، فى وطنك يا هذا ، أما هنا ، فأنت فى أرضى أنا .

قال (وينسلوت) فى برود :

ـ أيعطيك هذا الحق فى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

قاطعه بزمجرة مخيفة :

ـ لا تنس موقفك أيها البريطانى .. ربما اقتنع كل رجالك بأنك الزعيم الفعلى للمنظمة ، ولكن كلينا فقط يعلم أننى أنا الجنرال (بدروس) ، مدير المخابرات البرازيلية ، الزعيم الفعلى لمنظمة (هيل آرت) القوية .

تطلع إليه (وينسلوت) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ وهى معلومة تساوى مليارات .

انعقد حاجبا الجنرال ، فى غضب واضح ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

تجاهل (وينسلوت) سؤاله تمامًا ، وهو يقول :

ـ ألا تريد معرفة سبب ما حدث فى المقر (صفر) ؟! .

حافظ حاجبا الجنرال على انعقادهما ، وهو ينظر إليه فى غضب ، فتابع (وينسلوت) ، دون أن يفقد هدوءه :

ـ قد يدهشك أن تعلم أن كل هذا بسبب مصرى واحد .

قال الجنرال فى لهجة ، بدت وكأنها قد اعتادت الصرامة :

ـ ذلك الذى اقتحم قصرك فى (لندن) ؟!

أشار (وينسلوت) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

تضاعفت علامات الغضب ، فى وجه الجنرال ، وهو يشير إلى (وينسلوت) ، صائحًا :

ـ هذا يعنى أنه خطؤك .. لم يكن ينبغى أن تحمله إلى المقر (صفر) ، مادمت تعرف قدراته .

تطلع إليه سير (وينسلوت) لحظات بنفس البرود ، قبل أن يقول :

ـ لو أنك فى موضعى ، لكنت أنا من يوجه إليك الاتهام الآن .

احتقن وجه الجنرال ، وهو يحدق فيه فى غضب ، قبل أن ينهض فجأة من مقعده بحركة حادة ، قائلاً :

ـ قبل أن نواصل حديثنا هذا ، دعنا نضع أولاً بعض النقاط على الحروف ، حتى نحسم وسائل التعامل بيننا .

تراجع (وينسلوت) ، متطلعًا إليه فى برود ، فتابع هو ، بنفس الصرامة الغاضبة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنت الآن لست فى قصرك ، أو فى مجلس العموم البريطانى ، مما يعنى أنك لست فى موطن قوتك .. أنت هنا ، فى مقر المخابرات البرازيلية ، ودون أى مستند رسمى ، يثبت أنك قد دخلتها ، ومن يتحدّث إليك الآن ، هو زعيمك الفعلى ، وزعيم منظمة (هيل أرت) ، بكافة فروعها ، فى جميع أنحاء العالم ، مما يعنى ضمنيًا ، أننى أقوى رجل فى العالم فعليًا .. باختصار ، أنت تجلس فى حضرة أقوى رجل ، داخل أكثر الأماكن سرية ومناعة .

سأله (وينسلوت) بنفس البرود :

ـ وما الذى يقودنا إليه هذا ؟!

مال نحوه بغتة ، وصرخ بكل قوته :

ـ أن تصمت ، وتسمع ، وتطيع .

مضت لحظات ، وكلاهما يحدق فى عينى الآخر مباشرة ، قبل أن يتراجع (وينسلوت) ، مغمغمًا :

ـ فليكن .

التمعت عينا الجنرال (بدروس) بالتماعة النصر ، واعتدل فى وقفته ، قائلاً :

ـ فليكن .

ثم عاد إلى مقعده فى هدوء ، وهو يسأل :

ـ وهل لقى ذلك المصرى مصرعه ، فى المقر (صفر) ؟!

هز (وينسلوت) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يجيب :

ـ لست أظن هذا .

انعقد حاجبا الجنرال ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ـ لقد أفقدنى الوعى هناك ، فى حجرة التحكم ، ثم استعدته لأجد نفسى وسط الأحراش ، ولا تفسير لهذا ، إلا إذا كان هو من نقلنى إليها .

سأله الجنرال ، وهو يميل نحوه :

ـ وأين ذهب بعدها ؟!

هز (وينسلوت) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

تراجع الجنرال فى بطء ، وظل يحدق فيه لحظات ، قبل أن يقول :

ــ رجالى تحروا الأمر جيدًا ، ووجدوا سائقًا ، أقر بأنه قد نقل أجنبيين ، إلى منطقة تبعد ميلين فقط ، عن ذلك البركان ، الذى يخفى المقر (صفر) ، ثم أقر بعدها أنه قد أعاد ثلاثة رجال إلى نقطة على مشارف الأدغال ، حيث كانت فى انتظارهم سيارة ، تحمل أرقامًا ديبلوماسية .

سأله (وينسلوت) فى اهتمام :

ــ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه فورًا :

ــ ذلك المصرى قد حصل على دعم من سفارته .. وليس بالتأكيد دعمًا عاديًا ، فقد اعترف ذلك السائق ، بأن الأجنبيين اللذين أقلهما فى البداية ، هبطا إلى موقعه وسط الأحراش بمظلتى هبوط ، وفى دقة تثبت أنهما محترفين .

اعتدل سير (وينسلوت) ، وهو يقول :

ــ أمر مثير بالفعل .. وأين ذهب الرجال الثلاثة بعدها ؟!.. إلى السفارة المصرية ؟!

هز الجنرال رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ضيق :

ــ مراقبونا لم يرصدوا هذا قط .. من الواضح أن تلك السيارة الديبلوماسية قد حملتهم إلى مكان آخر .

سأله سير (وينسلوت) ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة :

ــ مثل ماذا ؟!

أجابه فى صرامة :

ــ أنا فى انتظار الجواب .

ارتفع رنين هاتفه الخاص فى تلك اللحظة ، فالتقطه بحركة سريعة ، ووضعه على أذنه فى صمت ، وأشار انعقاد حاجبيه إلى أنه يتلقى معلومات بالغة الأهمية والخطورة ..

ثم فجأة ، ارتفع حاجباه ، على نحو أقرب إلى الذهول ، حتى كادا يقفزان إلى منتصف رأسه ..

فقد كان ما يتلقاه من معلومات مذهلاً ..

إلى أقصى حد ..

* *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ هجـــوم ..

« لماذا ؟!.. »

ألقى (قدرى السؤال فى اهتمام ، وهـو يتطلّـع إلـى وجـه (منى) ، الذى خلا من الحماس أو كاد ، فرفعت عينيهـا إليـه بدورها ، متسائلة :

ـ لماذا ماذا ؟!..

مال نحوها ، وهو يسأل :

ـ لماذا يبدو عليك هذا الإحباط ؟!..

تردّدت لحظة ، قبل أن تقول :

ـ الواقع أننى قد اعتدت ، فى كـل عمليـات (أدهـم) ، أن تتصاعد الإثارة ، كلما توغّلنا فى العملية ، ولكن الأمور تبدو كما لو أنها قد هدأت فجأة .

ابتسم ابتسامة متعاطفة ، ثم داعب طرف أنفهـا فـى حنـان أبوى ، قائلاً :

ـ ربما لأنك قد فقدت بالفعل فضيلة الصبر .

بدت اللهفة فى صوتها ، وهى تسأل :

ـ أتعنى أنه هناك مفاجأة ما ؟!..

اعتدل بابتسامة عريضة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ودون أن تسأله ، اندفع يروى ..

* * *

لم يكد (دافيد جراهام) ، يهبط فى مطار (برازيليا) ، حتـى استقبله الملحق العسكرى الإسرائيلى هناك ، وهو يقـول ، فـى همس شديد التوتر :

ـ تطورات عديدة حدثت ، فـى الـساعات الـست الأخيـرة يا سيدى .

سأله (جراهام) ، وهو يدلف إلى السيّارة التى تنتظره :

ـ أخبرنى بها كلها .

جلس الملحق العسكرى إلى جواره ، وهو يقـول ، وتـوتره يبدو أكثر وضوحًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد انفجر ذلك البركان ، فى قلب أحراش البرازيل ، على نحو لم يبد طبيعيًا أبدًا ، حتى إن التقارير الرسمية الأولية تصفه بأنه ثورة بركانية غير متوقعة ، أبادت مساحة هائلة من الأحراش .

التفت إليه (جراهام) ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

ـ هل تصورت أننى قد قطعت كل هذه المسافة ، من (أوربا) إلى هنا ؛ لسماع التقارير الجيولوجية الرسمية .

أشار الملحق العسكرى بسبابته ، وقال فى توتر متزايد :

ـ مراقبونا رصدوا سربًا من الطائرات ، حلق فوق البركان ، بعد قليل من انفجار ثورته ، ورصدوا انفصال طائرة منه ، لتلتقط ما بدا أنه شخص ما ، من بين الأحراش .

بدا الاهتمام الشديد ، فى ملامح (جراهام) وصوته ، وهو يسأله :

ـ أهو ذلك المصرى ؟!

هز الملحق العسكرى رأسه نفيًا ، وهو يلتقط من جيبه صورة ، قدمها لرجل (الموساد) ، قائلاً :

ـ هذه أكثر الصور ، التى تم التقاطها وضوحًا .

انعقد حاجبا (جراهام) ، وهو يتطلع إلى صورة سير (وينسلوت) ، وهو يتسلق سلم الحبال إلى الهليوكوبتر ، وغمغم :

ـ ما الذى أدى به إلى هذا الموقف ؟!

صمت لحظات ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، ثم سأل الملحق العسكرى فى اهتمام شديد :

ـ إلى أين حملته تلك الهليوكوبتر ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لقد تم رصدها ، وهى تهبط فى ساحة مبنى المخابرات البرازيلية ، منذ ثلاث ساعات .

ازداد حاجبا (جراهام) انعقادًا ، وهو يقول :

ـ أيعنى هذا أن المخابرات البرازيلية قد كشفت علاقته بمنظمة (هيل آرت) ؟!..

بدا توتر الرجل أكثر وضوحًا ، وهو يقول :

ـ لا يمكن حسم هذه الجزئية الآن ، ولكن الأهم هو أنه ، فى نفس التوقيت تقريبًا ، أو بعده بقليل ، رصد أحد جواسيسنا وصول

Looloo
www.dvd4arab.com

ثلاثة رجال ، فى هليوكوبتر استأجرتها السفارة المصرية ، إلى مطار صغير فى (ساو باولو) ، حيث كانت فى انتظارهم طائرة ، أقلعت بهم فور وصولهم إليها ، دون أن تعلن عن وجهتها .

تطلع إليه (جراهام) لحظات ، فى حيرة غاضبة ، قبل أن يقول ، فى شىء من العصبية :

ـ ألهم أية علاقة بما يحدث ؟!

أجابه الرجل بنفس السرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم أخرج من جيبه صورة أخرى أقل وضوحًا ، ناولها لرجل (الموساد) ، وهو يقول :

ـ هذه هى الصورة ، التى التقطها لهم جاسوسنا ، قبل أن يستقلوا الطائرة .

اختطف (جراهام) الصورة من يده اختطافًا ، ولم يكد يحدق فيها ، حتى بلغ اتساع عينيه أقصاهما ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ مستحيل !..

فمن الناحية العملية والمنطقية ، كان ما يراه أمامه مستحيلاً بحق ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« ما الذى رسم هذه الملامح العجيبة على وجهك ؟!.. »

ألقى سير (وينسلوت) السؤال ، بكل هدوئه المستفز ، على الجنرال (بدروس) ، الذى أعاد سماعة الهاتف إلى موضعها فى بطء ملحوظ ، وهو يجيب :

ـ معلومة وصلتنى عبر الهاتف ، من أحد رجالى ، المنتشرين فى كل بقاع (البرازيل) .

حمل برود (وينسلوت) لمحة ساخرة ، وهو يقول :

ـ لا ريب فى أنها معلومة مزعجة للغاية .

ظل الجنرال يحدق فيه لحظة ، ثم نهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ أكثر مما تتصور .

Looloo
www.dvd4arab.com

واتجه نحو (وينسلوت) ، وراح يدور حوله مكملاً :

ـ فمنذ عدة ساعات ، تم رصد تحليق غير رسمى ، لطائرة صغيرة ، ذات ستة مقاعد ، من مطار فى (ساو باولو) .. لم تعلن الطائرة عن وجهتها ، ولكنها كانت تضم ثلاثة رجال فحسب ، إلى جوار طاقمها .

تواصلت رنة السخرية فى صوت (وينسلوت) البارد ، وهو يقول :

ـ أهذا أمر مزعج إلى هذا الحد ؟!

تجاهل الجنرال التعليق تمامًا ، وهو يواصل الدوران حوله ، متابعًا :

ـ ووفقًا لتعليماتى ، قام رجالى بالتقاط صور واضحة للرجال الثلاثة ، وهذه الصور كانت لرجلين متينى البنيان ، توحى ملامحهما بأنهما شرق أوسطيان ، وكان من الواضح أن الثالث يسير بينهما مرغمًا .

ثم سحب مسدسه فى حذر ، وهو يقف خلف (وينسلوت) تمامًا ، وصمت لحظة ، صوبه خلالها إلى مؤخرة رأس هذا الأخير ، مضيفًا فى صرامة :

ـ لأن ذلك الثالث هو ...

فجأة وقبل أن يكمل عبارته ، خيل إليه أن التوازن الزمنى فى الحجرة قد اختل على نحو مباغت إذ وثب (وينسلوت) بخفة مذهلة من مقعده ، ودار حوله فى رشاقة يستحيل أن يمتلكها رجل فى مثل سنه ، وأمسك معصم الجنرال بأصابع من فولاذ ، وهو يقول فى سخرية شديدة ، وبصوت لا يشبه حتمًا صوت سير (وينسلوت) الحقيقى :

ـ سير (وينسلوت) .. أليس كذلك ؟!

انتفض جسد الجنرال (بدروس) ، من فرط المفاجأة ، وانطلقت من حلقه آهة ألم ودهشة ، على الرغم منه ، عندما لوى خصمه معصمه ، وأجبره على إفلات مسدسه ، ثم التقطه فى خفة ، واعتدل ممشوقًا ، وهو يكمل ، بصوت (أدهم) الأصلى :

ـ المعلومة التى وصلتك صحيحة يا جنرال .. ذلك الوغد فى طريقه الآن إلى (مصر) ؛ ليدفع فيها ثمن غروره وغطرسته ، وشعوره بقوة لا يمتلكها .

بكل ذهول الدنيا ، حدق فيه الجنرال (بدروس) ، مغمغمًا فى صعوبة :

www.dvd4arab.com

ـ ولكن هذا مستحيل !.. إننى أعرف سير (وينسلوت) جيدًا ، منذ عدة سنوات .. منذ أنشأت هذه المنظمة .. ولقد تصورت طوال الوقت أنك هو .. الهيئة .. والصوت .. حتى اللكنة البريطانية ، والبرود ، والغطرسة .

رفع (أدهم) سبابته ، وهو يقول فى سخرية :

ـ أخشى لو واصلت هذا ، لمنحونى جائزة (الأوسكار) ، على حسن الأداء .

غمغم الجنرال بنفس الذهول :

ـ ولكن شفرة الاتصال .. وكود الإنقاذ .. لقد أخبرنا بهما .. من المستحيل أن تكون قد نجحت فى انتزاعهما منه .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ ولماذا أفعل ؟!.. لقد تركت ذلك الوغد يستعيد وعيه ، ويجرى اتصالاته معكم ، بكل الشفرات والأكواد السرية ، ثم أفقدته الوعى بعدها ، وانتحلت هيئته فى حين كنتم تأتون لانتشاله من الأحراش ، وتركته لزميلى هناك .

عادت عينا الجنرال تتسعان ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

ثم انتفض جسده فى غضب ، وقال فى حدة مباغتة :

ـ فليذهب (وينسلوت) إلى الجحيم ، ولكن هذا لا يعنى أنك قد ربحت المعركة .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

أجابه ، وحدته تتصاعد :

ـ أطلق على النار لو أردت ، ولكنك لن تغادر هذا المكان حيًا ؛ فمن يدخل مكتبى ، لا يغادره إلا بأوامرى .

هز (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى استهتار :

ـ يا إلهى !!.. لقد أفزعتنى .

ثم مال على جهاز الاتصال ، الموضوع على مكتب الجنرال ، وضغط زره ، قائلاً :

ـ سيخرج سير (وينسلوت) من مكتبى بعد دقيقتين ، أعدوا سيارة لنقله إلى حيث يريد ، وليصحبه حارسى الخاص إليها .

Looloo www.dvd4arab.com

والعجيب أن الجنرال لم يقاطعه بحرف واحد ، وهو ينطق كل هذا ..

لم يقاطعه ؛ لأنه كان يحدق فيه فى ذهول ، ما بعده ذهول ، وهو يلقى أوامره هذه ، بصوته هو شخصيًا ..

وكانت هذه قدرة تبدو بالنسبة إليه مذهلة ..

بحق ..

ولقد أنهى (أدهم) حديثه ، وأغلق جهاز الاتصال ، وابتسم قائلاً :

ــ وهكذا ، وبناءًا على أوامرك شخصيًا ، سيغادر سير (وينسلوت) ، الذى مازلت أنتحل هيئته ، حصنك المنيع هذا ، بصحبة حارسك الخاص ، وفى واحدة من سياراتكم ، تنقله إلى حيث يشاء .

انعقد حاجبا الجنرال ، وهو يقول فى غضب :

ــ مستحيل !

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :

ــ دعنا نختبر هذا بأنفسنا .

هتف الجنرال ، بكل غضب الدنيا :

ــ ومن سيسمح لك ؟!

قالها ، ووثب فجأة نحو مقعد جانبى ، وضربه بقدمه فى عنف ..

وهنا ، انطلقت صفارات الإنذار ، فى حصن المخابرات البرازيلية ..

انطلقت ؛ لتعلن إشارة وجود خطر رهيب ..

فى مكتب الجنرال (بدروس) ..

شخصيًا ..

* * *

صفقت (منى) بكفيها فى جزل ، عندما بلغ (قدرى) هذه المرحلة من روايته ، وهتفت ، مستعيدة حماسها كله :

ــ رائع .. كنت أتوقع هذا ، ولكننى أستمتع بسماعه جدًا .

سألها (قدرى) فى دهشة :

ــ كنت تتوقعين أن ينتحل (أدهم) شخصية سير (وينسلوت) ؟!

أجابته بابتسامة كبيرة :

ــ بعد هذه السنوات ، أصبحت أتوقع من (أدهم) أى شىء .

Looloo
www.dvd4arab.com

هز كتفيه المكتظتين بنفس الدهشة ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى لم أتوقع هذا قط ، عندما قرأت الملف للمرة الأولى ، وخاصة مع تلك الشفرات والأكواد السرية ، التى تبادلها سير (وينسلوت) مع منقذيه ، والتى لم يذكر الملف أن (أدهم) قد حصل عليها مسبقًا .

مالت نحوه ، وأشارت بسبابتها ، قائلة ، والمرح يتراقص فى عينيها :

ـ لقد قلتها بنفسك .. لا أحد يستطيع أن يتوقع تصرفات (أدهم) أبدًا .

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ أنت على حق بالتأكيد .

اعتدلت تسأله فى اهتمام :

ـ لقد تنكر فى هيئة الجنرال (بدروس) ، وغادر المكان .. أليس كذلك ؟!

صمت لحظة ، ثم هز رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليت الأمر بهذه البساطة .

سألته فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب فى حسم :

ـ (أدهم) لم يكن قد التقى بالجنرال (بدروس) هذا من قبل ، ولم تكن لديه الأدوات اللازمة ؛ لصنع قناع لوجه ، ثم إن انطلاق صفارات الإنذار جعل الجميع ، فى حصن المخابرات البرازيلية ، يدركون أن رئيسهم فى خطر ، ووفقًا لما تدربوا عليه ، كان عليهم اقتحام مكتبه ، وبأقصى سرعة .

تراجعت ، قائلة بأنفاس مبهورة :

ـ ماذا فعل (أدهم) إذن ؟!..

ابتسم مجيبًا :

ـ سأخبرك .

وبدأ يخبرها ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ألقى قائد حرس مبنى المخابرات البرازيلى نظرة باردة ، على جواز السفر الديبلوماسى الإسرائيلى ، قبل أن يرفع عينيه إلى وجه صاحبه ، قائلاً :

ـ يبدو أنك قد أخطأت الهدف يا سيد (جراهام) .. هذه ليست وزارة الخارجية .

شد (جراهام) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى حزم :

ـ مع احترامى لك ، أعلم جيدًا أننى أقف أمام المبنى الرئيسى للمخابرات البرازيلية ، ولقد قصدته مباشرة ، ودون موعد سابق ؛ لأن الأمور تتطور بسرعة ، ويتعين على مقابلة الجنرال (بدروس) فورًا ، قبل أن تسوء الأمور أكثر .

انعقد حاجبا قائد الحرس ، وهو يسأله :

ـ تسوء من أية ناحية ؟!

هز (جراهام) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـ هذا ما يتحتم أن أخبر به الجنرال (بدروس) شخصيًا .. ولكن ينبغى أن تعلم أمرًا واحدًا ..

ثم مال نحو الرجل ، مضيفًا بلهجة خاصة :

ـ إنها ستسوء من أكثر النواحى خطورة ..

تضاعف انعقاد حاجبى قائد الحرس ، وهو يتطلع إليه مليًا ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ انتظر حتى أخبر الجنرال بهذا .

ارتسمت ابتسامة باهتة ، على شفتى (جراهام) ، وهو يقول :

ـ سأنتظر .

أشار قائد الحرس إلى أحد جنوده ، فاصطحب (جراهام) إلى حجرة انتظار صغيرة ، مجاورة للباب ، غمغم هذا الأخير ، وهو يدلف إليها :

ـ ألا ينبغى أن تنفقوا القليل من ميزانيتكم على المظهر العام ؟!

نطقها بالعبرية ، فلم يفهمها الجندى ، ولكنه ظل واقفًا بالباب ، حتى اتجه (جراهام) إلى أريكة قديمة ، لم يكد يجلس عليها ، حتى انطلقت صفارات الإنذار فى المبنى فجأة ، فهتف فى انزعاج ، وهو يثب من مكانه :

ـ لقد فعلها .

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتفعت فوهة مدفع الجندى نحوه ، فى حركة سريعة ، تدخل ضمن حالة التوتر ، التى سادت المكان ، مع إعلان الطوارئ المباغتة ، فهتف به ، وهو يعود إلى مقعده فى توتر :

ــ رويدك يا رجل .. لست أنا الهدف المنشود .

وانعقد حاجباه فى عصبية ، وهو يغمغم لنفسه :

ــ ولكن لو أن صفارات الإنذار قد انطلقت ، للسبب الذى أتوقعه ، فالتوتر الحقيقى لم يبدأ بعد .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عباراته ، كان طاقم أمن مكتب الجنرال ، يقتحم حجرة هذا الأخير ، وهو يشهر أسلحته فى تحفز كامل ، واستعداد لإطلاق النار ، على كل ما يتحرك ..

ولكن ما وجدوه كان مفاجئًا لهم ..

للغاية ..

فعلى الرغم من عدم وجود أية مخارج للحجرة ، باستثناء بابها الرئيسى ، وتلك النافذة الكبيرة ، المطلة على ساحة المبنى ، كانت الحجرة خالية ، إلا من الجنرال الملقى أرضًا فاقد الوعى ..

وفى توتر مندهش ، أدار قائد المجموعة عينيه فيما حوله ، وهتف :

ــ كان هنا رجل آخر .. لقد أوصلته بنفسى .

هتف أحد رجاله ، مشيرًا إلى فتحة التهوية ، أعلى الجدار :

ــ سيدى .

انتقل بصر قائد المجموعة إلى تلك الفتحة بسرعة ، ولاحظ أن حاجزها ملقى أرضًا أسفلها ، فصاح برجاله :

ــ سيبقى رجلان هنا ؛ لحماية الجنرال ، وليفحص ثالث دورة مياهه الخاصة ، وليطلق الرجال قاذفات اللهب ، عبر ممرات التهوية ، فلو أن ذلك الرجل قد وجد فيها مخرجًا ، فسنحيلها إلى جحيم .. جحيم حقيقى .

قالها ، وانطلق خارج الحجرة ، فلحق به رجاله ، باستثناء الثلاثة ، الذين طلب منهم البقاء ، والذين تعاون اثنان منهم على نقل الجنرال إلى الأريكة الواسعة الفاخرة فى مكتبه ، فى حين انفصل الثالث ؛ ليفحص دورة مياهه الخاصة ، ويهتف بعدها ، فى لهجة عسكرية صرفة :

ــ المكان خال .

استدار ليعود إلى زميليه ، عندما انعقد حاجباه فجأة ، ورفع فوهة مدفعه الآلى فى تحفز ، صارخًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ خلف المكتب .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان (أدهم) يثب ، من خلف ركن مكتب الجنرال الضخم ، وينقض على الجندى ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، أزالت أنفه من الوجود ، وألقته مترين إلى الخلف ، ليرتطم بباب دورة المياه ، ويحطمه ، ويسقط معه أرضًا ، دون أن يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة ..

وفى سرعة تليق برجلى أمن محترفين ، استدار الجنديان الآخران يواجهان (أدهم) ، ويصوبان مدفعيهما نحوه ، و ...

ولكن هذا لم يكن متوافقًا أبدًا ..

صحيح أنهما تحركا بسرعة محترفين ..

ولكن (أدهم) تحرك أسرع ..

وأخف ..

وأقوى ..

بكثير ..

ودون الدخول فى التفاصيل ، فقد استغرقت المعركة ثلاث ثوان فحسب ، وانتهت بسقوط الجنديين أرضًا ، أحدهما بفك

مكسور ، والثانى بثلاثة أضلع خارجة من الخدمة ، وأنف تسيل منه الدماء فى غزارة ..

وللحظات ، توقف (أدهم) ثابتًا ، كتمثال من رخام ، وهو يرهف سمعه جيدًا ، حتى يتيقن من أن أحدًا لم ينتبه لما حدث ، ثم تحرك فجأة فى نشاط ، فانتقى أقرب الجنود الثلاثة قياسًا به ، واستبدل معه ملابسه فى سرعة ، ثم انتزع قناع سير (وينسلوت) ، وألقاه على مكتب الجنرال ، قبل أن يلتقط سلاحًا ، ويشد قامته ، ثم يتجه إلى الخارج ..

وفجأة ، سمع دوى رصاصة من خلفه ..

وشعر بعمود من النار ، يخترق ظهره ، ويدفعه أمامه ، ليرتطم بالجدار فى قوة .. ..

وعلى الرغم من آلامه ، والدماء التى نزفت من جرحه ساخنة ، استدار ينظر إلى ما خلفه ، وهو يشهر مدفع الجندى ..

وعلى الرغم من سرعة استدارته ، انطلق دوى رصاصة ثانية ، شعر بها تخترق فخذه اليسرى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وأمامه مباشرة ، رأى الجنرال (بدروس) ينهض من مكانه ، والغضب يملأ ملامحه ، وهو يحمل بيده مسدسًا صغيرًا ، كان يخفيه فى حذائه ..

وعلى بعد خطوت منه ، توقّف الجنرال ، ونظر إلى خصمه فى غضب شديد ، ثم رفع مسدسه الصغير ، وصوبه نحو رأس (أدهم) مباشرة ، و ...

وأطلق النار .

* * *

3 ـ فى الأسر ..

اندفع نائب مدير المخابرات المصرية ، إلى حجرة المدير ، الذى استقبله فى قلق شديد ، متسائلاً :

ـ ما الذى حدث ، ويستدعى كل هذه العجلة ؟!

أجابه النائب فى توتر شديد :

ـ صفارات الإنذار انطلقت فى مبنى المخابرات البرازيلية ، معلنة الطوارئ القصوى داخل المبنى ، ونحن نعلم أن الرائد (أدهم) هناك ، ينتحل شخصية سير (وينسلوت) .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يقول :

ـ وهذا لا يعنى سوى أمر واحد .

أكمل النائب بنفس التوتر :

ـ أنهم قد كشفوا أمره .

تراجع المدير فى مقعده معقود الحاجبين ، وراح يفكر فى عمق وتوتر ..

Looloo
www.dvd4arab.com

إنه موقف عصيب بحق ..

(أدهم) وحيدًا ، داخل أكثر أماكن (البرازيل) مناعة وحصانة ..

ووسط كل عمالقة مخابراتها ..

فى عقر دارهم ..

فكيف يمكنه الإفلات من هذا الموقف ؟!..

كيف ؟!..

كيف ؟!..

« هذا سيضعنا فى حرج دبلوماسى ، لا قبل لنا به .. »

قالها النائب ، فانتزع المدير من أفكاره ، وجعله يرفع بصره إليه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أى حرج ؟!.. (أدهم) لن يقر أبدًا بأنه يعمل لحسابنا ، حتى لو قطعوه إربًا ، ومن المؤكد أنه لا يحمل أى شىء ، يمكن أن يرشد إلى هويته ، ولا حتى إلى مصريته .

ثم قسا صوته ، وهو يضيف :

ـ والأهم هو أنه لا يعنينى أى حرج دبلوماسى الآن ؛ فكل ما يشغل نفسى هو (أدهم) نفسه .. كيف سيخرج من هذا الموقف ؟!.. كيف ؟!..

وكان هذا هو السؤال بالفعل ..

كيف ؟!..

* * *

على الرغم من إصاباته ، وآلامه ، والدماء التى تنزف من جراحه ، تحركت يد (أدهم) فى سرعة ؛ لتقبض على معصم الجنرال (بدروس) ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها هذا الأخير زناد مسدسه الصغير ..

وانطلقت رصاصة الجنرال ..

انطلقت ، ولكنها ، ومع رد فعل (أدهم) ، تجاوزت رأس هذا الأخير بسنتيمترات قليلة ، وهو يدفع الجنرال أمامه ، قائلاً :

ـ لم يفلح هذا أيها الوغد .

هتف به الجنرال ، وهو يقاومه فى شراسة :

ـ هذا الوغد سيلقنك أكبر درس فى حياتك !

Looloo
www.dvd4arab.com

لوى (أدهم) معصمه فى عنف ؛ ليجبره على إفلات مسدسه ، وهو يقول :

ــ أتعتقد هذا حقًا .

اندفع رجال أمن المكان داخل الحجرة ، فى تلك اللحظة ؛ استجابة لدوى الرصاصات ، وما أن شاهدوا رئيسهم يتقاتل مع (ادهم) ، حتى انقضوا على هذا الأخير فى عنف ..

واستدار (أدهم) لمواجهتهم ..

ولكنهم كانوا سبعة رجال ..

وكان هو مصابًا ..

وبشدة ..

صحيح أنه تبادل معهم بعض اللكمات والركلات ولكن ، فى حالته هذه ، لم يكن القتال متكافئًا ..

على الإطلاق ..

لذا فقد قاتل (أدهم) ..

وقاتل ..

وقاتل ..

ثم سقط فى النهاية ..

جسده البشرى لم يحتمل هذا القتال العنيف ، مع كل إصاباته ..

وعندما سقط وسط خصومه ، صوب إليه قائد مجموعة الأمن فوهة مدفعه ، و ...

« كلا .. »

أوقفه الجنرال فى صرامة ، وهو يمسك ماسورة مدفعه ، ويديرها بعيدًا عن رأس (أدهم) الفاقد الوعى ، وقال فى غضب واضح :

ــ لا أريده أن يموت ، دون أن يدرى ما أصابه .

سأله قائد الرجال :

ــ وماذا نفعل به يا جنرال ؟!

التمعت عيناه فى مقت ، وهو يقول :

ــ انقلوه إلى زنزانة مصفحة ، وأرسلوا الطبيب لتضميد جراحه .. أريده أن يكون سليمًا واعيًا ، عندما أبدأ فى تلقينه ذلك الدرس ، الذى وعدته به .

Looloo
www.dvd4arab.com

والتمعت عيناه أكثر ، مع إضافته :

ــ الدرس الذى لن ينساه فى حياته .. إذا ما تبقت لديه حياة .

وراحت التماعة عينيه تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

* * *

تململ (دافيد جراهام) فى مقعده ، داخل تلك الحجرة الصغيرة ، فى مدخل مبنى المخابرات البرازيلية ، ورفع عينيه إلى ذلك الجندى ، الذى مازال يصوب إليه مدفعه ، وغمغم :

ــ المفترض أن حالة الطوارئ قد انتهت .

ولم يجبه الجندى ، ولم يحاول حتى هذا ، وهو يواصل تصويب مدفعه إليه ، فعاد يلوذ بالصمت ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، حتى دخل إليه قائد الحرس ، يقول فى صرامة :

ــ الجنرال يصر على معرفة سبب الزيارة المفاجئة أولاً .

اعتدل (جراهام) فى سرعة ، وهو يقول :

أخبره أنها بشأن ذلك المصرى ، الذى سبب كل هذه الفوضى هنا .

ارتفع حاجبا قائد الحرس ، فى دهشة شديدة ، ابتسم معها (جراهام) فى ثقة ، مكملاً :

ــ وأننى سأخبره بالتفاصيل ، عندما ألتقى به .

عاد حاجبا قائد الحرس ينعقدان ، وهو يتطلع إليه لحظات ، قبل أن يسحب جهاز اتصاله من حزامه ، قائلاً :

ــ لحظات .

غادر المكان لحظات بالفعل ، ثم عاد يقول فى صرامة ، امتزجت بشىء من الاحترام :

ــ الجنرال فى انتظارك يا سيد (جراهام) .

لم تمض دقائق على هذا ، حتى كان الجنرال يستقبله فى مكتب إضافى ، وهو يقول :

ــ مرحبًا يا سيد (جراهام) ، معذرة لاستقبالك فى حجرة مكتب إضافية ، ولكن حجرة مكتبى تعانى بعض الفوضى .

أجابه (جراهام) بابتسامة زلفى ، وهو يجلس أمامه :

ــ بالتأكيد .. مادام ذلك المصرى قد زارها .

Looloo
www.dvd4arab.com

رمقه الجنرال بنظرة صامتة ، استغرقت دقيقة على الأقل ، قبل أن يسأله فى بطء :

ـ ما معلوماتك عنه بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لقد أتى منتحلاً هيئة سير (وينسلوت) .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا الجنرال بشدة ، ولم يرق له أسلوب (جراهام) هذا ، فقال فى صرامة :

ـ ما الذى تنشده بالضبط يا سيد (جراهام) ؟

اعتدل (جراهام) فى مجلسه ، مجيبًا فى سرعة :

ـ أن أتم إجراءات الصفقة .

سأله الجنرال فى حذر :

ـ أية صفقة ؟!

ابتسم (جراهام) ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ صفقة الوثائق الأمريكية ، التى سقط سير (وينسلوت) قبل أن نتمها .

ارتفع حاجبا الجنرال لحظة ، ثم عادا ينعقدان فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة ، لم تنجح فى إخفاء توتره :

ـ وما شأنى أنا بتلك الصفقة أيها الإسرائيلى ؟!

ازدادت ابتسامة (جراهام) ثقة ، وهو يقول :

ـ سيدى الجنرال .. كلانا له باع طويل فى عالم المخابرات ، فلا داع لأن نضيع المزيد من الوقت .

اعتدل الجنرال فى توتر ملحوظ ، فى حين تابع الإسرائيلى بنفس الثقة :

ـ عندما علمت دولتى أن سير (وينسلوت) يتزعم منظمة (هيل أرت) ، كلفت الجهاز الذى أعمل به ، بجمع كافة المعلومات الممكنة عنه ، وأطلقت أنا بدورى جيشاً من الرجال خلفه ، ولم نلبث أن توصلنا إلى رقم هاتفه الخاص جدًا ، وكانت هذه هى الخطوة الاولى ، أما الثانية فكانت ..

صمت فجأة ، ثم مال كثيرًا نحو الجنرال ، قبل أن يضيف :

ـ مراقبة ذلك الهاتف .

ازداد انعقاد حاجبى الجنرال ، دون أن يعلق بحرف واحد ، فاعتدل (جراهام) ، متابعًا فى حزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كان ذلك الهاتف يجرى مكالمات قليلة جدًا ، وكان أهمها بالنسبة لنا ، مكالمات محدودة للغاية ، مع رقم هاتف غير مسجل فى (البرازيل) ، وكان يتبادل كلمات قليلة جدًا ، فى كل مرة ، ولكن أسلوبه ولهجته كانا يوحيان بأنه يتحدث إلى شخص يفوقه سلطة .

صمت طويلاً هذه المرة ، حتى غمغم الجنرال فى عصبية :

ـ ثم ؟!

رفع (جراهام) سبابته ، قائلاً :

ـ ثم حدث ما حدث ، فى أحراش (البرازيل) ، وتم إنقاذ من تصورتم أنه سير (وينسلوت) ، وإحضاره مباشرة إلى هنا ، وكان كل ما تبقى هو أن نربط الأمور بعضها ببعض .

ران صمت تام على المكان ، بعد أن أنهى الإسرائيلى حديثه ، وظلّ الجنرال يحدّق فيه بشدة ، قبل أن يقول فجأة ، فى صرامة شديدة :

ـ فليكن .

مال (جراهام) نحوه فى اهتمام ، فتابع بنفس الصرامة :

ـ سير (وينسلوت) كان الرجل الثانى فى المنظمة ، والشخص القادر على إدارة المفاوضات فيها .

قال (جراهام) فى ارتياح :

ـ وأنا اجلس الآن فى حضرة الرجل الأول .

قال الجنرال فى شراسة :

ـ ومن أدراك أنك ستغادر ، مع معلومة خطيرة كهذه ؟!

هز (جراهام) كتفيه ، وقال :

ـ الواقع أن هذه المعلومة ليست لدىّ وحدى ، بل هى الآن لدى الجهاز الذى أعمل به ، وهذا يجعل أن قتلى بلا جدوى فى الواقع .

صمت الجنرال لحظة أخرى ، ثم قال :

ـ أنت على حق .. فلنتم تلك الصفقة إذن .

أجابه (جراهام) ، وهو يعتدل فى ثقة :

ـ تأكّد يا جنرال أننا لن نختلف أبدًا ، بشأن هذه الصفقة ؛ فدولتى مستعدة لدفع أى مبلغ تطلبونه ، مقابل تلك الوثائق الأمريكية .

قال الجنرال ، مستعيداً ثقته :

ـ على الرغم من أن الأمريكيين هم رعاتكم الرئيسيون .

Looloo
www.dvd4arab.com

عاد يهز كتفيه ، قائلاً :

ـ كلانا يعلم أن هذا لا يصنع فارقًا .

أومأ الجنرال برأسه مؤيدًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

صمت (جراهام) لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ ولكننا نرغب فى إضافة عامل آخر ، إلى تلك الصفقة .

انعقد حاجبا الجنرال ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ وهو ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ ذلك المصرى .

اعتدل الجنرال فى حركة حادة ، وهو يقول فى شراسة :

ـ مستحيل !

لم يفقد (جراهام) هدوءه ، على الرغم من شراسة الجنرال ، وقال فى حزم :

ـ ربما لو تفاهمنا ..

قاطعه الجنرال بنفس الشراسة :

ـ ذلك المصرى سيبقى هنا ، حتى اعتصره اعتصارًا ، ثم ألقى به لأسماك (البيرانا) المتوحشة .

مال (جراهام) نحوه ، قائلاً :

ـ وماذا لو دفعنا ..

قاطعه فى حدة :

ـ أى مبلغ فى الأرض ، لن يساوى متعتى ، عندما ألقى به فى بركة أسماك (البيرانا)(*) وأشاهدها وهى تمزقه إربًا ، بعد أن أنتزع منه كل معلومة ممكنة .

صمت (جراهام) بعض الوقت ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، ثم قال :

ـ وماذا عن شراء ما ستنتزعونه منه ؟!

حدّق فيه الجنرال لحظات ، ثم قال فى صرامة :

(*) البيرانا : أحد أنواع الأسماك التى تعيش فى المياه العذبة ، فى الأنهار (أمريكا الجنوبية) ، وهى ذات أسنان حادة ، وشهية مسعورة للحوم ، وتتنقل دومًا فى أسراب كبيرة .

Looloo
www.looloo.com

ـ سيكلفكم هذا الكثير .

ابتسم (جراهام) ، قائلاً :

ـ النقود لا تساوى شيئًا .. المهم هو ..

صمت لحظة ، مال خلالها نحو الجنرال ، ليكمل فى لهفة ، لم يحاول حتى إخفاءها :

ـ متى سنبدأ فى استجوابه ؟!

تراجع الجنرال ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ عندما يستعيد وعيه ..

وهنا اتسعت ابتسامة (جراهام) ..

وعقد الشيطان صفقة ..

كبيرة ..

* * *

مع آلامه الشديدة ، استعاد (أدهم) وعيه فى بطء ، وإن ظلّ محتفظًا بعينيه مغلقتين ، وهو يحاول استيعاب موقفه ..

كان وسطه محاطًا بالضمادات ، وكذلك فخذه ، على نحو يوحى بأن طبيبًا محترفًا قد تولى علاجه من إصاباته ..

وكان يرقد على شىء صلب خشن ، ثبت إليه معصماه وقدماه ، بأغلال من الصلب ..

أما المكان المحيط به ، فقد كان رطباً .. للغاية ..

وبه شخص ..

أو شخصان ..

وبدون أن يفتح عينيه ، راح عقله يحلّل الموقف كله ..

من الواضح أنه داخل زنزانة ما ، فى قبو حصن المخابرات البرازيلية ، وحوله حارسان ، على الرغم من قيوده القوية ..

لقد قرروا إذن الاحتفاظ به ، واستجوابه ..

أو ربما تعذيبه ..

لهذا عالجوا إصاباته ، وضمّدوا جروحه ..

هكذا تفعل كل النظم القمعية مع أسراها ..

تحافظ عليهم أصحاء ، حتى تدمرهم فى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لذة التفوق ، والشعور بالقوة ..

ندت منه حركة متعمدة ، وكأنه يهم باستعادة وعيه ، وتحرَّك الحارسان بحركة غريزية متحفزة ..

ورصدت أذناه هذا ..

إنهما حارسان إذن ، واحد فى الركن الأيمن البعيد ، والثانى إلى يساره عن قريب ..

« لا توجد مشكلة بلا حل .. فقط أدرس المشكلة جيدًا ، وحلِّل كل ما يتعلق بها ، وستعثر على ثغرة ما .. وعندئذ ، أحسن استغلال تلك الثغرة ، إلى أقصى حد .. »

استعاد دروس والده القديمة ، وهو يرقد مسترخيًا ، دون أية محاولة للإيحاء بأنه قد استعاد وعيه ..

بالفعل هى مشكلة ..

هو مقيَّد بإحكام ، داخل زنزانة رطبة ، مع حارسين ..

فأين المفر ؟!..

أين ؟!..

أين ؟!..

أطلق عمدًا آهة ضعيفة ، جعلت الحارسين يتحفزان مرة أخرى ، وغمغم أحدهما فى توتر ملحوظ :

ـ لقد استعاد وعيه .

تمتم (أدهم) فى ضعف شديد :

ـ ماء .. أريد شربة ماء .

قالها بالعربية ، فلم يفهمها أيهما ، وإن قال ذلك الذى إلى اليمين فى توتر :

ـ فلنبلغ الجنرال .

مضت دقائق عشر ، على قوله هذا ، عندما وصل الجنرال مع قائد حرسه إلى الزنزانة ، وبدا غاضبًا ، وهو يقول :

ـ إنه لم يستعد وعيه بعد .

قال أحد الحارسين فى اضطراب :

ـ إنه يتحدث ، بين الحين والآخر ، بلغة نجهلها .

انعقد حاجبا الجنرال ، وهو يقترب من (أدهم) ، قائلاً :

ـ يتحدث ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

دفع (أدهم) بيده فى حذر ، فتأوَّه هذا الأخير ، وفتح عينيه فى ضعف ، متمتمًا :

ــ شربة ماء .

ثم بدا كأنه قد غاب عن الوعى ثانية ..

وفى توتر ، ليس له ما يبرره ، قال قائد الحرس :

ــ إنها العربية .

ظل الجنرال معقود الحاجبين ، وهو يقول :

ــ من الواضح أنه يستعيد وعيه بالفعل ، ولكنه مازال شديد الضعف .

تساءل قائد الحرس فى تردد :

ــ هل نبقيه ؛ حتى يستعيد وعيه ؟!

صمت الجنرال لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول ، فى حزم صارم :

ــ بل هذه هى الفرصة الأمثل ؛ لنقله إلى حجرة الاستجواب ؛ قبل أن يستعيد جسده بعض قوته .

ثم استدار مغادرًا الحجرة ، وهو يضيف فى صرامة آمرة :

ــ أريده بعد نصف ساعة على الأكثر ، مقيدًا بإحكام ، على المقعد الكهربائى ، فى حجرة الاستجواب ، وليتولى (جونزاليس) مهمة إعداده بنفسه .

شهقت أنفاس الحارسين ، على نحو يوحى ببشاعة (جوانزاليس) هذا ، ومهابته الشديدة فى نفسيهما ، فى حين قال قائد الحرس فى لهجة لا توحى بالارتياح :

ــ أوامرك يا جنرال .

ولم يكد الجنرال يغادر المكان تمامًا ، حتى تراجع قائد الحرس إلى أقصى الزنزانة ، وقال للرجلين فى صرامة :

ــ حلا قيوده .

أسرع الحارسان يحلان قيود (أدهم) ، الذى ظلَّ متراخيًا ، وهما يحلان قيود معصميه ، و ...

وفجأة ، فتح (أدهم) عينيه ..

فتحهما ليبتسم فى سخرية ، قائلاً بالبرتغالية :

ــ شكرًا .. هذا يكفى .

Looloo
www.dvd4arab.com

كان مصابًا بشدة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تحرَّك بسرعة مناسبة ، ليهوى بظهر قبضته اليمنى ، على أنف الجندى إلى يمينه ، ثم انتزع مدفعه ؛ ليهوى به على رأس الثانى إلى يساره ، ثم يعود به إلى فك الأيمن ..

كل هذا تم فى سرعة خرافية ، جعلت قائد الحرس يتراجع فى ذعر ، هاتفًا فى ذهول :

ـ مستحيل !..

كانت جراح (أدهم) تعاود النزف ، فى نفس اللحظة التى سحب فيها قائد الحرس مسدسه ، وصوبه إليه ، و ...

ولم يكن (أدهم) قد تخلَّص من قيوده بعد ، عندما أطلق قائد الحرس النار نحوه ..

مباشرة .

4 ـ المستحيل ..

تلاحقت أنفاس (منى) على نحو ملحوظ ، عندما توقَّف (قدرى) عن السرد فجأة ، وهتفت به معترضة :

ـ لا .. ليس الآن .

هتف بها :

ـ أنا جائع .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ مستحيل !.. لقد تناولت ما يكفى فريق كرة قدم كاملاً ، منذ أقل من ساعتين ، وأنا أريد معرفة ما حدث .

هز كتفيه ، وقال وهو يتجه نحو البرَّاد :

ـ لقد نجا .

هتفت :

ـ أعلم أنه قد نجا ، فقد كان معى هذا الصباح ، ولكننى أريد أن أعرف كيف .

استدار يلوح لها بسبَّابته ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ فضيلة الصبر .

قالت فى حدة :

ـ وماذا عن فضيلة الجوع ؟!

أطلق ضحكة مرحة صافية ، وهو يتناول وعاء آيس كريم ضخمًا من البرَّاد ، قائلاً :

ـ سأتركها لك .

عاد يحمل الوعاء ، وملعقتين ، مضيفًا :

ـ ما رأيك فى القليل منه ؟!

هتفت :

ـ (قدرى) .. أرجوك .

هز كتفيه المكتظين مرة أخرى ، وقال وهو يلتهم محتويات الوعاء فى شراهة :

ـ لا بأس ..

وعاد يروى ..

* * *

واجه مدير المخابرات المصرية مجموعة رؤساء الأقسام أمامه ، فى ذلك الاجتماع ، الذى طلب عقده بصورة عاجلة ، وهو يقول فى حزم :

ـ مر يومان الآن ، منذ انطلقت صفارات الإنذار ، فى حصن المخابرات البرازيلية ، ولا توجد أية أخبار عن (أدهم) ، باستثناء أن أحد الرجال ، الذين جندناهم ، داخل السفارة الإسرائيلية فى البرازيل ، أخبرنا أن (دافيد جراهام) ، رجل (الموساد) القديم ، قد زار مبنى المخابرات البرازيلية ، إبان انطلاق صفارات الإنذار هناك ، وغادرها بعد هذا بساعتين ، ويقيم منذ ذلك الحين فى مبنى السفارة .

سأله أحد قادة الأقسام :

ـ ألا توجد معلومات إضافية ، من داخل مبنى المخابرات البرازيلية .

أجابه المدير :

ـ المعلومات المؤكَّدة ، هى أن الجنرال (بدروس) قد طلب من (جراهام) زيارته ، منذ دقائق قليلة ، ومحللونا يقدرون أن

www.dvd4arab.com

هذا قد يعنى أن (أدهم) مازال حيًّا هناك ، وأنهم سيقومون باستجوابه ، لصالح (الموساد) الإسرائيلى .

ران الصمت على الجميع ، وهم يفكرون فيما سمعوه ، قبل أن يعلق أحدهم ، قائلاً :

ـ ليس بالضرورة يا سيادة الوزير .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .. إننا أمام الاحتمالين .. أن يكون (أدهم) قد لقى مصرعه بالفعل ، أو أنه مازال حيًّا هناك .. ولو كان قد لقى مصرعه ، فسيتخلَّص الجنرال (بدروس) من جثته ، بنفس الطريقة الوحشية ، التى اعتاد التخلص بها من خصومه .

غمغم أحدهم :

ـ فى بركة أسماك (البيرانا) المتوحشة .

رفع المدير سبَّابته ، قائلاً :

ـ ولكن ماذا لو أنه حى ؟!

ران عليهم الصمت مرة أخرى ، فتابع هو فى حزم :

ـ لقد اتخذت عدة إجراءات سريعة فى هذا الشأن .. رجالنا سيراقبون مبنى المخابرات البرازيلية ، طوال أربع وعشرين ساعة وستكون هناك طائرة خاصة ، متأهبة للإقلاع طوال الوقت ، من مطار خاص ، فى ضواحى (برازيليا) ، وفى الوقت نفسه ، هناك هليكوبتر صغيرة على أهبة الاستعداد ، على مقربة من المكان ؛ لانتشال (أدهم) ، فى أية لحظة يظهر فيها .

تبادل الرجال نظرة متوترة ، وقال أحدهم :

ـ ولكن هذا أمر بالغ الخطورة يا سيادة المدير ؛ إذ لو فشلت هذه العملية ، ستتعرّض (مصر) لأزمة ديبلوماسية طاحنة مع (البرازيل) .

أجابه فورًا :

ـ تلك الهليكوبتر لا تحمل ، هى أو طيارها ، أية إشارة ، يمكن أن تربطها بنا .. لقد استأجرها رجل ، قدَّم نفسه باعتباره إسرائيليًّا ، والطيَّار يتصوَّر أنه سيقوم بانتشال عنصر من (الموساد) ، تم احتجازه هناك ، ولقد تقاضى مبلغًا هائلاً ؛ ليقبل القيام بهذه المهمة .

وصمت لحظة لالتقاط أنفاسه ، قبل أن يتابع :

Looloo
www.looloo.com

ـ وهذا يعنى أنه لو نجحنا ، فسيمر الأمر بسلام ، أما لو فشلت المهمة ، فالإسرائيليون هم من سيتعرضون للأزمة الدبلوماسية ، وليس نحن .

صمتوا قليلاً ، ثم قال آخر :

ـ مازالت هناك نقطة مهمة .

التفت إليه الجميع ، فأضاف فى حزم :

ـ من أدرانا أن الرائد (أدهم) سيظهر حيًّا ؟!..

فى هذه المرة ، طال صمتهم ..

حتى المدير نفسه ظلَّ صامتًا ..

فمن أدراهم بالفعل ، أن (أدهم) سيظهر حيًّا ؟!..

من ؟!..

* * *

بكل الحسابات المنطقية ، لم يكن (أدهم) لينجو من موقفه هذا أبدًا ..

فهو مصاب ..

وجراحه تنزف ..

ومقيد القدمين ، إلى منضدة حجرية خشنة ..

وقائد الحرس يصوِّب إليه مسدسه ..

و ...

ولكن الموقف ، فى تلك اللحظة ، لم يكن مشكلة قوة ..

بل كان مشكلة سرعة ..

لقد كان قائد الحرس يصوِّب مسدسه إليه بالفعل ..

ولقد ضغط الزناد ..

وأطلق النار ..

مباشرة ..

ولكنه خسر ثانية واحدة فحسب ..

ثانية ، مال فيها (أدهم) جانبًا ، وهو يلقى مدفع الجندى بكل قوته ، نحو رأس قائد الحرس مباشرة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، مرقت رصاصة قائد الحرس ، على بعد سنتيمتر واحد ، من أذن (أدهم) اليسرى ، حتى إنه سمع أزيزها عاليًا ، وضرب مدفع الجندى رأس قائد الحرس فى عنف ، ليدفعه إلى الخلف ، ويرتطم رأسه بالجدار خلفه فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ..

وقبل حتى أن يرتطم بالأرض ، كان (أدهم) يلتوى ، على الرغم من آلامه ؛ ليحل قيود قدميه ، ويحررهما فى سرعة ..

الأمر الذى أفاده كثيرًا ، فى هذا الموقف ، هو أن مسدس قائد الحرس ، كان مزودًا طوال الوقت بكاتم للصوت ..

ولهذا فلم يشعر آخرون بما حدث ..

مؤقتًا ..

وبسرعة ، لملم (أدهم) المدفعين الآليين ، مع مسدس قائد الحرس ، وبدأ يستبدل ثيابه بثياب هذا الأخير ..

كانت جراحه تعاود النزف ، على الرغم من الخيوط الجراحية ، وكانت تبلل كل ما يرتديه بالدماء ، وكل ما حوله يوحى بأنه لا أمل ..

« الأمل دومًا موجود يا (أدهم) .. عندما تواجه موقفًا عصيبًا ، قد تبدو الأمور كلها ضدك ، ولكن أهم ما فى الأمر هو أن تهدأ .. فقدان الأعصاب والتوتر ، يعنيان خسارة نصف المعركة ، قبل أن تبدأ ، والهدوء يعنى ربح نصفها ، قبل الخطوة الأولى .. »

مرة أخرى ، استعاد دروس والده ، وهو يغمغم :

ــ هيا يا (أدهم) .. ادرس الموقف جيدًا ، وحاول أن تجند كل العوامل السلبية لصالحك .. هيا .

قالها ، وراح يعتصر عقله بشدة ؛ للبحث عن جواب هام ..

كيف يمكنه الخروج من هذا الموقف ؟!..

كيف ؟!..

انتفخت أوداج الجنرال (بدروس) ، وهو يستقبل (جراهام) هذه المرة ، قائلاً :

ــ ها أنذا أوفى بوعدى يا سيد (جراهام) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

سأله (جراهام) فى لهفة :

ــ هل سيبدأ الاستجواب اليوم ؟!

أجابه ، وهو يصحبه إلى مصعد صغير ، فى نهاية حجرته :

ــ بل الآن .

هبط بهما المصعد إلى أسفل ، والجنرال يضيف فى تفاخر :

ــ من حسن حظك يا سيد (جراهام) ، أنك الشخص الوحيد ، من خارج هذا المكان ، الذى سيرى حجرة استجوابنا الفريدة ، دون أن يتعرَّض لفن (جوانزاليس) .

انعقد حاجبا (جراهام) ، وهو يغمغم فى ضيق :

ــ سمعت كثيرًا عن تفننه ، فى وسائل التعذيب وانتزاع المعلومات .

أطلق الجنرال ضحكة قصيرة ، قائلاً :

ــ هل بلغت شهرته هذا الحد ؟!

لم يعلِّق (جراهام) على العبارة ، حتى بلغ المصعد الطابق السفلى ، وانفتح على قاعة كبيرة ، محفورة فى قلب ما بدا أنه

جبل قديم ، ولكن أرضيتها مصقولة ، وفى وسطها بركة صغيرة ، تسبح فيها أسماك ، ميزها هو من النظرة الاولى ..

كانت أسماك (البيرانا) المتوحشة ..

وهناك ، بالقرب من البركة ، كان هناك مقعد معدنى ، تغطى معظمه بدماء جافة ، واتصلت به أسلاك مولد كهربى صغير ، وإلى جواره وقف رجل ضخم الجثة ، على نحو ملحوظ ، يمسك شيئًا يشبه كلاَّبة معدنية ضخمة ، وملامحه تبدو أشبه بملامح الوحوش الأسطورية ، باستثناء أنه ، على عكسها يبصر بعينيه معًا ..

وفى زهو ملحوظ ، أشار الجنرال إلى الضخم ، قائلاً :

ــ (جوانزاليس) .

زمجر (جوانزاليس) بصوت وحشى ، وكلمات غير مفهومة ، وهو يرقب (جراهام) فى تحفز بشع ، فغمغم هذا الأخير فى عصبية :

ــ تشرفنا .

قاده الجنرال إلى مقعد قريب ، وجلس على مقعد وثير ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لم يفشل (جوانزاليس) مرة واحدة ، فى حياته كلها ، فى انتزاع أية معلومة أريدها ، من أى إنسان .

ألقى (جراهام) نظرة على الدماء الجافة ، على المقعد وحوله ، وهو يغمغم :

ـ هذا واضح .

تابع الجنرال مبتسمًا ، وكأنه لا يسمعه :

ـ وإذا ما احتمل أحدهم وسائله ، يحمله (جوانزاليس) ، إلى بركة (البيرانا) ، ويدلى قدميه فيها ، ويستمتع بسماع صراخه ، والأسماك تلتهم قدميه التهامًا بلا رحمة .

قال (جراهام) ، بنفس التوتر :

ـ من الواضح أن مصطلح الرحمة لا وجود له هنا .

قهقه الجنرال ضاحكًا فى زهو ، وكأنما يروق له هذا ، وقال فى امتعاض :

ـ سترى كم سيفيد هذا ، عندما نبدأ فى استجواب ذلك المصرى ، و ...

بتر عبارته فجأة ، مع دوى الرصاصات المتصل ، الذى بلغ مسامعهم من بعيد ، وزمجر (جوانزاليس) فى عصبية ، فى حين غمغم (جراهام) متوترًا :

ـ أهذا جزء من تدريباتكم هنا .

احتقن وجه الجنرال ، وهو ينتزع جهاز اتصاله من حزامه بحركة حادة ، ويهتف عبره بقائد حرسه :

ـ ماذا يحدث عندك ؟!

أتاه صوت قائد الحرس ، يهتف فى توتر بالغ :

ـ إنه ذلك المصرى .. لقد أفلت ، واستولى على أسلحتنا ، وهو يطلق النار فى غزارة .. نريد إمدادات .. وبسرعة .

احتقن وجه الجنرال أكثر ، وقال فى مقت ، وهو يهب من مقعده :

ـ إلى كل قوات أمن المبنى .. انطلقوا فورًا إلى الزنزانة (أ) .. قائد الحرس يطلب إمدادات هناك .. أسرعوا .

كاد ينهى الاتصال ، ولكنه استدرك بسرعة ، فى غضب هادر :

ـ ولا تنسوا .. أريد ذلك المصرى حيًا .. هل تفهمون ؟!.. حيًا .

Looloo

استجابت كل قوات أمن المبنى للنداء فورًا ، وانطلقت كلها تعبر ذلك الممر الوحيد ، الذى يقود إلى الزنزانة (أ) ، حيث يودع أكثر المستجوبين خطورة ..

كانت الرصاصات تنطلق ، من داخل الزنزانة (أ) ، فى غزارة فعلية ، وكان قائد الحرس يقبع فى أوّل الممر ، وقد غطت الدماء ملابسه ووجهه ، ولقد هتف بهم ، عندما وصلوا :

ــ إنه يطلق النيران بلا توقف ، سيطروا عليه بأى ثمن .

كانوا أشبه بجيش صغير ، انقضَّ على الزنزانة من كل الاتجاهات ، ولكن إطلاق النار من داخلها تواصل لدقيقة أخرى ، قبل أن يتوقف فجأة ، فغمغم قائد قوات الأمن فى صرامة :

ــ لقد نفدت ذخيرته .

بدءوا على الفور ، فى تنفيذ الخطة ، التى تدربوا عليها طويلاً ، من أجل احتمال كهذا ، فحاصروا الزنزانة ، واتخذ بعضهم مواقع دفاعية ، قبل أن ينقض عليها فريق الاقتحام المختار ، ويقتحمها فى عنف ، وهو يصوِّب مدافعه داخلها ..

وتوقف الجميع فى دهشة ..

فالزنزانة كانت خالية ، إلا من حارسين فاقدى الوعى ، ومدفعين آليين ، تم تثبيت زناديهما ؛ لينطلقا بلا توقف ، و ...

وقائد الحرس ..

صحيح انه كان يرتدى ملابس مدنية ، وفاقد الوعى بدوره ، ولكنه هو ..

وبكل ذهول الدنيا ، هتف قائد قوات الأمن :

ــ من التقى بنا عند المدخل إذن ؟!..

استغرق ذهوله لحظات ، قبل أن يهتف ، فى مزيج من الغضب والصرامة :

ــ اللعنة !..

وتراجع مع جنوده فى سرعة ، عبر الممر ..

ولكن ذلك الباب المعدنى الضخم ، والذى يسد مدخل الممر ، كان مغلقًا من الخارج ..

وبمنتهى الإحكام ..

« ماذا تعنى بأنه مغلق ؟!.. »

Looloo
www.dvd4arab.com

هتف الجنرال بالعبارة فى توتر بالغ ، عبر جهاز الاتصال ، واستمع (جراهام) فى عصبية إلى قائد فريق أمن المبنى ، وهو يقول فى حدة غاضبة :

ـ لقد خدعنا ذلك المصرى ، ودفعنا جميعًا إلى الممر ، ثم فر وأغلقه خلفنا فى إحكام .. لقد كانت الدماء تغطى ملامحه ، ولكننى أقسم أن ذلك الصوت ، الذى سمعته منه ، هو صوت قائد الحرس .. لا يمكن أن أخطئه ، بعد كل تلك السنوات ، التى عملنا فيها معًا .

هتف به الجنرال ، فى غضب محنق مستنكرًا :

ـ أتعنى أن كل رجال أمن المبنى مسجونون هناك ، فى ذلك الممر ؟!.. أية قواعد أمن تلك ، التى تتبعونها هناك ، والتى تجعلكم تضعون البيض كله فى سلة واحدة ؟!..

بدا صوت قائد الأمن غاضبًا ، وهو يقول :

ـ لم نكن نتبع قواعد الأمن الصحيحة ، بل كنا نتبع أوامرك أنت يا جنرال ، عندما أمرت بأن تذهب كل القوات إلى هناك .

احتقن وجه الجنرال أكثر ، وهو يقول فى غضب :

ـ انسفوا ذلك الباب إذن .. لا تتركوا المبنى بدون قوات أمن .

أجابه الرجل فى حدة ، تتنافى مع فارق المناصب بينهما :

ـ هذا الباب مصنوع من ثلاث بوصات من الصلب ، ولقد حرصت أنت شخصيًا على استحالة اختراقه ، حتى بالقنابل اليدوية ، التى نحملها معنا ، ثم إن أى انفجار ، داخل ممر مغلق ، قد يعنى انفجار آذاننا جميعًا .

غمغم (جراهام) فى حنق :

ـ يا للسخافة !

زادت عبارته من سخط الجنرال وغضبه ، فصاح بكل قوته :

ـ جد وسيلة للخروج من هناك .. جد أية وسيلة .

أتاه صوت ساخر ، من ناحية المصعد ، يقول :

ـ اطمئن يا زعيم الأوغاد .. لا توجد أية وسيلة .

كاد الجنرال (بدروس) ينفجر فى هذه اللحظة ؛ من شدة احتقانه ، فى حين انعقد حاجبا (جراهام) فى شدة ، وهو يحدّق فى ذلك الوجه ، الذى لن ينساه أبدًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

وجه (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

بذل سير (وينسلوت) جهدًا كبيرًا ، فى محاولة للتماسك ، والحفاظ على هدوئه الأسطورى ، وهو يواجه ضابط التحقيقات المصرى ، قائلاً :

ــ أتدرى أى خطأ ترتكبون ، عندما تختطفون عضو مجلس عموم بريطانى ، وتحضرونه إلى دولتكم ، دون المرور عبر القنوات الشرعية .

لم يبد ضابط التحقيقات اهتمامًا بذلك التهديد المبطن ، وهو يقول :

ــ الأوراق التى أمامى تشير إلى أننى أواجه زعيم منظمة (هيل آرت) ، المطلوب دوليًا ، ولقد أبلغت وزارة داخليتنا دولتك رسميًا بموقفك ، وهناك ثلاث دول على الأقل تطالب بتسليمك ؛ لمحاكمتك على أعمال إرهابية ، وتجاوزات أمنية ، قامت بها منظمتك .

فشلت محاولات سير (وينسلوت) ، فى الحفاظ على هدوئه هذه المرة ، وهو يقول :

ــ وماذا كان رد دولتى ؟!

أجابه الرجل فى هدوء :

ــ سيرسلون محققًا خاصًا ، من المكتب السادس البريطانى ، وآخر سيصل من جهاز المخابرات المركزية الأميريكية ، بشأن وثائق سرية ، تم الاستيلاء عليها منهم .

قال سير (وينسلوت) فى توتر :

ــ ولكننى لست أمتلك تلك الوثائق فعليًا .

تراجع المحقق فى هدوء ، ورمقه بنظرة عدم تصديق ، جعلته يضيف فى توتر :

ــ ثم إننى لست الزعيم الفعلى للمنظمة ، كما يتصوّرون .

نجحت عبارته الأخيرة فى جذب انتباه ضابط التحقيقات ، فاعتدل يسأله فى اهتمام بالغ :

ــ من الزعيم الفعلى لها إذن ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت سير (وينسلوت) لحظات ، قبل أن يميل نحوه ، متسائلاً :

ــ أية صفقة سأحصل عليها ، لو أخبرتكم بكل ما تريدون ؟!

ظلَّ ضابط التحقيقات يتطلع إليه لحظات ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده مفكرًا ..

ولكنه ، وفى كل الأحوال ، لم يجب السؤال ..

ولا حتى بحرف واحد ..

* * *

كل غضب الدنيا تفجَّر فى كيان الجنرال (بدروس) ، مدير المخابرات البرازيلية ، فى تلك اللحظة ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، المبلَّل بالدماء ، التى تخترقها ابتسامته الساخرة ، وهو يصوِّب مسدسه للرجال الثلاثة ..

وفى أسلوب تزلفى ، قال (جراهام) :

ــ يمكننا أن نتفاهم أيها المصرى .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ فليكن .. سأتركك تحيا .. ما الذى يمكنك أن تقدِّمه لى بالمقابل ؟!

قلب كفيه ، قائلاً :

ــ ربما حياتك أيضًا .

كان (جوانزاليس) يزمجر زمجرات قصيرة ، منذ ظهور (أدهم) ، فتحرك نحوه الجنرال فى بطء ، وهو يسأل (أدهم) فى حدة :

ــ كيف وصلت إلى هنا ؟!

أجابه (أدهم) :

ــ الواقع أنك ساعدتنى على هذا كثيرًا يا جنرال .. لقد أرسلت قوات أمنك إلى ذلك الممر المنيع ، وأخليت لى الطريق إلى مكتبك ، وهنلك عثرت على ذلك المصعد ، الذى تشير كل أزراره إلى أسفل ، ولكن الواقع أننى ، عندما هبطت بوساطته ، لم أكن أتوقع طرائد ثمينة مثلكم .

قال الجنرال فى مقت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إنك لم تظفر بنا بعد .

رفع (أدهم) فوهة المسدس ، وهو يقول فى سخرية :

ـ حقًا .

وهنا صرخ الجنرال ، وهو يقفز ليحتمى بجسد (جوانزاليس) الضخم :

ـ (جوانزاليس)

وفى خفة وسرعة مدهشتين ، لا ينبئ جسده بهما أبدًا ، ألقى (جوانزاليس) تلك الكلابة الثقيلة نحو (أدهم) ، ثم أطلق زمجرة وحشية هائلة ، وهو ينقض على هذا الأخير ..

وكانت مواجهة شديدة الوحشية ..

بحق .

* * *

5 ـ ختام ..

على الرغم من ذلك الهدوء المستفز ، الذى اشتهر به ، شعر سير (وينسلوت) بتوتر شديد ، وهو يجلس فى انتظار عودة ضابط التحقيقات ، حاملاً الرد على الصفقة التى عرضها ..

لقد خسر كل شىء بالفعل ..

انكشف أمره ..

ووقع فى قبضة المصريين ..

وعرف العالم كله بوجوده ..

كونه عضوًا بمجلس العموم البريطانى ، لن ينقذه من كل هذا حتمًا ، بل سيزيد الطين بلة ، بالفضيحة الكبرى التى سيواجهها ، وتواجهها عائلته كلها ، عندما تثبت التحقيقات تورطه فى منظمة (هيل أرت) ..

ثم إن هناك عديدين سيطالبون برأسه عندئذ ..

فرصته الوحيدة إذن ، فى أن يتم هذه الصفقة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

سيخبرهم بأمر الجنرال (بدروس) ، ويقدّم لهم كل المستندات والوثائق ، التى كان يخفيها فى قصره ، والتى تثبت أنه الزعيم الفعلى للمنظمة ..

بهذا يمكن أن ينجو ..

بهذا فقط ..

اعتدل فى مجلسه فى سرعة ، عندما انفتح باب الحجرة ، وتوقع عودة ضابط التحقيقات بالجواب ، لذا فقد اندهش بشدة ، عندما فوجئ بمدير المخابرات المصرية أمامه ، يقول فى هدوء :

ــ ما الذى تعرضه علينا سير (وينسلوت) ؟!

لم يستطع البريطانى الحفاظ على هدوئه ، وهو يقول فى توتر :

ــ أريد حريتى ؛ مقابل تقديم الزعيم الفعلى للمنظمة لكم .

جلس مدير المخابرات أمامه ، وهو يهز رأسه ، قائلاً :

ــ الزعيم الحقيقى ..

ثم صمت لحظات ، قبل أن يضيف :

ــ الواقع أن هذا العرض يبدو مغريًا للغاية يا سير (وينسلوت) ، ولكن قبيل قدومى إلى هنا ، تلقيت ثلاث برقيات ، جعلتنى أعيد التفكير فى الأمر .

غمغم البريطانى ، فى توتر ملحوظ :

ــ أية برقيات ؟!

أجابه المدير ، بنفس الهدوء الحازم :

ــ الأولى كانت من المكتب الخامس فى (لندن) ، يخبرنا فيها أنهم فى قصرك الآن ، ينبشون كل شبر فيه ، وأن أحد خبرائهم قد عثر على خزانة تحت أرضية حجرة مكتبك ، من المؤكّد أنها تحوى أوراقاً بالغة الأهمية والسرية .

قال (وينسلوت) فى عصبية :

ــ لو حاول أحدهم فتحها ، دون بصمة صوتى الخاصة ، سيتم تدمير كل محتوياتها تلقائيًا ، بصورة لا يمكن استرجاعها .

بدا كأن مدير المخابرات المصرى لم يسمعه ، وهو يواصل :

ــ والثانية كانت من سفارتنا فى (البرازيل) ، تقول : إن تحركات غير عادية ، تدور فى مبنى المخابرات البرازيلية هناك .

Laolao www.vb.laolao.com

حبس سير (وينسلوت) أنفاسه دون تعليق ، فتابع مدير المخابرات :

ـ أما الثالثة ، فهى الأخطر والأهم .

بدت أنفاس سير (وينسلوت) محبوسة ، وهو يتمتم فى صعوبة ، وبصوت مبحوح :

ـ وما هى ؟!

تألقت عينا المدير ، وهو يقول :

ـ لقد كانت فى الواقع اتصالاً ، من مكتب الجنرال (بدروس) مدير المخابرات البرازيلية .. من مكتبه الخاص ، وعبر جهاز الاتصال الشخصى المؤمن فيه ، ولكن المدهش أنه ليس هو من قام به .

ازداد صوت (وينسلوت) صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ من إذن ؟!

مال المدير نحوه كثيرًا ، وهو يقول :

ـ رجلنا .. لقد أخبرنا أنه هناك ، وأن الجنرال (بدروس) ، هو الزعيم الفعلى لمنظمة (هيل أرت) .. ولقد أبلغنا الرئيس البرازيلى رسميًا بهذا ، قبل دقيقة من دخولى هنا .

امتقع وجه سير (وينسلوت) بشدة ، فى حين تراجع مدير المخابرات فى مقعده فى هدوء ، والتمعت عيناه بلمحة ظافرة ، وهو يسأله :

ـ والآن .. ماذا لديك لتقدمه لنا مقابل حريتك ، يا سير (وينسلوت) ؟!..

وازداد امتقاع وجه سير (وينسلوت) ..

بشدة ..

* * *

انحنى (أدهم) بأقصى سرعة ؛ لتفادى الكلابة الضخمة ، التى ألقاها (جوانزاليس) نحوه ، وهو يطلق النار على هذا الأخير ، الذى أصابته الرصاصة بالفعل ، ولكنها لم توقف اندفاعه نحو (أدهم) ، ولا تلك الزمجرة الوحشية المخيفة ، التى انطلقت من حلقه ، والتى تردد صداها فى القاعة كلها ..

وبكل عنفه وضخامته ، وعلى الرغم من إصابته ، انقض على (أدهم) ، وحمله إلى أعلى ، وكأنه طفل صغير بلا وزن ، ثم ضرب به الجدار فى عنف ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وكانت الآلام رهيبة بحق ، حتى إن (أدهم) شعر كأنه سيفقد الوعى من شدتها ..

كانت جراحه تنزف فى غزارة ، وآلامه تتصاعد ، وعقله يدرك أن القوة لن تحسم هذا الصراع حتمًا ، إلا لو كان لصالح ذلك العملاق ، الذى عاد ينقض عليه ، وهو يطلق صرخة أكثر وحشية ، وكأنه فيل مسعور ..

« ليست القوة هى المقياس يا (أدهم) .. »

استعاد قول والده ، فى جزء من الثانية ، وهو يستجمع قوته كلها ، أو ما تبقى منها ؛ ليدفع جسده جانبًا ، بعيدًا عن مسار انقضاضة العملاق الثائر ، الذى أغضبه أن يفلت (أدهم) منه ، فاستدار إليه بزمجرة مخيفة ، وعينين يطل منهما الجحيم كله ، والجنرال يصرخ به :

ــ بركة (البيرانا) يا (جو) .. ألقه فى بركة (البيرانا) .

انقضّ (جوانزاليس) مرة أخرى على (أدهم) ، الذى لم ينجح فى الإفلات منه مرتين ، وأمسك عنقه وحزامه ، ورفعه فى الهواء عاليًا ، ثم اندفع به نحو البركة ، الملينة بأسماك (البيرانا) المتوحشة ، المتعطشة للحم والدماء ، فى حين تراجع (جراهام) منزعجًا ، إلى أقصى ركن بعيد ، وهو يتمتم :

ــ مستحيل !.. مستحيل !

« حتى الثيران لها نقاط ضعف يا (أدهم) .. اختر نقطة الضعف ، واضربها مباشرة ، دون أن تخشى فارق القوة .. »

استعاد عقل (أدهم) الكلمات ، و(جوانزاليس) يندفع به نحو بركة الأسماك المتوحشة ، والجنرال يصرخ فى جنون :

ــ هيا .. ألقه .. هيا .

وهنا ، استجمع (أدهم) كل ما تبقى له من قوة ، ووجه لذلك العملاق الوحشى لكمة ..

لكمة واحدة ..

فى عنقه مباشرة ..

وانتفض جسد (دافيد جراهام) فى شدة ، مع صوت الفرقعة العجيب ، الذى صدر فى المكان ، إثر لكمة (أدهم) ..

لقد حطمت لكمته حنجرة الوحش ..

مباشرة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى بعد أقل من متر واحد ، من البركة الوحشية ، توقف (جوانزاليس) فجأة ، وأطلق خوارًا كقطيع من الثيران ، وجحظت عيناه بشدة ، واحتقن وجهه ، وهو يجاهد لالتقاط الهواء ، عبر حنجرته المكسورة ..

ومع توقفه المفاجئ ، وبفعل القصور الذاتى ، طار جسد (أدهم) فى الهواء ، وسقط عند طرف البركة بالضبط ..

ولوهلة ، بدا للجنرال و(جراهام) ، أن جسد (أدهم) سينزلق فى بركة الأسماك المتوحشة ، ولكنه مال على نحو مرن ، ودار بجسده فى الاتجاه الآخر ، وتوقف عند الحافة تمامًا ..

وفى نفس اللحظة ، سقط جسد (جوانزاليس) الضخم ..

فوقه مباشرة ..

وبحركة غريزية ، تراجع (جراهام) إلى الخلف ، مطلقًا شهقة انفعالية ، وتألقت عينا الجنرال ، فى انتظار ما سيحدث ، و ...

وتحرك (أدهم) ..

لم يكن باستطاعته الابتعاد عن جسد (جوانزاليس) الساقط ، من حيث يرقد لذا فقد كان البديل الوحيد أمامه ، هو أن يستقبل العملاق بقدميه المرفوعتين ، ثم يدفعه إلى ما خلفه بكل قوته ..

وفى عنف ، سقط الجسد الضخم ..

فى بركة أسماك (البيرانا) مباشرة ..

واتسعت عينا (جوانزاليس) فى هلع رهيب ، جعل الجنرال يصرخ :

ـ لا .. لا ..

ولكن مياه البركة بدت كأنها تفور ..

وتفور ..

وتفور ..

ثم راح (جوانزاليس) يطلق صرخات رهيبة ، والأسماك الوحشية الجائعة تنقض عليه من كل صوب ، وتجعل من جسده الضخم وجبة دسمة ، تشبع جوعها الطويل ..

واتسعت عينا الجنرال فى ارتياع غاضب ؛ لما آلت إليه الأمور ..

وبكل انفعالاته صرخ :

ـ أيها الـ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يتم كلمتـــه ، التى ضاعت وســـط صرخات (جوانزاليس) البشعة ، وهو يحاول الخروج من البركة ، واندفع نحو المـــسدس ، الذى سقط من يد (أدهم) ، وسط الصراع ، والتقطه ليلتفت به نحو هذا الأخير ، صارخًا :

ــ ستدفع الثمن .

كانت صرخات (جوانزاليس) تنهار ، مع انهيار ما تبقى من جسده ، و(جراهام) يلتصق بالجدار فى رعب ، عندما صـوّب الجنرال مسدسه نحو (أدهم) ، الذى لم يعد قادرًا على مواصلة القتال ، صارخًا :

ــ هيا أيها المصرى .. الحق بـــ (جو) إلى الجحيم .

ودوت الرصاصة الصائبة فى المكان ..

* * *

« لو توقفت الآن ، سأقتلك بحق .. »

هتفت بها (منى) فى حدة ، عندما نهـض (قـدرى) مـن مقعده ، فضحك قائلاً :

ــ أحتاج إلى كوب من الشاى فحسب .

قالت فى حدة صارمة :

ــ ليس الآن ..ستكمل ما تبقى فورًا ، وإلا فأقسم ألا أتحـدَّث إليك لعام كامل .

هتف :

ــ لا .. لن يمكننى احتمال هذا .

وعاد يجلس ..

ويروى ..

* * *

لم يكن هناك احتمال واحد ، فى أن ينجو (أدهم) مـن هـذا الموقف ..

لقد فقد الكثير من الدماء ، ويعانى من آلام مبرحة ، فى كـل أجزاء جسده تقريبًا ، بالإضافة إلى نقص فى الطاقة ، بعد كل ما بذله من جهد ..

والجنرال كان يصوّب إليه مسدسه فى دقة وإحكام ، ولم يكن بالرجل ، الذى يمكن أن يخطئ هدفًا كهذا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولقد انطلقت رصاصة فى المكان بالفعل ..

رصاصة صائبة ..

وانطلقت معها صرخة ألم ، من حنجرة الجنرال ، عندما أصابت الرصاصة مسدسه ، واطاحت به بعيداً ..

واتسعت عينا (جراهام) فى ارتياع ، وهو يحدّق فى ذلك الفريق ، الذى يرتدى زى الحرس الجمهورى البرازيلى ، والذى خرج من ذلك المصعد الخاص ، فى حين التفت إليهم (بدروس) ، صائحًا فى غضب :

ــ هل جننتم ؟!

أجابه قائد الحرس الجمهورى فى صرامة :

ــ جنرال (ألبرتو بدروس) .. لقد صدر أمر جمهورى بعزلك من منصبك ، واعتقالك بتهمة التآمر الإجرامى ، وخيانة أمانة المنصب الذى تشغله .

هتف الجنرال فى غضب عصبى :

ــ أى هراء هذا ؟!

تجاهل قائد الحرس الجمهورى عبارته ، وهو يشير إلى جنوده ، قائلاً فى صرامة :

ــ نفذوا الأمر الرياسى .

اندفع الجنود يضعون القيود ، فى معصمى (بدروس) ، الذى صرخ فى جنون :

ــ ستدفعون ثمن هذا .

وهتف (جراهام) ، وهو يرفع يديه مستسلمًا :

ــ أنا (إسرائيلى) .. اتمتع بحصانة دبلوماسية هنا ، وستجدون جواز سفرى عند المدخل

لم يبال الجنود بقوله ، وهم يحيطون معصميه بالأغلال بدوره ، فى حين قال (أدهم) ساخرًا ، وهو يسترخى فى مرقده :

ــ معذرة يا زعيم الأوغاد .. لقد قضيت بعض الوقت فى حجرة مكتبك ، وأجريت بعض الاتصالات ، عبر جهازك الخاص ، دون الرجوع إليك .

احتقن وجه الجنرال ، وهو يتمتم فى غضب هادر ، والجنود يقودونه مع (جراهام) إلى المصعد :

ــ أيها الـ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قبل أن يتم عبارته ، كان باب المصعد قد أغلق عليه ، وكان (أدهم) ، الذى بلغ قمة الإرهاق يطلق ، من أعمق أعماق قلبه ضحكة ..

ضحكة تثبت أن الذى يضحك كثيرًا .. هو من يضحك أخيرًا ..

بالفعل ..

* * *

جلجلت ضحكة (سونيا جراهام) فى حجرة مكتبها ، فى مبنى (الموساد) الإسرائيلى ، على نحو جعل رفيق مكتبها يقول فى ضيق :

ــ لقد هزم والدك ، فكيف يضحكك هذا هكذا ؟

واصلت ضحكاتها ، وهى تقول :

ــ ذلك المصرى مدهش بحق .. لا يمكنك أن تتصوَّر كم أتمنى أن ألقاه يومًا .

سألها فى ضيق :

ــ لتقتليه ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ ربما ..

ثم مالت نحو رفيقها ، مضيفة ، وضحكة عابثة تتراقص فى عينيها :

ــ أو ربما أتزوَّجه .

تراجع مصعوقًا ، وهو يقول مستنكرًا :

ــ تتزوَّجينه ؟!

اعتدلت ، وهى تهزّ كتفيها مرة أخرى ، قائلة :

ــ ولما لا ؟!.. إنه الرجل الوحيد ، من بين كل من عرفتهم ، الذى نجح فى إبهارى إلى هذا الحد .

قال معترضًا :

ــ ولكنه مصرى .

أطلقت ضحكة عابثة ، قبل أن تقول :

ــ وهل يصنع هذا مانعًا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ــ لست أستطيع أن أصدق ، أن من تتحدث الآن ، هى ابنة (دافيد جراهام) .. أحد المثل العليا فى عالمنا .

تطلَّعت إليه لحظة ، قبل أن تقول :

ــ لست مجرَّد ابنة مثلك الأعلى .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى صرامة :

ــ أنا (سونيا) .. (سونيا جراهام) .

ثم اعتدلت ، مضيفة فى شراسة :

ــ لا تنس هذا الاسم أبدًا .

وأشاحت بوجهها عنه ، ولكن عقلها واصل التفكير فى شخص واحد ..

(أدهم) .. ..

* * *

انعقد حاجبا (منى) ، عندما أنهى (قدرى) حديثه ، فقال هذا الأخير مبتسمًا :

ــ التقرير الذى ورد من رجلنا فى (تل أبيب) أيامها ، نقل كلمات (سونيا) بدقة ، ولكن هذا لم يكن يعنى أنها قد خططت للزواج من (أدهم) فى تلك الآونة(*) .

غمغمت فى حنق :

ــ لا أريد سماع اسمها الآن .

أطلقت زفرة حادة ، قبل أن تسأل ، وكأنها تحاول طرح الأمر عن ذهنها :

ــ وماذا عن تلك الوثائق الأميركية ؟!

ابتسم فى خبث ، قائلاً :

ــ ماذا تتصوَّرين أن (أدهم) كان يفعل ، فى حجرة الجنرال (بدروس) إذن ؟!

هتفت مبهورة :

ــ أتعنى أنه قد عثر عليها ؟!

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) ... المغامرة رقم (81) من سلسلة (رجل المستحيل) .

Looloo
www.dvd4arab.com

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لم تذكر الأوراق الرسمية هذا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى خبث :

ـ صراحة .

حملت نظراتها الكثير من الانبهار ، وهى تغمغم :

ـ رباه ! .

ثم عادت تسأل فى لهفة متعاطفة :

ـ وماذا عن إصاباته ؟!.. كيف نجا منها ؟!

تراجع فى مقعده ، مجيبًا :

ـ لقد تم نقله إلى مصر ، و ...

ارتفع رنين جرس الباب ، فى هذه اللحظة ، فتساءلت :

ـ ترى من ؟!

نهض إلى الباب مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى كنت أنتظر ضيفًا .

فتح البـاب ، وابتسامته تتسع ، وظهر على عتبته (أدهم) ، يبتسم بدوره ، قائلاً :

ـ هل تأخرت ؟!

خفق قلب (منى) بشدة لمرآه ، ووثبت من مقعدها مندفعة نحوه ، وهى تهتف :

ـ (أدهم) .

وألقت نفسها بين ذراعيه ، مكملة فى ارتياح :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وضمّها إليه فى رفق وحنان ، وهو يسأل (قدرى) فى حيرة :

ـ ماذا حدث ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم يجب (قدرى) ..

فقط أطلق ضحكة صافية مرحة ..

فبالنسبة إليه ، لا شىء يهم ؛ مادام بصحبة أحـــب شخـــصين إلى قلبه ..

على الإطلاق .

* * *

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.dvd4arab.com

رجل المستحيل

سلسلة الأعداد الخاصة

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

وـ نبيل فاروق

17 / 1 / 011

الجحيم !

- مغامرة جديدة ، أقحمت الملابسات (أدهم) فيها : ليواجه (هيل آرت) ، واحدة من أخطر منظمات الجاسوسية فى العالم ..
- وفى قلب (لندن) ، بدأت المواجهة العنيفة ، وفى قلب أحراش البرازيل ، تفجّر بركان الصراع ..
- وأسفل حصن المخابرات البرازيلية ، انفتحت أبواب الجحيم ..
- ولأول مرة فى تاريخها ، تعلم (سونيا جراهام) بوجود الرجل ..
- (رجل المستحيل) ..

20

* اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل ... رجل المستحيل .

الثمن فى مصر 700
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع